مهرجان النور

بقلم: رئيس التحرير

كان الشاعر الانجليزي جون درايدن (١٦٣١ - ١٧٠٠)م يعتقد أنّ الملحمة الشعريّة وحدها أعظمُ مايمكن لروح الانسان أنْ يُبْدِعه. وقريباً من هذا المعنى سارت أقوالُ كثير من المؤرخين ونقّاد الآداب والفنون.

غير أنّ التحقيق في مفهوم الملحمة بعد ذلك - وعلى وجه خاص ماجاء في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن - استخرج أسّ المفهوم واعتبرها «تجاوزاً للواقع وتضمّناً للتاريخ». فشمل المفهومُ الملحمي ابداع الانسان في قوله - نثراً وشعراً - وفعله في إعادة صناعة الحجر.. أو التاريخ.. الخ.

وثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ هي الشرارةُ التاريخيّة التي ألهبت الذاتَ اليمنيةَ وخزائنَ مكوِّناتِ ذاكرتها الحضارية لصياغة ملحمتها في هذا القرن.

وفي حصار السبعين يوماً - والأرضُ العربيةُ محروقة بنتائج هزيمة يونيو/ حزيران عام ١٩٦٧ - عبقت اتجاهات الأرض اليمنية بشذى الملحمة النضالية لأهل اليمن وشعارها أيضاً: «الجمهورية أو الموت»: «الجمهورية أو الشهادة في سبيلها». وكانت أرضُ اليمن سبّاقةً في رفض الهزيمة.

وكما اتفقت الفنونُ والعلومُ في اكتشاف الحياة والطبيعة، وانْفردت العلومُ بخطوة أخرى بعد ذلك وهي الاثبات، أُفْحم المأجورون والمهووسون بجدودٍ غير جدودهم، وتمزّقت خبراتُ مئاتٍ من العسكريين الأجانب، أمام الجدار السبتمبري ورمز الجمهورية وقلعتها: صنعاء.

كان الصمودُ الجمهوري رداً محلياً على مبرمجي وصانعي هزيمة يونيو/ حزيران عام ١٩٦٧، تلك الهزيمة التي كان مطلوباً منها إدماء الشرف العربي وتهجير قدراته على الأمل بحماية مكوّنات وجوده ونسجْ قواعد مستقبله في أقطار الوطن العربي الكبير كافة.

ومن الناحية المحلية كان الصمودُ الوطني في صنعاء وسائر المناطق دَرْساً حاسماً لأولئك الذين توهموا قيام «الجمهورية العربية اليمنية» ضرباً من «التقصير» في إمامة محمد ابن أحمد بن يحيى حميد الدين، لذلك راحوا يتخبّطون بين هذا الاسم أوذاك في عائلتهم بحثاً عن صورة تتصدّر قرار أعداء اليمن وتغلّفه.

وكان البرهان.

فبعد خمس سنوات وحوالي ثلاثة أشهر من عمر الشرارة التاريخية لثورتنا العظيمة تكلّلت تدفقات الفرح السبتمبري بأكثر البراهين جلالاً وروعة : وهو النصر الحاسم.

أجل. كان البرهانُ في حصار السبعين يوماً، حين تحركت قوة التاريخ في وجدان صنعاء لتحوّل فيها أبناء العاشرة من العمر إلى ألوية ودروع. وأنبرت أركان الدنيا بحقيقة لها سطوع الشمس وشموخها تقول إن الصف الجمهوري صلبٌ كجبال اليمن ومغمورٌ بإيمان كإيمان أهل اليمن. ودُفنت الامامةُ ودهاتُها وأوهامُ الطامعين في إحيائها.

واليوم بعد ثلاثٍ وعشرين سنةً من عمر جمهوريتنا الظافرة يسير الموكب هداه مبادىء سبتمبر وميثاقه الوطني وحوله تتآلف مئات المؤسسات والمكتسبات وعشرات القرارات الاقتصادية والتاريخية الواعدة على طريق مجد اليمن وعزته وإعادة وحدته الطبيعية.

هوذا مهرجان النور، يافعاً يَسْتعْجِلُ المَجْدَ في استكمال بناء مؤسسات الجمهورية وإحياء سد مأرب وتقوية الاقتصاد باستخراج البترول وحماية كل جليل في ذاكرة أيام أهل اليمن وصناعتهم..

هوذا النور يَنْسَكِبُ في قلوب وعقول أهل اليمن، فيبعث فيها إيمانها وتتلاشى مع تدفقات كلّ صباح جمهوري رقعة من الظلام الإمامي في أنشطة الانسان اليمني وعاداته المتخلفة.

في كل يوم يمر نَقْلةٌ إضافيةٌ من الظلم والظلام إلى النور والعدالة الاجتماعية، ولاجدال في أنّ رافد هذه النقلات الحضارية القرار الحكيم باستعادة اليمن من التخلف والقهر والتجزئة. واستمد من مكوّناتها ووجدانها نَهْجَ استقبال الحضارة بلا تقليد أو تبعيّة.

اليوم بعد هذه السنوات من المنجزات والمكتسبات أصبحت سفينةُ الجمهورية في بحر من جماهيرها يستقر في قلوبهم وعقولهم جميعاً - وبالاطلاق - عِشْقُ نورها ومكتسباتها، ولم يبق عن الامامة في الذاكرة الا مابقي للشيطان في قلوب المؤمنين.

أما أولئك الذين مازالوا يحاولون البحث عن مَزِيّة يتوهمون إمكانية وجودها في الامامة فإنهم أشبه بالمجانين أو أمثالهم ممن يبحثون بين اللُّقى والقُمامة عن لقمة يسدّون بها كرههم للحق والعدالة الاجتماعية.

وخيرٌ للذين يرسمون أنفسهم - بحيله - كمحامين عن الامامة أن يرفعوا الحجاب ويشهروا مقالهم عارياً من الألغاز والأقوال المعقّدة الفاسدة فعندئذ سيكون لهم حق الرد المفحم عليهم بما يفوق ويطغى على حجم مقالهم أو مواقفهم.

ولأن للمؤمن علينا حقّ النصيحة لذلك نتمنى أن يتأملوا في حكمة من يقول إن العاقل وحده هو بالتعيين من يحاول بإخلاص الالتحاق بتيار تدفق مصالح الشعوب وآمالها، وكذلك من طبائع بعض مرضى النفوس والعاهات العقلية أنهم يخطون إلى الأمام في أعمالهم ويتخلفون بإستحياء أو تهوّر في مقالهم ومقامهم..

وأصبح من نافلة القول التأكيد على أن تعميق الذاكرة الوطنية لليمن إنما يتأتى بالتدوين وممارسة ونشر أجناسه كافة، من يوميّات ومذكرات وشهادات ووثائق باعتبارها المادة الرئيسية التي يَسْتَمِدُّ منها المؤرخُ ملاحظاته وأفكاره وآفاق موقفه من المسيرة التاريخية لليمن.

فالتاريخ على غير مايتوهّم البعض بدافع الجهل أو المشاغبة على الحقيقة لايكن أن يكون شاشة للواقع مالم تكن مادته الرئيسةُ غزيرةً بالقدر اللازم والكافي. وبعبارة أكثر دقة إن المطلوب حالياً من المؤرخ ومدوناته التاريخية معاً الوصول إلى أوصاف محكمةٍ للأحداث كما جرت من حيث تسلسلها وجريانها على أمل أن ينجح المؤرخ المستقبلي في استخراج الاطار النظري لمحركات التاريخ في اليمن. ومن التفرّج وفساد الرأي حالياً الدعوة الى ضرورة التسلح بنظريات ومذاهب التاريخ لِسَبْر وتحليل ماتم التعرف إليه حتى الآن بالتدوين أو المشافهة.

فمعارفنا بماجرى مازالت دون الحجم المطلوب للتحقق من سلامة المنهج التاريخي في «التأمل الباطني» وتطبيقه على النصوص المنشورة.

وكما أنّ من الصواب القول بتساوي أجناس المادة التاريخية المدوّنه من حيث حقيقتها التاريخية بصرف النظر عن كونها وثيقةً أو شهادةً أو دراسةً تحليليةً وبالتحديد قبل الفحص والمعالجة ومطابقة التأملات - فإنه من تحصيل الحاصل أيضاً مناشدة أهل اليمن نَشْر مالديهم، وعلى وجهٍ خاص أولئك الذين كان لهم الفضْل الأجلّ في صناعة تاريخ اليمن الحديث مهما كان دورُهم صغيراً أو كبيراً.

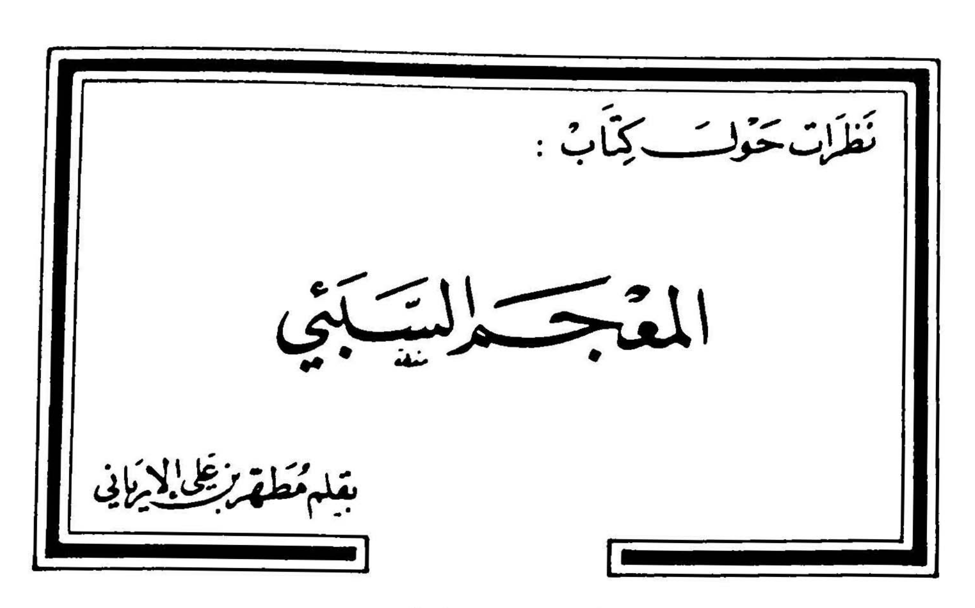
ولم يعد من غريب الآراء في مفهوم الحضارة التعريف بأن العمران والتدوين أمران ملازمان وضروريان لأمجاد حضارات الشعوب والأمم.

لذلك أصبح التدوين في أجناسه كافةً مهمةً وطنيةً ودرْعاً لذاكرة أجيال سبتمبر القادمة. ولأن المعارف في أهل النُّهى ذمم كما قال أبو الطيب رحمه الله لاينبغي أن ينالَ التردّدُ من أحد فيمنعه عن التدوين على الأقل - ولانقول النشر من حيث هو مطلوب اخيراً.

فرحمةً بيطولات اليمن ونضالها وشهدائها اكتبوا ياأهل اليمن، نثراً وشعراً، عن مقدمات الثورة وآفاقها وأيامها وتلك الملحمة العظيمة التي نُسج نصرها بدماء وتضحيات فحول الجمهورية في حصار السبعين يوماً.

رحمةً بذاكرة اليمن الوطنية، اكتبوا ياأهل اليمن، وانشروا فمسيرة العدالة والديمقراطية قد بدأت دليلها مبادىء سبتمبر وميثاقه الوطني على طريق مجد اليمن وعزته وإعادة وحدته الطبيعية.

رئيس التحرير



(نظرات عامة حول الكتاب)

ليترحمنّ الرحمن، على عبده (الدكتور محمود الغول) العالم الفلسطيني الذي وهب حياته للدراسات اليمنية القديمة، فاسدى لها الكثير من الأيادي البيضاء، ووافاه الأجل المحتوم عقب آخر انجازاته بالمساهمة في وضع واصدار (المعجم السبئي)، فلتمطرن شآبيب الرحمة على جدثه.

وليباركن ذو الأعالي، أشخاص عبيده المستشرقين.. استاذي (الدكتور فالترموللر الألماني) و (الدكتور. أ. ف. ل. بيستون الانجليزي) و (الدكتور. جاك ريكمانز البلجيكي) كوكبة صدق شاركهم وشاركوه في إصدار هذا المؤلف الصغير في حجمه والكبير في فائدته.

ولقد اصدر هذا الكتاب عام / ١٩٨٢ عن طريق (دار نشريات بيترز) و(مكتبة لبنان) وبمساعدة من (جامعة صنعاء) و(مركز الدراسات والبحوث اليمني) و(الصندوق البلجيكي) و(هيئة البحوث الألمانية) و(جامعة اليرموك الأردنية) وبمجهود تطوعي من المؤلفين الأربعة، رحم الله فقيدهم، وحفظ من بقي، وجزاهم جميعاً خير الجزاء.

وسيظل المهتمون بالدراسات اليمنية، يعبرون عن الشكر والامتنان، لهؤلاء السادة الأجلاء، كلما عاصت عليهم في النقوش السبئية كلمة، أو استبهمت لفظة، فلم يعتموا أن يجدوا في هذا المعجم حلاً لعائصها، وجلاء لمبهمها.

وكاتب هذه الأسطر، يسعده ان يشارك في التعبير عن هذا العرفان بالجميل، كما يسره أن يلتفت بالثناء على صديقه العلامة (الدكتور

يوسف محمد عبد الله المعافري) الذي تفضل بإهدائه هذه النسخة التي يدوّن عليها اراءه وتعليقاته.

وتقريظاً لهذا الكتاب بما هو أهل به، يمكن تلخيص مزاياه وفوائده فيما يلي:

أولاً:

سدَّ خللاً كان شاغراً، ولبّى حاجةً كان المشتغلون في هذا المجال يشعرون بمدى الحافها.

ثانياً:

جمع شتات ماالحقه المؤلفون والباحثون بكتبهم ومقالاتهم من القوائم اللغوية، واستكمل مافاتهم، وصحّح لبعضهم، واشق من هذا استدرك على مَن لم يضعوا لاصداراتهم جداول لغوية.

ثالثاً:

استوفى موضوعه، وهي المادة اللغوية في مااصطلح المؤلفون على تسميته بـ (النقوش السبئية) ـ دون غيرها ـ بحيث يستطيع المهتمون أن يطمئنوا الى أن ماتم اكتشافه من النقوش السبئية حتى أواخر عام /١٩٨٢/ قد تمت جدولته لغوياً في هذا المؤلف مع ايراد مقابله ترجمةً وشرحاً بإيجاز في كل من اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية.

رابعاً:

التزم بالاختصار الشديد، تسهيلاً للباحثين، ومسايرةً لهذا العصر المتعجِّل، وهوأمر نسجل هنا ايجابياته، وسيأتي استدراك على سلبياته.

خامساً:

يعد هذا المعجم أساساً يمكن البناء عليه، وإعادة اصداره كلما توفرت المادة اللغوية اللازمة، سواء تمت هذه الاعادة بنفس المنهج والنظام الابجدي الخاص، أم بمنهج آخر.

سادساً:

اتسم الكتاب بالموضوعية قدر الامكان، وبالدقة والتحري جهد الطاقة.. ومن علماء همْ غاية في الموضوعية، ومثال للدقة وشدة التحري، مع علم وخبرة لاتتوفران إلا لأمثالهم من المتخصصين الذين يقتلون مواضيع تخصصهم دراسةً وبحثاً.

وبعد: فإن مَنْ يعرف أحوال المؤلفين الأفاضل، ويعلم مقدار تعلقهم واستغراقهم في هذا الميدان.. يتيقن عن تجربة ومشاهدة أنهم يتطلعون بكل لهفة، الى كل مايمكن أن يثار حول عملهم من المناقشات والتوضيحات أو التصحيحات، اكثر بكثير مما يتطلعون الى تلقيّ الثناء والاطراء، وذلك لعلمهم بأن اليقين التام في شرح مفردات لغةٍ أو لهجةٍ أمِيْتَ استعمالها، لايمكن ان يتوفر دائماً، ولمعرفتهم بأنَّ مواطناً عادياً من أبناء اليمن قد يهتدي الى فهم هذه الكلمة أو تلك بشكل أصح وأكثر دقة، لالفضل علم لديه على أحد، بل ليمنيته وحدها، ولهذا أجزت لنفسي أن أقف على هذا المؤلف، لأعبر عن رأي حول الكتاب اسماً ومنهجاً بصفة عامة، ولأدلي بآراء وتعليقات حول عدد من مفرداته أو مادته اللغوية من الفاظ النقوش السبئية التي أوردها المؤلفون الأفاضل في هذا المعجم مع شرحها، وذلك للمناقشة والتوضيح والإدلاء بالرأي طَلَباً للحقيقة وخدمةً لهذا النوع من الدراسات وللقراء أيضا من متخصصين وغيرهم.

وسأورد كل ماأراه لازماً من الملاحظات والمناقشات حول كلمة إما تحت عنوان (رأي أو

توضيح) أو تحت عنوان (تعليق واستطراد) أو تحتهما معا حينما تتطلب الكلمة ذلك.

فأما (الرأي) فأورده حينما أجد أنني اختلف كلياً أو جزئياً مع ماأورده المؤلفون الأفاضل من شرح للكلمة مبيناً وجه هذا الخلاف.

وأما (التعليق والاستطراد) فالغرض منهما المزيد من التوضيح مع التطرق الى مزيد من الفوائد والمعلومات التي تعطي المادة مداها الأوسع الذي كان من المأمول أن يبلغه الكتاب لو أنه نهج منهج المعاجم التأسيسية الموسعة.

وقبل الوقوف على المفردات، أقدم ماسبق أن نوّهت اليه من الملاحظات حول الكتاب بصفة عامة، ملخصاً ذلك فيما يلي:

(١) اسم الكتاب (المعجم السبئي)

جاء عنواناً فضفاضاً يوحي بالاحاطة والشمول، والواقع أن الأمر ليس كذلك حيث ان الكتاب محدود من حيث موضوعه أو مادته التي ارتكز عليها، فموضوعه هو نصوص ماتم اكتشافه حتى تاريخ تأليفه واصداره من النقوش السبئية، ولاشك أن ماتم اكتشافه ليس هو النقوش السبئية كلها ولامعظمها الذي يصح الاكتفاء به بوجه ما، وهو محدود من حيث أنه لايهتم إلاّ بالمادة اللغوية البحتة ولم يتطرق الى الأعلام ولا إلى الأماكن والبلدان مثلما تفعل المعاجم الأخرى استكمالا للموضوع ونظرا لما للأعلام والاسماء من أهمية لغوية أيضاً وهو محدود من حيث أنه لم يتطرق إلى شيء من القواعد الصرفية واللغوية وخاصة تلك التي تساعد على فهم المدلولات اللغوية للمفردات؛ ورغم هذه المحدودية المتعددة الجوانب، جاء العنوان على هذا القدر من الاطلاق والتعميم.

ومن المؤكد بالطبع ان المؤلفين الأفاضل لم يتعمدوا هذا التعميم أو الايحاء به، والذي يبدو هو أن زيادة التحري في اختيار الاسم المختصر والجذاب والسهل التداول، هو الذي ادى الى هذا الاختيار، مع أن البداهة في هذا الأمر كانت هي الأحرى بالتوفيق الى حسن الاختيار كما فعل الدكتور (إ . ف . ل . بيستون) في دراسته التمهيدية التي قدمها في مؤتمر الحضارة اليمنية بعدن حينما كان هذا المشروع مطروحاً للنقاش، فقد اقترح عنوان (مشروع معجم لغة النقوش اليمنية)، وكان من الممكن حينما اختار المؤلفون حصر العمل في النقوش السبئية دون غيرها، أن يعدلوا قليلاً في العنوان ليصبح (مشروع معجم لغة النقوش السبئية)، وذلك لأن اختيار الاسم المختصر والرشيق في مثل هذا العمل العلمي البحت، ليس أمراً مهماً، بل المهم هو اختيار العنوان الدال بدقة على المضمون حتى ولو جاء طويلاً، ولهذا فلعله كان الأحسن من هذا وذاك اختيار العنوان الاكثر دلالة على الموضوع مثل (نواة المعجم اللغوي للنقوش السبئية المعروفة) أو نحو ذلك مما يشير الى محدودية العمل وأوليته ويترك الباب مفتوحاً للاستكمال والشمول.

(٢) الترتيب الأبجدي الجديد لمفردات الكتاب، طبقا لتسلسل الحروف اللاتينية

مع اضافة الرموز والاشارات الدالة على الاصوات التي لاتوجد أصلا في اللاتينية، جاء مخالفا للمنهج الذي كانت الدراسات في هذا المجال قد انتهجته واستقرت عليه، وهي مخالفة أكبر من مخالفة أولئك الذين خرجوا عن ذلك المنهج الى منهج الترتيب حسب تسلسل (الالف باء) العربية من المؤلفين العرب، وذلك لأن

المخالفة في هذا المعجم اضافة الى كونها مربكة من الناحية المنهجية، جاءت من الناحية المنطقية بعيدة عن روح الموضوع، الذي يندرج تحت مايعرف بـ (الدراسات الساميْة) ذات الصبغة الشرقية البحتة، بينما اللاتينية والحروف الأوروبية المنسوبة اليها ظاهرة تاريخية وحضارية غربية أوروبية خالصة، وذلك على الرغم من أن ترتيب الابجدية السبئية طبقا لترتيب الحروف اللاتينية أمر شكلي بحت، ولكن المسألة مسألة ذوق وانسجام من جانب، ومسألة خروج لم تقدم له اسباب منطقية عن نظام أبجدي سام، او منبثق من الأدبيات السامية وكان قد تم التعارف عليه والتعامل معه حتى ثبت ورسخ منذ عشرات السنين.

وللتوضيح أشير وأذكّر إلى أنّ الدارسين، كانوا منذ بدايات انشغالهم بهذا العلم - (الدراسات السامية ومنها التراث اليمني القديم) - قد اصطلحوا على ترتيبات خاصة لحروف اللغات أو اللهجات العروبية - السامية القديمة - مشتقة من نظام (أبجد هوز) ذي الأصل السامي القديم.

ولعل الأقدمين في الشرق العروبي القديم، قد جمعوا أقدم لهجاتهم في كلمات اصطلاحية هي حسب تطورها (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت) ثم أضيفت إليها (تخذ) لوجود هذه الأصوات ورموزها في بعض اللهجات. أما العرب فقد زادوا فوق هذا وذاك كلمة (ضظغ) لوجود هذه الأصوات ورموزها في لغتهم، وفي التراث العربي كانت هذه الكلمات الثمان معروفة، يُلقِّنها المعلمون المتعلمين وإن كان نظام (الف باء) هو الأشهر والمعمول به في تبويب المؤلفات والجداول والفهارس والمعاجم اللغوية الكبرى عدا (كتاب العين) الذي اختار له الخليل بن أحمد نظامه العلمي المعروف.

وفي هذا العصر، ومع بداية اهتمام الدارسين الأوروبيين بهذا الميدان من ميادين الدراسات لحضارات العالم القديم، نظر المختصون الى اللغة العربية فوجدوها أكمل شقيقاتها أصواتاً، وبالتالي اكثرها في الحروف عدداً، فاخذوا حروفها الثمانية والعشرين، واعادوا ترتيبها على نظام شبيه بالنظام الابجدي السابق، ولكن مع شيء من التعديل الذي يقدم حروفاً ويؤخر اخرى، بهدف جعل الحروف المتشابهة رسماً أو نطقاً أو هما معاً متجاورة أو متقاربة، فجاءوا بنظام أبجدي جديد يختلف عن سابقه بعض الاختلاف، وهووان كان مخالفا لسابقه إلاّ أنه منسجم مع طابع وروح هذه الدراسات الشرقية العروبية وليس مقحماً عليها من نظام لغة أخرى غريبة عنها مكانا وكُنْها.

وبهذا اصبح لدى المختصين من غربيين وشرقيين ومنذ بدايات انشغالهم في هذا المجال من الدراسات، نظام اصطلاحي لترتيب حروف اللغة العربية أبجدياً بكلمات تعارفوا عليها وهو كما يلي: (أبجدذ، هوز، حخطظي، كلمن، سعفصض، قرشتث.)

وحينما تفرعوا في دراساتهم العربية والعروبية، الى فرع الدراسات اليمنية القديمة، والتي تُعْنى بتاريخ اليمن القديم وحضارته ولغته أولهجته، نظروا الى هذه اللغة أو اللهجة فوجدوا انّ أصواتها التي تنطق بها، كانت هي نفس الاصوات التي نُطقت أوتنطق بها اللغة العربية الشمالية عدا صوتٍ واحدٍ لعله كان زاياً مفخمة اوشيناً مجهورة [1]. وبالتالي فإن عدد حروفها التي ترسم بها لم يزد على حروف العربية الا بحرف واحد كان يرمز الى ذلك

الصوت الزائد، ولهذا طبقوا عليها نفس النظام الأبجدي الذي وضعوه واصطلحوا عليه، مع اضافة الحرف الزائد بعد شين (قرشنث).

وقد التزم الدارسون منذئذ، بإصدار كل اعمالهم التي يلزمها التبويب الأبجدي، كالجداول اللغوية والفهارس بأنواعها ونحو ذلك مرتبة على أساس تسلسل الحروف في هذه الكلمات الأبجدية التي اصطلحوا عليها.

وبحكم استمرار هذا الالتزام لعشرات السنين، فقد تعود المختصون والطلاب وذوو الاهتمام، على العودة الى مختلف المراجع بناء على هذا النظام حتى الفوه ودُرِّبت عليه أذهانهم وأكفهم كما ذكرت، ولكن (المعجم السبئي) الذي يعتبر مرجعاً محورياً لكل ماسبق وماسيأتي من الدراسات اللغوية للنقوش، جاء مخالفاً لهذه القاعدة.

ورغم يقيننا أن المؤلفين الاكارم لم ينصرفوا عن هذه القاعدة التي رسخت، إلا لأسباب رأوها وجيهةً ومقنعةً، ولكننا لا نستطيع أن نتصور مدى قوة هذه الاسباب التي تحتم من هذا التعديل، ولم يشر السادة المؤلفون اليها في مقدمة الكتاب، ولهذا يبدو ان هذا الأمر كان بحاجة الى مزيد من التروي قبل الأخذ به، كما أنه فيما نظن يجب أن يظل مطروحاً للمناقشة إما للاقتناع به اذا كان لضرورة حتمية أو الانصراف عنه والعودة الى النظام الذي سارت عليه الدراسات في هذا المجال رَدْحا من الزمن.

ثم إن المؤلفين الأفاضل، أختاروا أن يجعلوا نظام الحروف اللاتينية أساساً لهذا النظام الذي اتبعوه، وقد تمت إضافة الحروف والاشارات التي ترمز الى الاصوات التي لاتوجد في اللاتينية موزعةً هنا وهناك حسب نظام رأوه، ونظراً لكثرة هذه الحروف والاشارات المضافة، فإن الترتيب الجديد لتسلسل الحروف قد جاء كما يلي: (أ، ع، ب، د، ذ، ض، ف، ج، غ، هـ، خ، ح، ك، ل، م، ن، ق، ر، س، ش، ص، ت، ث، ط، و، ي، ز، ظ) وهو ترتيب لاينبثق عن صميم الموضوع، ولايتفق مع الترتيب (الأبجدي) القديم، ولامع الترتيب (الأبجدي) المتعارف عليه، ولامع (الألف، باء، تاء) العربية ولامع الأصل (اللاتيني - إيه، بي، سي، دي . . . الخ) بل هو نظام مخترع، يصعب على المعني وضعه في كلمات اصطلاحية تجمع شتات حروفه، ويحتاج الى وقت للتمرن عليه، ويضع الدارسين في حيرة هل يبدأون منذ الآن في النسج على منواله في جداولهم وفهارسهم، أم يظلون ملتزمين بالنهج القديم، علاوة على مايفرضه على الدارسين من ارغام للنفس لتقبل الأمر والانسجام مع تطبيق ظاهرة لغوية غربيّة غريبة على لغة سامية شرقية.

واخيراً ارجو ألا اكون قد اطلت حول هذه النقطة، ولكن للأمر من الأهمية مايقتضي هذه الوقفة الطويلة.

(٣) جاء (المعجم السبئي) خالياً من أي حرف سبئي، أي من أحرف المسند، ولاعتب على السادة المؤلفين في هذا الأمر، لأن اضافة كتابة (المفردة) ثم كتابة الشواهد - مثلا - بحروف المسند، تحتاج الى وقت أطول، وجهد اكبر، وإمكانيات مادية وطباعية أوفر، وهم في كل ذلك قد عملوا بالحد المتيسِّر والقدر المتوفر، ولاشك أن بعض الشروط اللازمة لم تكن متاحة لهم ولاهم مسؤولون عن عدم توفرها.

ولم اقصد بهذه الاشارة، إلَّا التنبيه الى مايجب أن يكون في المستقبل حيث يتوجب على الجهة المعنية أكثر أن تتدارك مثل هذا النقص،

فيتم ايراد المفردة الاصلية بحروف المسند، ثم بالحروف العربية للصلة الوثيقة بين الجانبين، ثم بالحروف المصطلح عليها. كذلك يتم ايراد الشواهد المنتزعة من النصوص المسنديه.

(٤) سبقت الاشارة الى ان الاختصار صفة ايجابية على الدوام وبصفة أخص في هذا العصر السريع حتى البهر، والمزدحم حتى الاكتظاظ.

ولكن هذا الاختصار الشديد، الذي لانستطيع ان نقول انه قد أخل بالمعنى وإنما قدمه في اضيق الحدود، يمكن ان نقول فيه انه قد أدّى إلى إفقاد هذا الموضوع شيئاً من الحيوية التشويق.

وإذا كانت الأعمال العلمية البحتة، تتسم دائماً بالجفاف والجهامة، فإن الاختصار المُفْرط، والايجاز الشديد، والاكثار من استعمال الرموز والمصطلحات المبتسرة، تزيد الموضوع صرامةً وجهامةً الى حد العبوس والتزهيد.

ومما زاد كل ذلك بروزاً وحدة في هذا الكتاب، ان موضوعه الذي ينطلق منه أومادته التي يعتمد عليها ويستقي منها، ليست إلا مجموعة محدودة من النقوش المحدودة، ذات المواضيع الشديدة الايجاز والتركيز والرتابة، والمتشابهة كثيراً في ديباجاتها وخواتمها، مع عدم التنوع الكبير في صميم مواضيعها.

ولهذا فإن العمل الموسوعي بمعناه المعروف، لم يكن متوقعاً ولا ممكناً، نظراً لأسباب وظروف كثيرة، أهمها قلة النصوص التي هي المصدر المادي الممون لهذا العمل، وحَصْر المؤلفون العملَ في المجال اللغوي البحت وفي اضيق الحدود اللغوية دون التفات الى اسماء الأعلام واسماء الأماكن والقبائل والجماعات والأسر والألهة ونحو ذلك.

ورغم هذه الحدود القسرية والاختيارية، فإنه لم يكن هنالك مانع يحول دون طرح المادة اللغوية المتوفرة طرحا موسوعيا الى اقصى ماتتيحه النصوص.

ولعله كان من الأفضل عندما انعقدت النية على انجاز هذه المهمة، ان يكون من الواضح في الأذهان، ان هذا العمل إنما هو عمل تاسيسي يضع المبادىء ويرسخ القواعد، وبالتالي فإنه يجب أن يتسم بأكبر قدر من التوسع والتفصيل، فإن لم تكن الموسوعية الشاملة متاحة، فلا أقل من استقصاء كل مادة من مواده الى أبعد مدى، من حيث استيفاء الصيغ الفعلية والاسمية وطرق استعمالها مع ايراد اكثر عدد من الشواهد والامثال على كل حالة، وعقد المقارنات، وايراد التحليلات والتعليلات مع التطرق الى فقه اللغة وقواعدها، والاقدام على الحَدْس العلمي في طرق نطق المفردات وافتراض صيغها الأخرى واشتقاقاتها التي لم ترد عليها الشواهد مع التنبيه الى أن هذا الحدس أو الافتراض يقوم على القرائن القوية والحس اللغوي المتمرس ان لم يتم على الدليل المباشر.

والخلاصة هي أن هذا العمل كان يجب ان يكون من حيث طريقة شرح مواده اللغوية المتوفرة باعتباره عملاً أساسياً وتأسيسياً لامجرد جمع للجداول اللغوية أوعملية تيسيرية تعمد الى اختصار المطولات او ايجاز المفصلات أو تنقيح المتشعبات طلباً لمزيد من التخصيص وتسهيلاً للباحثين.

وبهذا كان من الممكن ان تزول عن الكتاب بعض مظاهر الصرامة والجهامة، وأن تنزاح عنه صفة اخرى جعلته يبدو وكأن مجموعةً من العلماء اتفقوا فيما بينهم على أن يضعوا لأنفسهم ولمن في مستواهم من المتفرغين مجرد

دليل يسترشدون به في الرجوع الى النقوش ومضامينها من أقصر الطرق وفي أضيق الحدود على طريقة الباحث الذي يبدو وكأنه واقف على قدميه تعجلاً واستعجالاً، ولايريد إلا إكمال جملة في سطر أوملء فراغ في جملة بقلب بارد وعواطف جافة.

ومع ذلك، ورغم كل ماتقدم، فإن كل امرىء لايمكن أن يكن للمؤلفين الكرام، الا كل احترام وتقدير، فإنهم قد بذلوا كل الوسع المتاح، واجتهدوا ماوسعهم الاجتهاد؛ والأثر يقول: لكل مجتهد نصيب فمن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد واخطأ فله أجر واحد؛ وفي الواقع إن المؤلفين الأفاضل لم يخطئوا في صميم الموضوع وجوهره من حيث الصحة والسلامة وبلوغ المدى دقةً وتحرياً، ولكنهم ربما يكونون قد اقصروا عن بلوغ الشأو الذي كان بمقدورهم الوصول اليه من حيث استقصاء المادة اللغوية بجميع جوانبها العلمية، وذلك لظروف عملية وقسرية كثيرة، إلاّ أنه يدخل في هذه العوامل منهج الاختصار والايجاز الشديدين المتزمتين . . . هذا النهج الذي قسروا انفسهم عليه .

حول
(بعض المفردات)

توضيح :

سأذكر من كل حرف، الكلمات التي لي عليها إما (رأي) أو (تعليق واستطراد) .

فأما الرأي فاعني به أني اختلف جزئياً أو كلياً مع السادة المؤلفين حول الشرح الذي أوردوه للكلمة باللغة العربية.

وأما التعليق والاستطراد فاعني بهما التوسعات والتوضيحات التي أرى انه كان على المؤلفين الافاضل التطرق اليها أو إلى بعضها تحقيقاً لمزيد من الفائدة وصولا إلى شيء من الموسوعية في طرح الكلمات وشرحها على الأقل.

والحرف الذي قد لا أجد فيه ما أبديه لن أورد منه شيئا.

(حرف الألف)

(١)

(أ ب د)

المعجم :

(أبدتُ - اسم بصيغة الجمع في سياق حربي جام ٦٣٣/٧-) = مُتَطَوِّعَةٌ، جُنْدٌ شذّاذٌ، جُنْدٌ غير نظاميٌّ - لاحظ ٧ - ٥٣٨ - ؟

الرأي :

(أَبـداتٌ - بفتح فسكون وتصلح بفتحتان . أو، أَبِداتٌ - بمد فكسر - لولاهما صيغة جمع مفردها آبدة، والثانية صيغة جمع مفردها أَبِدَةٌ .) ومعنى (الأَبْدَةُ) أو (الأبلة) فيما أرى هو: تنافرٌ واستيحاشٌ، أوعصيانٌ وتمرد، مع اعتصام أوتحرز وتحصن ، وذلك بين مجموعة من الناس أو بين طرفين أو أطراف منهم؟ والشاهد المسندي هو: «. . . وليمنّ عليه الإله بالشفاء من مرض مرضه منذ أن عاد من المقر الرسمي في لحج، بعد أن كان سيده الملك قد انتدبه وأرسله للقيام بمهمة اصلاحية لتهدئة الحميريين واعادتهم الى الوضع القانوني السليم، وذلك بعد اضطراب حصل بسبب (آبداتٍ أو أَبِداتٍ) كانت قد حدثت بين جيشي الدولة الرسميين. . الخ جام/ ٦٣٣ سطر/ ٥ - ٨).

التعليق والاستطراد:

أشار المعجم الى النقش الرئيسي وربما الوحيد الذي استقى منه هذه الكلمة بالمعنى الذي سبق شرحها به، وهذا النقش هو (جام /٦٣٣)، والأمر كذلك بالنسبة لى فلا أعرف نقشا آخر وردت فيه هذه المادة بالمعنى المغاير الذي فهمته منها وشرحتها به شرحاً مخالفاً لما جاء في المعجم.

وقد أشار المؤلفون الأفاضل في المعجم، الى شيء من الشك يخامرهم في المعنى الذي شرحوا به هذه المادة، ولهذا تخللت فقرة شرحها القصيرة علامة استفهام تعبيراً عن هذا الشك. وأنا بدوري لم أملك إلا أن اختتم شرحي لها بعلامة استفهام رغم غلبة اليقين عندي على الشك وأنا متأكد أنهم ايضا لم يختاروا ذلك المعنى لشرحها الا بعد غلبة اليقين على الشك عندهم، ولكنهم بحكم قلة الأدلة المباشرة لورود الكلمة في نقش واحد فقط على الأرجح، فضلوا بما عرف عنهم من الدقة البالغة أن يضعوا علامتي الاستفهام تحسباً لمزيد من النقوش والأدلة القطعية.

والمؤلفون الكرام لم يذلوا بحججهم وقرائنهم التي اختاروا على اساسها ذلك المعنى لشرح الكلمة.. لم يفعلوا ذلك هنا ولا في أي مادة أخرى من مواد الكتاب تمسكاً منهم بالنهج الصارم الذي طبقوه.

أما كاتب هذه الأسطر فإنه مدل بشيء من ذلك، ورغم عدم توفر الأدلة القطعية حول هذا الأمر، إلا أن هنالك قرينةً تاريخيةً تساعد على تصويب المعنى الذي اخترته، هذا من جانب، ومن جانب آخر هنالك قرائن قوية تكاد تكون أدلةً وذلك مما جاء حول هذه المادة ومعانيها في لغتنا العربية القاموسية هذا البحر الخضم الذي لا يسبر غوره ولا يحيط علم عالم بأرجائه.

فأما القرينة التاريخية، فمن أجلها نعود إلى النقش المستشهد به لنجد أن صاحبه رجل معروف في عهد ملك معروف وفي نقشه يشير الى مكان معين وكتلة سياسية معينة وحادثة ذات قيمة تاريخية محدده. أما الرجل صاحب النقش فهو (أبو كرب أحرس العبلي) أحد كبار القادة المحاربين الذي دوّخوا الأرجاء في سبيل سيده الملك، وأما الملك الذي عاش في عهده وجنّد طاقاته من أجل ترسيخ ملكه الكبير، فهو الملك شعر أوتربن علهان نهفان بن بريم أيمن بن أوسلة رفشان بن همْدان الحاشدي الحميري أول من أعاد الإخاء والتحالف والتضامن بين كتلتي (سبأ) و(حمير) الى سابق عهدها من القوة والمتانة بعد حروب دامت قرونا بين مد وجزر، والنقوش تحدثنا عن هذا الملك العظيم ونجاحه في التغلب على عوامل الفرقة والخلاف وإعادته **لصروح الوحدة السبئية الحميرية الى أوج قوتها بعد تلك الحروب الطويلة.**

وفي ظل الحروب السابقة كانت البلاد قد شهدت نظامين وكيانين وجيشين رسميين ايضا هما (خميس سبأ) و(خميس حمير) نخصهما بالذكر لعلاقتهما بالموضوع وبعد عودة الوحدة والتحالف بقي من مظاهرها (على الاقل في أوائل عهد هذا التحالف) بعض المظاهر المزدوجة ومن ذلك وجود ازدواجية في الجيش وبقاء الجيشين السابقين باسميهما ولكن تحت قيادة واحدة مالبثت أن قويت وترسخت.

والنقش يحدثنا أن الملك شعر أوتر انتدب قائده (اباكرب أحرس) في مهمة لها شأنها الى منطقة (الحج) في صميم أراضي حمير وقبائل حمير. فماهي هذه المهمة؟.

افـترض - أو هكـذا نفـهم - مؤلفـو (المعجم السبئي) الكـرام، أن الملك كلّف قائده أن يقـود مجمـوعـاتٍ من الجنـود المتطـوعـة الشذّاذ غير النظـاميـين الـذين كانـوا مجنـدين ضمن الجيشين الرسميين (خميس سبأ) ول(خميس حمير) وأن ينطلق بهم في مهمة حربية تأديبية الى منطقة (لحج) ضد الحمير يين وهنالك قام بمهمته وبقي ما شاء له البقـاء وأصيب بمـرض مّا كان ينتابـه مرة كل سنـة (دورَمْ بخريفمْ) فعاد الى مأرب وسجل ذلـك النقش، وللمؤلفين الأفاضل مبرراتهم في هذا الافـتراض المستنتج فإن شعـرأوتـر كان في حرب مع الحمـيريـين قبـل النجاح في إعـادة صياغة ملحمة الوحدة والتحالف من جديد، كما أنـه بعـد قيـام صروح التحالف لايخلو الأمر من بعض المشـاكـل التي تستوجب من الملك المبادرة الى معـالجتهـا . ولكن هذا التصور يضعف عنـد التـمحيص في كلا زمنيـه المـحتملين ـ قبـل أو بعد الوحدة والتضامن ـ فإن كان قبل ذلك فما كان الملك شعـر أوتـر بقـادر على ارسـال ولا من المنطقي أن يرسـل حملة تأديبية من شذّاذ الآفاق الى منطقـة هي من أعـز مناطق حمير علاوة على موقعها الذي يعتبر فيما يمكن أن يسمى بالخطوط الخلفيـة للجبهـة الحمـيريـة التي كثـيرا ماكانت تستقـر مقـدمتها في كل من صنعاء ومأرب . وإن كان ذلـك بعـد قيـام الـوحـدة والتحـالف ، فإنـه لا الملك شعـرأوتـر بأهْـلٍ لأن يؤدب أحد جناحي مملكتـه وعمـودي قوتـه وفي منطقة أهلها من أشد حمير بأسـا بمجموعة من المتطوعة أو المرتزقة، ولا الحمير يون بأهل لأن يقبلوا بذلك، ولا القائد أبو كرب أحـرس بأهـل لهذه المهمـة وهـو قائد حرب اليمامة ضد كندة ومقتحم عاصمتها (قرية) .

وأمـا كاتب هذه الأسطـر فإنـه يتصور أن الأمـر بعـد نجاح التحالف والاخاء قد استدعى اجـراء الكثـير من الـترتيبات لتحقيق الاستقرار والانـدمـاج ، ومـن تلك الـترتيبـات أن قوة عسكـرية مكونة من وحدات مختارة من الجيشين الـرسميـين (خميس سبأ) و (خميس حمير) قد وضعت في معسكر واحد أو معسكرين متقاربين يقعـان ضمن أراضي (لحج) ، ويتصور أنه من الطـبيعي بسبب رواسب المـاضي أن تثـور بين عنـاصـر هذه القـوة بعض انفعـالات الماضي مما أدى إلى التنـافـر بين الجانبـين وقيـام الـوحشـة والتشـاحن والتمـردات أو التحـرزات والتأهبات بين الجـانبـين عدة مرات مما أدى إلى اضطـراب حبـل الأمن بين سكـان المنطقة من الحمير يين . وفي هذه المـرة انتخب الملك أحـد أهم قادتـه للانطـلاق إلـى الـمنطـقـة لمحـو آثـار هذه (الأبـدات) أو (الأبدات) ومعالجة مضاعفتها بين ذوي الشأن في المنطقة من الحمير يين ومن معهم .

ومن هنـا يأتي الـوجـه للمقـارنـة بين الشـرحين السـابقين لكلمة (أبدت ـ ابدتم) كما جاءت في الـنقش واختيـار الشـرح المنـاسب والأقـرب إلى الصحـة ، وهـو أمـر لا يسلم إلى حقيقة كاملة وإنما المسألة مسألة ترجيح أنا فيها لا أزال قابلا للخيارين أو لخيار جديد ، ولعل مجيء هذه الـكـلمـة في فاتحـة ما أعلق عليـه من الكلمات ، يشكـل فرصـة يطلع من خلالهـا من ليس متمرسـاً ولا متفـرغـاً لهذا المـوضـوع على طبيعـة هذا الميـدان وبعض ما فيـه من المجـاهل والتفـرعـات والاستكنـاهـات التي قد تكـون في بعض الأحيـان ـ وليس في أكثـرهـا ـ ضـربـاً من الـرجم بالغيب ولكن بنوع من الربط والاستنتاج والحدس الحريص .

وأما ما أشرت إليه من القرائن المنتزعة من بحر لغتنا القاموسية وما جاء في بعضها حول هذه

المـادة (أ ب د) ومعـانيها واستعمالاتها ، فيكفي فيـه أن نستطرد للوقوف على بعض ما جاء عنها في موسـوعـة (لسـان العـرب) للعـلامـة ابن منظور ، مما يعزز إلى حد ما ما اخترته من شرح لهذه المادة الـواردة في أحد نقوش المسند ، وليس لي الحق ابـداً في أن ادعـو أحـداً إلى الانحياز لشرحي فالمثل يقـول : «الغـريم وحده فلاج » وإن كان الـواقـع أنـه ليس في الأمـر غريم ولا غرمـاء ؛ بل فيـه صاحب رأي يدلي بما لديـه من الحجـج لتعـزيـز رأي يراه ، وصـاحب رأي آخر ناقش وحاور وجادل ومحص مع نفسه أو في نطاق محدود ثم أنزل للناس خلاصة رأيه بدون الادلاء بحججـه ومرتكـزاته والتي لا شك في قوتها لو أنه كان مطالباً بالحجة وملزماً بها وهو في الحقيقة ليس مجبراً على ذلـك لأنـه مختص ينـزل للنـاس بخـلاصة علمه وتجاربه بكل حرص وأمانة ولكن يا حبـذا لو أن مؤلفي المعجم السبئي الأجـلاء أدلـوا بين الحين والآخـر ببعض القـرائن والأدلة ليتم أحـد أمرين : إمـا الاقتنـاع والموافقـة من المتلقي أو الـدخـول معهم في الحـوار على أسس واضحـة من معـرفـة مدى قوة المرتكـزات التي وصلوا بها إلى تلك الحقـائق وذلـك نظراً إلى أن هذا الميـدان من ميادين الـدراسـات القديمة لا يزال فيـه مجال للحـوار والأخـذ والرد بسبب عدم استيفاء دعائمه ومقوماته .

يقـول ابن منظـور في مادة (أ ب د) عنـد تطرقـه إلى صيغـة (آبِد) من صيغهـا : يقال « جاء فلان بآبـدة ، أي بأمـر عظيم يُنفِر منـه ويسـتـوحَش » كما يقـول : « والآبـدة هي الـداهيـة . وجـاء فلان بآبـدة ، أي بداهيـة » ويتحدث عن مجيئها معبرة عن التوحش والنفور فيقـول : « والأوابـد هي الـوحوش » و« الآبدة هي الـتي توحـشـت ونـفـرت من الأنس » و « الآبـدة : الفعلة الغـريبـة » و« في الابل أوابد كالـوحـوش » و« أبـدت الـوحـوش تأبـدت أبوداً أو تأبدا : توحشت » و « أبد الرجل : توحش فهو أبد » .

ففـي هذه المـادة معنـى الخطب العظيم والـداهيـة والفعلة وفيهـا التوحش والاستيحاش والنفـور والتنـافـر ومـا يؤدي إليـه من الاعتصام والتحيـز والامتنـاع والتمنـع ، ولا شك أن كل ذلـك هو مما يمـكـن أن يظهـر من خلال دبيب الخـلاف وسـريان الشقاق واحتمالات القتال بين مجمـوعـة أو طرفـين أو أطـراف ، وكـل ذلك من الأمور التي تتطلب انتداب قائد محنك مثل (أبي كرب أحـرس) لمعـالجـة أسبابها وحسم مظاهرها واجتثـاث مخلفـاتهـا حتى لا تستفحـل وتتفـاقم وتكـون (آبـدة الأوابـد) أي داهيـة الـدواهي والمصيبة الكبيرة الخطيرة .

ومن يعرف قوانين اللغة وتطورات مفرداتها منـذ نشأتهـا الأولى إلى أن تستقر المفردة على ما هي عليه من الاستعمال الأخير ، يجد بين اللفظة اللغـويـة في بدايتهـا وبين ما استقرت عليه حالياً بونـاً كبـيراً وفـرقـاً شاسعاً من حيث خروجها من التخصيص إلى التعميم أو تراجعها عن التعميم إلى التخصيص ومن حلول المجاز محل الحقيقـة والفـرع محل الأصـل وغـير ذلـك من التطورات اللغوية العجيبة .

قال ابني وهو في مرحلة الشهادة الثانوية أنه غالب نفسـه حتى لا يضحـك أمـام استـاذه وهو يشرح لهم قول طرفة :

إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت إفراد البعير المعبد

وخـاصـةً حينـما أخـذ أستـاذه يشـرح لهم معنى (البعـير المعبـد) وأنه المطلي بالقطران المستخرج من بعض الأشجار وحينما أضاف أن العرب كانوا

(يعبدون البعير) أيضاً بالقطران الذي يبزّ من الأرض وهو (الزفت) . وقال إبني إنه لم يستطع أن يتصور (البعير المعبد) لأن التعبيد في ذهنه قد استقر على تعبيد الطرق والشوارع ؛ ومن جانبي استوعبت الفارق بيني وبينه في التلقي اللغوي وكيف أنني لا أجد في (البعير المعبد) أي غرابة لغوية نظراً إلى أنني قرأت أو سمعت هذا التعبير قبل أن يتردد على ذهني وسمعي تعبيرات (تعبيد الطرق والشوارع) بينما هو على العكس مني في هذا الأمر .

(٢)

(أ ب ل)

المعجم :

(إبِلٌ) المؤنث (إبِلةٌ) الجمع (أآبلٌ) = جَمَلٌ . . (جمل بعير) .

الرأي :

نعم : إن الـ (إبْل ـ بكسر فسكون ـ) في نقوش المسند هو الجمل المفرد أو البعير ، ومؤنثه (إبْلةٌ) أي : ناقة ، وجمعه (أأبُل أو أأبول) أي جمال أو ذود أو قطيع . كل ذلك كما ذكر المعجم ، ولا أضيف إلاّ المثنى هو (إبلتهن) أي جملان ، كذلك راكب الجمل وهو (أبِل ـ بمد الهمزة وكسر الباء) كما أضيف أيضاً بعض الشواهد . فهذا هو المواطن البسيط (ربيب إل اشوع) يتقرب إلى الإله (المقه) بقربان ويقول : « حمداً له لأنه نجّى عبده من وقعةٍ حدثت له عندما كبا به (إبْلُهُ) فانكسرت رجلُ (إبْلِهِ) ـ وسلم هو ، وذلك عندما كان سارياً به ليلا بالقرب من مدينة (يثيل) . الخ ـ جام / ٦١٩ ـ » ، وفي الجمع نجد (سعد تألب يتلف الجدنى) ـ مثلا ـ يقول : ... وأغاروا على (دُهر) و (رخْية) فالحقوا بالعدو مقتله وأحرزوا الكثير من الغنائم والأسرى والجمال ـ (أآبولم) ـ والأثوار والبقر والضأن . . الخ ـ جام / ٦٦٥ / ٢٤ ـ ٢٦ ـ » ، وفي الـ (آبل) بمعنى راكب الجمل أو المقاتل الراكب على الجمال الرواحل ، نجد (ايلشرح يحضب) يقول إنه في أحد المعارك قاد بعضاً من أقيال وألفاً وخمسمائة من جيشه وأربعين من فرسانه وقابل (شمر ذاريدان ـ شمريهحمد ـ) بينما هذا الأخير في جيش جرار يضم فيما يضم بين صفوفه « . . ستة عشر ألف آبلٍ . . » أي من المحاربين على الرواحل ـ انظر جام / ٥٧٦ / ١٥ ـ وفي مجيء كلمة (إبل) بمعنى جمل بعير نجد ذلك مثلا في نقش (أبرهة) الشهير الذي سجله حينما رمم سد مأرب حيث يقول إنه أنفق في جملة ما أنفق من المؤن العينية في هذا العمل « ثلاثمائة جمل بعير ـ أآبلم ـ من نبيذ العنب للسقي . . » ـ انظر (C ـ ٥٤١ ـ ١٢٧ ـ) ـ

التعليق :

ليس لي أي تعليق أو استطراد حول هذه المادة ، وقد حاولت أن أجد في لغتنا القاموسية أي إشارة تومىء إلى أنه قد بقي أي استعمال لهذه المادة (أبل) بمعناها هذا الذي هو الأقدم والأعرق للدلالة بها على الجمل الواحد والبعير المفرد ، فلم أجد شيئاً من ذلك ، بل وجدت ابن منظور مثلاً يبدأ هذه المادة مباشرة ومن أول سطر بقوله : « الإبْلُ والإبْلُ : معروف . لا واحد له من لفظه . . . الخ » ثم يفصل في هذه المادة التي هي من أهم المواد اللغوية في لسان العرب تفصيلاً شاملاً ودقيقاً دون أن يأتي في صيغها واشتقاقاتها وشواهد استعمالها ما يوحي ولو مجرد إيحاء بأنه قد بقي لها أي استعمال بهذا

المفهـوم للدلالـة على الواحد . ولا شك أن هذا تبـاين لغـوي لا نستطيـع الآن تفسـيره وهل هو عائـد إلى اختـلاف منـذ البـداية ؟ أم إلى تطور لغوي أصبح فيه الاسم المفرد اسم جمع ؟

(٣)

(أدب)

المعجم :

(أدب) . . . . . .

(آدبة) . . . . . .

(مأدبـةٌ ـ اسـم بصيغـة الجمـع ـ) = تابعٌ ، مولى .

الرأي :

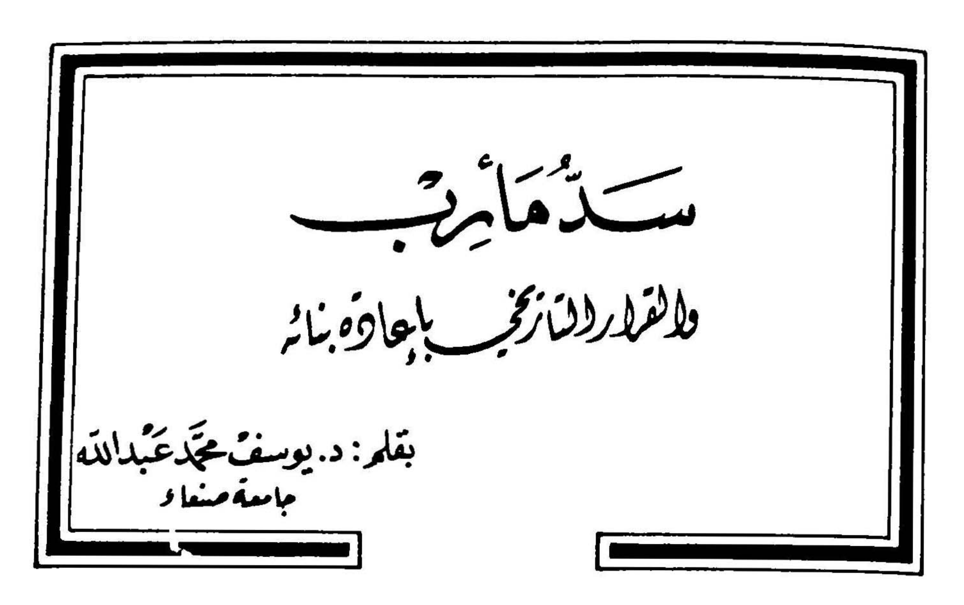
(مأدَبَـةٌ ـ اسم بصيغـة الجمـع ـ) = حلفـاء، أقـويـاء ، اعـوانٌ مهمـون ذوو مكـانـة والشـاهـد على ذلـك : « ذمـار علي يهبر وابنـه ثاران نصبـا ما منحـاه (لمادبتهمـا) بهـل أخضـر ، وشرح سميد ، وماجد . . . بني ذرانح . . الخ » .

التعليق والاستطراد :

رغم غمـوض النقش الـذي أوردت منه الشـاهـد ، إلا أن معناه العام يشير إلى أن (بني ذرانـح) الذي أهدى إليهم الملكان تمثاليهما هم اكثـر من مجرد اتبـاعٍ ومـوالٍ ـ كما جاء في شرح المعجم لكلمـة مأدبـة ـ بل هم حلفـاء أقـويـاء وأنصار ذوو مكانة رفيعة ، والنقوش الأخرى التي يذكـر فيهـا (بنـوذرانـح) تؤكـد أنهم أقيـال كبـار لقبيلة قويـة تدعى (ذمـار) أو أنهم زعـماء مدينة (ذمـار) الـذين يقـودون قبـائلهـا المتحـالفة مع (قشم) ، ومن أوضـح هذه النقـوش في التعبير عن هذه الحقيقة النقش (إ٠ / ٤٠) .

وقـد يكـون لهذه الـكلمـة في النقش أو النقـوش التي اعتمـد عليهـا المؤلفـون ، نفس المعنى الـذي أوردوه لها (أتباع وموالي) أو (تابع ومـولى ـ للمفـرد ـ) ولكنهـا تعني أيضـاً الحلفاء والأكفاء من الأعوان والأنصار كما ذكرت .

★ للبحث صلة



سد مأرب والقرار التاريخي بإعادة بنائه

بقلم : د. يوسف محمد عبدالله
جامعة صنعاء

لم يتمكن الانسان من الخروج من حلقة العصور الحجرية الرتيبة والتي لم يكن فيها الانسان شيئاً مذكوراً ، الا عندما بدأ يصطنع الحضارة . . والحضارة لا يصنعها الا المستقرون من بني الانسان . . وكان أساس التحول الى مرحلة الاستقرار هو الزراعة . ولم يستطع الانسان ان يطور أمور الزراعة الا عندما استقر على ضفاف الانهار والوديان حيث الماء الوفير والتربة الغرينية الخصبة . . ولم يكن ليتسنى له ذلك دون اقامة نظام للريّ يمكّنه من الاستفادة الحسنى من الماء الغزير والتربة الطيبة ويكفل بذلك انتاج الغذاء الجيد والفائض . . وهو امر لا يتم الا في إطار نحلة أرقى من المعاش . . هو حياة التحضر ومجتمع المدينة . . ويعتقد العلماء ان المنطقة الرئيسية التي توفرت فيها الشروط اللازمة لنشوء تلك الحضارة الزراعية هي منطقة غرب آسيا وخاصة بلاد ما بين النهرين ووادي النيل وحوض نهر السند ، واصطلحوا على اعتبار تلك البقاع مهد الحضارات القديمة . .

وتقع جزيرة العرب بما في ذلك بلاد الشام وبلاد اليمن ضمن منطقة غرب آسيا وهي مجاورة بل ملامسة لبقاع مهد الحضارات القديمة ، وتتوفر فيها الشروط اللازمة لنشوء الحضارة الزراعية . . ولذلك فانه من الممكن ان تكون بلاد اليمن (جنوب الجزيرة العربية) قد شهدت أيضا مراحل التحول الحضاري الزراعي الذي عُهد في الحضارات الاولى المجاورة ، وربما في الازمنة نفسها ، وانما في حقيقة الامر ينبغي أن تكون جزءا من بقاع مهد الحضارات وامتداداً لها . . ولا بد من البحث والتنقيب عن تلك الحضارات التي أهملت ولم تدخل ضمن بقعة الضوء الاثري بل انها لم تنل حظها من الجهود الاثرية كما نالته بقاع وادي النيل ووادي الرافدين وغيرها . . وان ما يعرفه العلماء عن سد مأرب ونظام الري التابع له من خلال ما توفرت من معلومات ينبىء عن دراية عميقة بشؤون الزراعة وأنظمة الري . وان السد ، كما يعهد في شكله المتطور الذي يعود تاريخه حسب المعلومات

المتوفرة الى الالف الاولى قبل الميلاد ، ليس سوى محصلة لتجربة حضارية طويلة ورائدة . . اذ ان نظام الري في ضفاف الانهار ، وهي دائمة الجريان ، يقوم على قاعدة شق الترع من الانهار وحسن التعامل مع مواسم الفيضانات ، بينما يقوم نظام الري في الغالب في ضفاف الوديان وهي موسمية الجريان ، على قاعدة اقامة سدود تحويلية عبر مجاري الوديان بحيث تحسن تصرف السيول بسرعة ومرونة ابان مجيئها الى الحقول على جوانب الوديان . كما ان السدود تقتضي اقامتها حاجة موجبة وظروف خاصة بالوديان الجافة ، وهي حاجة لا تستدعيها ظروف الانهار الجارية والكبيرة . ولهذا فان السدود في حقيقة الأمر هي من نتاج حضارة الوديان الجافة هي في الواقع من اختراع اهل تلك الحضارة . .

وتومىء الدلائل إلى أن حضارة وادي سبأ في مشرق اليمن لعبت دوراً كبيراً في نشوء فكرة السدود وتطوير أنظمة الري في الوديان الجافة . ولقد اقترن ذكر سد مأرب عبر التاريخ بسبأ والواقع انه ليس في تاريخ اليمن القديم ما يضاهي تاريخها .

فسبأ الارض والشعب والدولة هي عمود التاريخ اليمني القديم وتكوينه السياسي الكبير . . وقد ارتبطت بسبأ معظم الرموز التاريخية القديمة لليمن . . فسبأ هو عند النسَّابة ابو حمير وكهلان ومنهما تسلسلت أنساب أهل اليمن جميعا .

(وبلقيس) . وان اختلف الناس في اسمها وحقيقتها وتفاصيل قصتها ، هي عندهم في جميع الاحوال ملكة سبأ ، وهجرة اهل اليمن إلى بقاع الجزيرة وخارجها وما نتج عن ذلك من ملاحم قد ارتبطت بشكل او بآخر بسبأ وقيل في الأمثال (تفرقوا أيدي سبأ) ، وآخر دولة في اليمن قبل الاسلام عرفت عند الاخباريين بدولة حمير ، ولكن ملوكها كان يحرصون على أن يتصدر القابهم الملكية لقب سبأ . . فكانوا يلقبون بملوك سبأ وذوي ريدان (وذو ريدان هم حمير) . والبلدة الطيبة التي أشار إليها القرآن الكريم هي في الاصل ارض سبأ .

فتاريخ سبأ في حقيقة الامر هو تاريخ الحضارة اليمنية في فجرها وازدهارها وأفولها . . وسد مأرب في أرض سبأ هو رمز تلك الحضارة نشأ معها وصاحب أوج نفوذها وواكب فترات ضعفها وقوتها ، وشهد لحظات انهيارها وانهار على اثرها ، بل إن صدى تاريخ تلك الحضارة ظل يتردد وعلى مسامع الزمن مرتبطاً بسد مأرب آية تلك الحضارة (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) . .

وليس بوسع المرء أن يقرر بثبات وبدقة متى نشأت حضارة سبأ ، فالاخباريون العرب يذكرون أن تلك الحضارة موغلة في القدم . ولكنهم لا يتفقون في تحديد الأزمنة بل يتجاهل معظمهم تقدير مدى ذلك الايغال في القدم . ويجمل قولهم في هذا الصدد أن قحطان أول من ملك أرض اليمن وأول من تتوج بها ، وهو جد عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذي تسمى بسبأ ، وهو الذي بنى سد مأرب ، وكان العقب والذكر والملك لولديه حمير وكهلان ، أما العلماء المحدثون فيجمعون على أنه كان لسبأ حضارة راقية في أرض سبأ نشأت قبل الميلاد بقرون . . ولكنهم يختلفون في مبدأ نشوء تلك الحضارة ، ومرد ذلك الاختلاف إلى كون الدلائل الأثرية المتوفرة على كثرتها ، ما زالت ناقصة وقاصرة ، وأن الشواهد الكتابية التي عثر عليها لا تزال غير كافية ، ولا تفي تماماً بحاجة الباحث ، وان هو أراد اعادة رسم الصور

التاريخية الجليّة لتلك الحضارة العربية العريقة .

وللانصاف فان اليمن لم تنل من حظ الدراسات الأثرية والاكتشافات التأريخية ما نالته مواقع الحضارات القديمة الأخرى ، بل إنها لم تنل ما تستحقه فعلا ، إذ لم تكن اليمن في العصر الحديث في منقطة الضوء كمصر أو العراق أو بلاد الشام أو الهند ، وقد اعتاد الناس في العصر الحديث أن يتحدثوا عن حضارات الشر ق القديمة مثل مصر وبلاد الرافدين ، وعن حضارات اليونان والرومان ، وقلَّ أن يلتفت الباحث منهم الى ذكر حضارةٍ قامت في اليمن ، ولم تكن بالنسبة لهم تلك الأخبار المبثوثة في المؤلفات العربية عن اليمن القديمة والمعلومات المتفرقة في المصادر الكلاسيكية والكتب الدينية سوى بضع رموز تأريخية باهتة ، تستجرّ شبح الماضي وتضفي عليه شيئاً من سحر الشرق ومكنونات أسراره ، أكثر من كونها عندهم قرائن وأدلة بيّنة تومىء الى تلك الحضارة وتستشرق آفاقها التأريخية البعيدة .

ومع ذلك فقد أثمرت الجهود العلمية القليلة التي بدأت في اليمن منذ القرن الماضي ، واستمرت على تقطعٍ في هذا القرن ، وخاصةً تلك الجهود التي بذلت منذ مطلع العقد الثامن . وبامكان المرء أن يزعم أنه رغم ذلك القصور واعتباراً لما توفر من شواهد أثرية وقرائن دالة ، أن الحضارة السبئية كانت موجودة في الألف الأول قبل الميلاد على الأقل ، وأن هذه الحضارة قد تركزت أولاً في المناطق الشرقية من اليمن ، حيث تلتقي سفوح الجبال والصحراء ، على ضفاف الوديان التي تسيل من الجبال باتجاه الصحراء وتسمى تلك الصحراء بمفازة صيهد ، وهي في الواقع جزء من فلاة اليمن أوجُرُزها الشرقي والتي هي بمنزلة تهامة في غرب اليمن .

وأهم الأودية التي تسيل باتجاه الصحراء هي وادي أذنة ووادي بيحان ووادي مرخة ووادي مذاب ، وعلى وادي أذنة قامت مدينة مأرب عاصمة السبئيين ، [وعلى وادي بيحان كانت تقع مدينة تمنع عاصمة القتبانيين ، وعلى وادي مذاب كانت مدينة قرناو عاصمة المعينيين . وكان هناك أيضاً واديان مهمان ويجريان باتجاه البحر العربي في المحيط الهندي ، ويصبان فيه ، وعلى صلة متينة بمراكز الحضارة في مشرق اليمن وهما وادي حضر موت وكان يقع عليه كثير من مدن دولة حضر موت الشهيرة ، باستثناء شبوة العاصمة ، مثل سيئون وتريم ، ووادي بنا . وفيه نشأ تجمع الحميريين الذين استقروا في نهاية المطاف في أعلى الوادي ، وبنوا عاصمتهم ظفار هنالك . أما إلى الشمال من وادي الجوف فكان يقع وادي نجران وتصب فروعه في فلاة اليمن ، أيضا وعلى هذا الوادي قامت مدينة نجران ، وكانت ملتقى طرق التجارة السبئية ، ومركز انطلاق تلك التجارة نحو شمال الجزيرة وشرقها . ولا ريب أنه على الهضبة اليمنية وعلى ضفاف الأودية من مغرب اليمن فقد قامت مستقرات هامة أيضاً ، وقد لعبت دوراً كبيراً في تاريخ اليمن في فتراتٍ لاحقة ، ولكن تناول ذلك يخرج عن اطار هذا الحديث] .

وكان من أسباب ازدهار الحضارة على ضفاف الوديان في المشرق هو مرور الطريق التجاري البري المشهور بطريق اللُّبان عبرها ، ويرجع العلماء أن استئناس الجمل في الألف الثانية قبل الميلاد هو الذي أحدث ثورة النقل البري ووسّع النشاط التجاري في الجزيرة العربية ، فالجمل بما له من صفات جسمية يصلح للركوب وحمل الأثقال لمسافات طويلة وبلاد بعيدة لا تبلغ الا بشق الأنفس ، وخاصة

عبر الصحراء ، ولهذا ازدهرت التجارة البرية وحركة القوافل بين أرجاء الجزيرة ، وكان أنسب طريق هو ذلك الذي يمر على موارد المياه في المناطق الخالية من الأوبئة حيث تلتقي الجبال بالصحراء وخاصة مشرق بلاد اليمن حيث كانت قد نشأت تدريجياً حضارة الوديان ومنها حضارة السبئيين .

وكان اللبان مادةً أساسيةً لدى تقديم النذور للآلهة ، كما كان المرّ يستعمل في التحنيط ، وفي تحضير مواد التجميل ، ويدخل كلاهما في تحضير الأدوية المركبة ، وكان لهاتين السلعتين ، على وجه الخصوص ، إقبال كبير في العالم القديم ، وكانا يستهلكان في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط وغيرها ، فكان أن اهتم أهل اليمن بانتاجهما وانتاج وتسويق غيرهما من السلع النادرة ، وحرصوا على كتمان أسرارها في سبيل احتكار تجارتها ثم طوّروها حين عرفوا حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي وحذقوا الملاحة وبناء السفن وبذلك بدأوا يحسنون استغلال موقع بلادهم الجغرافي الممتاز ويقومون بدور الوسيط التجاري بين سواحل الهند وشرق أفريقيا من ناحية وشمال الجزيرة وحوض البحر المتوسط من ناحية أخرى .

وهكذا أسهمت التجارة ومورده المالي الوفير بقسط وافر في انعاش الحياة العامة وازدهارها بمراكز الحضارة القديمة من مشرق اليمن وخاصة قلب تلك الحضارة في أرض سبأ وعاصمتها مأرب ، والتي شيد على مقربة منها وفي مضيق وادي أذنة سد مأرب العظيم ، آية ما وصل اليه السبئيون من رقيّ حضاري وكفاية اقتصادية ومهارة فنية في مجال السيطرة على المياه ، ودراية وخبرة في مواجهة الظروف الطبيعية القاسية وحسن نظر وتدبير في استغلال تربة الأرض الطيبة .

وتعتبر بقايا سد مأرب أهم شاهد أثري ودليل مادي على أن اليمن شهدت حضارة زراعية راقية وتكاد أن تقطع الدراسات المختصة والعديدة أن السد في شكله الاخير والذي تنبىء عنه الآثار والنقوش الباقية ليس سوى محصلة تجربة طويلة من الحياة الزراعية المتقدمة والمكثفة . كما تشير إلى أنه كان موجوداً بهذا الشكل الراقي في النصف الاول من الألف الاول قبل الميلاد . . بل إن آخر الدراسات التي أجريت في منطقة السد ، وهي دراسة علمية جادة صدرت عام ١٩٨٣ م ، اثبتت أن أسس سد مأرب يعود تاريخها إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد على الأقل [1] .

ومن المعلوم أن تفجر سد مأرب قد ترك صدى كبيراً وشاع ذكره في كتب التراث والأخبار خاصة وأنه كرم بالذكر في القرآن الكريم قال تعالى : (فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) . . والعَرِم هو السد ، وبمقدار ما كان تعميره رمزاً لازدهار حضارة اليمن القديم ، صار تفجره ذكرى انهيار تلك الحضارة . . وكانت حادثة تفجره الأخير قريبة العهد من فجر الاسلام ، وتناقل الناس أخبار الحادثة الكبيرة ، وبقيت عالقة في أذهانهم ، كما ارتبطت بهجرة أهل اليمن وتفرقهم في الأمصار ، قبل الاسلام وبعده حتى صارت جزءاً من موروثهم وذكريات ماضيهم ، وتتجدد دوماً بالحنين وتُعَزّز بالفِخار .

فكان أن تضخمت أخبار السد عبر تواترها وغلب عليها روح المبالغة ونَفَس الملاحم ، وامتزجت الحقيقة بالخيال واختلط مع تقادم العهد صوت التاريخ بصداه . فقالوا مثلا ، إن بناة السد هم العمالقة من قوم عاد . وقالوا إن

بانيه هو سبأ بن يشجب وجعل مياه سبعين نهراً تصب فيه ولكنه مات قبل أن يتم تشييده .. فأتم ملوك حمير .. وقالوا ما مجمله إن فأراً كبيراً ذا أسنان ومخالب حديدية قرضت حوائط السد الحجرية حتى تداعت كل المباني ، وأهلكت الزرع .. وكان أهل سبأ قد علموا من كتبهم ونبوءاتهم أن سدهم كان قدره الهدم بواسطة فأر اسمه الخلد ، ولذلك وضعوا قطة على كل فتحة بين حجرين ، وعندما حان القضاء أتى فأر لونه أحمر إلى إحدى هذه القطط وهاجمها .. وعندما تراجعت القطة دخل الفأر في الفتحة وحفر فيها ، ولما نزلت السيول وجدت شرخاً تسربت منه المياه ، فتداعى السد وغمرت المياه الأراضي وملأت مساكن القوم بالتراب (٢) ..

ولا ريب أن القارىء لتلك الأخبار سيجد في تفاصيلها شيئاً من الحقيقة ، كوصف الأجزاء الباقية من السد ، وذكر المصارف والقنوات ، وتبيان دور السد في حياة الناس ، وفضلُ الله عليهم في أرضهم الطيبة .. ولكنّ أحداً من هؤلاء المؤرخين والاخباريين لم ير السد أو آثاره - باستثناء الهمداني كما سيأتي - وقد دوَّنوا ما سمعوه وما تواتر عندهم دون التثبت من الحقيقة ، أو حتى التساؤل عما إذا كان بعض ذلك القصص معقولا أم لا ، كعادتهم في ذكر أخبار الأولين ممّن تقادم عهدهم ، وبعدت الشقة بين عصرهم وعصور تلك الأمم التي سبقتهم في حين من الدهر . ومن المعلوم أن سد مأرب قد عاصر عهود التاريخ اليمنى القديم أكثر من ألف وخمسمائة عام وقد شغل الناس ذكره في الجزيرة وملأ الأسماع إبان كان قائماً ، وبعد تفجره صار ذكره من الموضوعات المفضلة لدى الاخباريين وقد ساعد على ذيوع صيته عندهم ذكره في القرآن الكريم واتخاذه من حادثة السد عبرة تعتبر لمن أعرض عن الله وجحد نعمائه .

ومع ذلك فان تلك الأخبار الطريفة والحكايا الشيقة الموشاة بضروب من الخيال العجيب ، قد أضافت بحق إلى ملحمة التاريخ اليمني وأدبه الشعبي القديم صفحةً رائعة من القصص الممتع الجميل ..

على أن الاستفادة عموماً من تلك الأخبار قليلة خاصة حينما يكون المراد هو معرفة تاريخ السد وتطوير بنائه ونمط تشييده وطريقة عمله ، ونظام الري وشبكة القنوات التي كانت تنتظم ذلك والجدوى الاقتصادية والحاجة الزراعية من ذلك كله .

كما أن طبيعة الرواية القصصية وكونها تهدف للمتعة والفائدة معاً ، وكذلك منهج العصر في التدوين وتناول أخبار اليمن ، قبل الاسلام . وبحكم تقادم العهد والبعد عن اليمن فإنّ تلك الاخبار قد لا تسعف في معظمها على تبين الامكانات الفنية والشروط الطبيعية والظروف الجغرافية والمناخية التي اكتنفت عملية بناء السد ، وأملت نظام الري التابع لها .. اذ أن الوصول إلى بعض هذه المعارف يتطلب توفر دراسات حديثة ميدانية مفصلة لمنطقة السد ، وأبحاثاً متخصصة تنتهج أساليب علمية ، يقوم بها ذوو الشأن مثل علماء الجغرافيا ومهندسي الري وعلماء الانثروبولوجيا ، وعلماء الآثار القديمة والنقوش اليمنية وغيرهم ..

وللانصاف فان شيئاً من ذلك قد تم فعلا وأزعم أن طرفا من تلك الابحاث المتخصصة قد تحقق وأن معارف مفيدة بهذا الخصوص قد توفرت ، علماً بأن لسان الحال في هذا الأمر ما زال ماثلا وهو : أن الطريق إلى ملوب شاق وطويل .. اذ لا بد من حشد الجهود لاستكمال تلك الدراسات حتى يتسنى لنا إعادة رسم

الصورة التاريخية الممكنة والمعقولة لذلك السد العظيم ، وفق أصح المعلومات المتوفرة ، وأسلم النتائج التي توصلت إليها النتائج العلمية (٣) .

سبق وأن ذكر أن أرض اليمن تقع في جنوب جزيرة العرب ، أي في جنوب غرب آسيا ، وضمن البقاع التي شهدت فجر الحضارة الانسانية . وانها كغيرها من مواطن الحضارات القديمة في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية ، تتوفر فيها الشروط الطبيعية اللازمة لحياة الاستقرار ، وهي وإن كانت خاليةً من الأنهار الكبيرة الدائمة الجريان ، إلا أن فيها الوديان التي تجري فيها المياه موسمياً على جانبي النطاق الجبلي الذي يمتد عبرها . . وفيها القيعان الفسيحة التي تقع في ما بين القمم الجبلية التي تعلو الهضبة اليمنية . تلك الهضبة التي تشكل امتداداً لسلسلة جبال السراة الطويلة الممتدة عبر الجزيرة العربية ، بموازاة البحر الأحمر غرباً والصحراء العربية شرقاً . وتزداد تلك المرتفعات الجنوبية ارتفاعاً ملحوظاً عن غيرها بحيث يجعل منها مساقط حسنة للامطار التي تحملها الرياح الموسمية القادمة من المحيط الهندي . . فتهطل عليها الامطار بغزارة في الربيع والصيف . وتنحدر مياه تلك الامطار وتسيل في أودية كثيرة على جانبي السلسلة الجبلية . ثم تمر عبر الارض المنبسطة غرباً ، أي ساحل تهامة ، وتصب في البحر الأحمر . ومنها ما يجري جنوباً عبر المنحدرات الجنوبية ويصب في السهول الجنوبية ، وقد يصل إلى البحر العربي . أو يجري شرقاً باتجاه الصحراء (الربع الخالي) فتبتلعه الرمال .

وفي هذا المكان الجغرافي من الجزيرة العربية ، وبكل ما حباه الله من خصائص ومواصفات جغرافية تشهد الارض الانتصار البشري الذي يصطنع الاستقرار ، ويستوجب العيش والتعايش . الاستقرار الذي يعتمد على الزراعة وحسن الاستفادة من الشروط الطبيعية المواتية ، فنشأت ضمن هذا الاطار مدنيّة قديمة وحضارة عريقة .

إن العمل ضمن هذا الاطار الجغرافي وضمن الظروف القاسية فيه يحتاج إلى توفير الايدي العاملة التي تقيم الحواجز ، وتبني السدود ، وتحرث الارض ، وتصون مرافقها وتحتاج إلى نظام من الري يعتمد أسلوب العمل المنظم والمنتظم ، ولا تنجز هذه الأمور وتنفض غبار الكسل عن الناس وتردع الانانية لديهم ، بما يحقق الاستفادة القصوى من الموارد الطبيعية ، حتى يتوفر الماء والغذاء اللازمين للمحافظة على بقاء السكان المستقرين في الوادي (٤). وكانت أنظمة الري التي أقامها أهل اليمن قديماً في الوديان تختلف باختلاف الشروط المكانية والمناخية للمنطقة والشروط الطوبوغرافية الخاصة بالوادي . .

ويعتقد العلماء المختصون أن مناخ بقاع مهد الحضارات القديمة مثل بلاد الرافدين ووادي النيل وكذلك مناخ اليمن في جنوب جزيرة العرب لم يطرأ عليه تغيير كبير منذ فجر التاريخ ، أي منذ الفترة المبكرة من التاريخ التي تلت العصور الحجرية السحيقة ، وهي الفترة التي تميزت بقيام حضارات راقية ، ودلت عليها شواهد كتابية ، (راجع سيتون لويد في كتابه آثار الرافدين ص ١٤ (٥)). وان الظروف المناخية التي كانت تكتنف الحضارات القديمة في الشرق قبل أربعة آلاف عام هي نفسها تقريباً هذه الايام .والشواهد الأثرية والتاريخية من تلك الفترات تومىء الى ذلك . وكما أن نظريات اختلاف المناخ لم تقدم أدلة قاطعة على دعواها

وهي لا تزال موضع خلاف كبير . اذ كيف يقيم سكان وادي مارب سداً مكلفاً للسيطرة على المياه ، إن كانوا حينئذ يحيون في فترة الرطوبة التي تلت انحسار الجليد . والواقع أن الحاجة أم الاختراع كما قيل . . فالمطر يتنزّل في اليمن اجمالا في موسمين ربيعي : (مارس - مايو) وصيفي خريفي (يوليو - سبتمبر) ، وذلك بفعل تيار موسمي جنوبي يكون على شكل كتلة هوائية رطبة تتحرك شمالاً في الجانب الأفريقي ولا تلبث أن تبرد عندما تصل إلى منطقة الساحل اليمني . . ثم تتجه هذه الكتلة الهوائية نحو الجبال حيث يصدر عنها عواصف رعدية قوية متقطعة لا تلبث أن تسقط الامطار على الهضبة اليمنية . .

ويتفاوت معدل سقوطها السنوي على المناطق تفاوتاً كبيراً قد يصل في أقصاه إلى (١٢٠٠ مم) في المناطق الجنوبية الغربية وفي أدناه (١٠٠) ، كما هي الحال عليه في منطقة مارب [٧] . وينتج عن هذه الأمطار المفاجئة والغزيرة سيول قد تملأ الوديان في ساعات قليلة . . وللاستفادة من تلك السيول ، وبحكم الحاجة تمكّن اليمنيون القدماء من تطوير أنظمة للري تتلاءم مع تلك الظروف ، بحيث تتمكن من السيطرة على المياه وتحتوي اندفاع السيول ، وتتحكم في مجراها وتسهل تحويلها وتوزيعها للحقول بأسرع وقت ممكن ، وقبل أن تصب في البحر أو تغور في الصحراء .

كان ولا بد وان يختلف نظام الري ومنشآته في اليمن عنه في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين ، حيث تعتمد الزراعة هنالك على أنهار يجري فيها الماء الغزير طول العام ، دون توقف ، ويقتصر جهد الانسان فيها على شق الترع وضبط فيضان الأنهار في مواسمها ، بحيث لا تغمر الأراضي المزروعة أو تخريبها . . أما في اليمن فالوديان جافة ولا يسيل الماء فيها الآ في فترات قصيرة من السنة ، ويأتي أحياناً من مساقط شتى وبعيدة ، متجمعاً على شكل سيول جارفة تندفع الى الامام ، وتغمر السهول على غير هدى . واذا لم يسيطر عليها فان سيول الوديان الشرقية تضيع في رمال الصحراء أو في مياه البحر في حالة الوديان الغربية والجنوبية ، ولا يستفاد منها في مجال الزراعة الآ بمقدار يسير .

ويعتقد العلماء أن الانسان بدأ يزرع الارض زراعة بدائية وسهلة . وكان ينتظر حتى يجف بعض الارض في أسفل الوادي بعد أن يغمره السيل في مواسم المطر . ثم يبذر الحب في تلك الارض التي أخصبها الغرين الذي تأتي به السيول . ثم كانت الخطوة المنطقية التالية أن يكتشف الانسان أن السيول قد تجرف تلك التربة الغرينية ، وأن الحفاظ على تلك التربة والسيطرة على كمية أكبر من المياه يوفران له أرضاً أوسع وفائضاً زراعياً . فكان أن بنى سداً ليحجز التربة ، حتى إذا ارتفع السد ارتفاعاً بيّناً عن بطن الوادي قام بعمل مصارف جانبية لتحويل المياه الى الحقول على جانبي الوادي . . واقتضى ذلك انشاء شبكة منظمة من قنوات الري الرئيسية والفرعية [٨] .

شيد سد مارب على وادي (أذنة) بين مأزمي الجبلين ، البلق الشمالي والبلق الاوسط . وجبال البلق هي سلسلة من الجبال تؤلف الحاجز الاخير للمرتفعات الشرقية ، قبل أن تلتقي بالصحراء . والصحراء المعنية هي ذلك الجزء من فلاة اليمن (أو جُرُز اليمن الشرقي) الذي يمتد بين مأرب وشبوة ، وتصب فيه معظم أودية الشرق ، ويسميه الجغرافيون

العرب بمفازة صيهد ، ويطلق عليه حاليا اسم رملة السبعتين .

وبين مأزمي الجبلين المذكورين يضيق وادي أذنة بحيث يكوّن موقعاً طبيعياً يصلح لاقامة سد . وتتسع منطقة التجمع في أعلى المضيق بحيث تبدو وكأنها حوض مثالي لاحتواء المياه (٩) . ووادي أذنة (وهو أذنت في النقوش اليمنية القديمة أيضاً) هو أعظم أودية اليمن وميزابه الشرقي . وتشمل مساقطه اكبر مساحة بين مساقط أودية اليمن الاخرى (ويقصد بالمساقط هنا منطقة تجميع أمطار الوادي أو الحوض الذي تسيل فيه المياه التي تُفضي الى الوادي) . وتقع مساقط أودية اليمن عموماً في النطاق الجبلي الضخم وابتداءً من خط تقسيم المياه والذي يفصل بين مناطق التجميع ، تنحدر وديان كثيرة تسيل بمياه الامطار التي تنزل في مواسم معلومة . وتتفاوت كمية ما تجري به تلك الوديان من مياه حسب كمية الامطار الهاطلة ، وحسب مساحة مساقط تلك الوديان . وتؤلف مآتي تلك المساقط ومسيلاتها ، في الغالب ، روافد فرعية ، تُفضي جميعها في وديان رئيسية مثل وادي أذنة . . ومن باب المقارنة فان مساحة مساقط وادي مور ، وهو من جهة أخرى ميزاب اليمن الغربي ، تقدر بحوالي (٧٥٠٠) كيلو متر مربع ، ومساحة مساقط وادي بنا (٥٩٠٠) كيلو متر مربع ، ومساحة وادي مذاب في الجوف ، (٢٧٠٠) كيلو متر مربع ، بينما تقدر مساحة مساقط وادي أذنة بحوالي عشرة آلاف كيلو متر مربع ، وهي مساحة شاسعة تعادل مساحة لبنان تقريبا (١٠) .

وتشغل مساقط وادي أذنة حيّزا كبيراً من المرتفعات الشرقية منحدراتها . . وترسم الخرائط وخطوط تقسيم المياه الجغرافية اطاراً عاماً لحوض الوادي (مساقط الوادي) يبدأ شرق رداع ويمر شرق يريم وشرق ذمار ، ثم شرق صنعاء . أي أنه يشمل في أدناه ناحية رداع وناحية ذمار وناحية الحدا وناحية جحانة وناحية صرواح وفي أقصاه يشمل أيضاً بعضاً من نواحي العبدية والسوادية وبلاد الروس وبني بهلول وسنحان وبعضاً من ناحيتي الجوبة وبني ضبيان ومأرب نفسها . والواقع أنه ليس في المتناول خرائط مفصلة تحمل أسماء الأودية والروافد الفرعية والرئيسية داخل ذلك الاطار . ومبلغ العلم أن (جلازر) قد حاول قبل قرن من الزمان أن يرسم خارطة لمساقط وادي أذنة تحمل أسماء روافده الرئيسية . . ولكن هذه الخريطة لا تفي بالغرض ، خاصة وانها رسم تقريبي وفي حدود امكاناته حينذاك (١١) .

وفي حوزتي خارطة دقيقة ومكبرة تشمل فيما تشمل « حوض » وادي أذنة كله ولكنها مع الاسف تخلو من ذكر أسماء الأودية والامكنة التي قد تيسر للباحث تتبع تلك الاودية والتي تفضي إلى وادي أذنة ، وتحديدها بوضوح ودقة (١٢) . وفي دراسة (د . بجريه) عضو البعثة الايطالية الاثرية التي قامت في ١٩٨٠ م بمسح أولي لمنطقة (الوديان) في (حوض) وادي أذنة خارطة مرفقة لميدان العمل ولكن المرء لا يجد فيها سوى ذكر لثلاثة وديان هي وادي مسور الآتي من خولان الطيال وامتداده وادي نبعة . ثم وادي حيكان القادم من ناحية الحدا وزراجة . (ريدان ٤ / ١٩٨١ م ، ص ٢٠٤) (١٣) .

ومبلغ العلم أن الحسن بن أحمد الهَمْداني هو خير من حاول أن يفصّل ذكر أهم الاودية التي تفضي سيولها إلى وادي أذنة . . وتبقى مادته التي ضمنها كتابة « صفة جزيرة العرب » رغم قِدم بعض التسميات واندثارها دليلاً حسناً بهذا

الشأن . كما لا تخرج تلك المادة ، في مجملها عن الاطار العام الذي ترسمه الخرائط الحديثة (١٤) .

وتذكر بعض كتب الاخبار أن عدد الوديان التي تصب في وادي أذنة هي سبعون وادياً والواقع انه ليس في المتناول اليوم أي احصاء دقيق لها ، وقد اكتفى الهمْداني بالقول أنّ شعابه وفروع كثيرة ولم يذكر عدداً محدداً لها (١٥) .

إلا أنه من المعلوم أن مساقط وادي أذنة ومآتي ومسيلات وروافد وديان كثيرة تشكل شبكة معقدة ومتداخلة وليس كل مياه المساقط المذكورة تنزل كلها إلى مأرب كما أن ليس كل مياه الوديان النازلة تصل دوماً الى وادي أذنة .

يقول الهمداني في الصفة (ص ١٤٧ - ١٤٩) (١٦) : ثم ميزاب اليمن ، وهو أعظم أودية المشرق كهامور أعظم أودية المغرب ، وشعابه وفروعه كثيرة ، فاما من ناحية رداع فالعرض والمواضع التي قد ذكرها الرداعي في قصيدته بالقرب من رداع (والاحالة هنا الى أرجوزة الحج لاحمد بن عيسى الرداعي والتي أوردها الهمداني في آخر كتاب الصفة . . ومن الأمكنة التي ذكرها الرداعي قرب رداع « السليل والاغوال وأحرم والقهر » . راجع الصفة ص (٤٠١ - ٤٠٣) (١٧) « وردمان وقرن » (وردمان أرض تحمل اسمها الى اليوم . . وكانت مقاطعة كبيرة تمتد الى السوادية والمعسال وسارع ونجد الحاج) . « وقرن سبعة أودية كبار منها المأذنة والغولة والحجلة » . (وقد زرت بعض هذه المناطق في ناحيتي السوادية والعبدية . والى قرن ينسب التابعي المشهور أويس القرني) . . ومن جانب ذمار وبلد عنس جميعاً ، وهو مخلاف واسع ، وسُمع به بينون وهكر وجميع ما ذكرنا في كتاب الاكليل من المحافد العنسية ، وبلد كومان وبلد الحدا وجبل اسبيل وورخة (وكلها مواضع معروفة بأسمائها الى اليوم) . . وجبال بني وابش من مُراد وجبال كداد وبلد قائفة من مراد ، والمقرار جبل بني مالك من مراد وفجامة (وقائفة هي قيفة . وجبل بني مالك وفجامة يدخل في مخلاف مأرب) ، ومخلاف ذي جرة ويكلى وجبرة (ومخلاف ذي جرة اليوم تقريباً بلاد سنحان وبلاد الروس وبعض ناحية جحانة وبعض ناحية الحدا ، وكلها الى الجنوب من صنعاء) ، وجهران وهران بسواد ذمار ، ومساقط بلد خولان من جنوبيه وما تيامن من القحف ورمك وموضح (١٨) . ومن أهم أودية خولان في ناحية جحانة ، وادي مسور ويأتي من أسناف من غرب جحانة ويمر بجحانة ثم يذهب الى السهمان ويصب في وادي حبابض ثم يذهب إلى مأرب ، وينضم اليه وادي هروب ووادي الكبش وهما بالجنوب من جحانة ، كما ينضم اليه وادي فروق ووادي الاعروش وبني شداد (راجع الويسي ص ٦٩ - ٧٠) (١٩) .

ويصنف مناخ مساقط وادي أذنة بأنه مناخ شبه مداري ، وأمطارها موسمية ، ويقدر معدل نزول المطر فيها سنوياً بحوالي (٣٠٠ سم) ويتفاوت المعدل في المنحدرات الشرقية عموماً بين (١٠٠ و ٤٠٠ مم) . ومنطقة مأرب نفسها تدخل ضمن المناطق الجافة حيث يقل فيها المطر ويأتي دون انتظام وهو اجمالا لا يكفي لسد الحاجة . ومعدل نزول المطر فيها منخفض ويتراوح بين (٥٠ و ١٠٠ سم) . وربما تتضح الصورة اكثر إن علم المرء ان الحد الأقصى لمعدلات المطر في اليمن عموماً يبلغ (١٨٠٠ مم) وهو المعدل الاقصى في المرتفعات الغربية ، وأن معدلات بعض المناطق المتاخمة لمساقط وادي أذنة متفاوتة وتكون كالتالي : صنعاء

(١٩٥ مم) ، يريم (٤٦٩ مم) ، سمارة (٨٦٥ مم) ، إب (٣٩٢ مم) [٢٠] (راجع بهذا الخصوص برونر ص ١١ ، التقرير السويسري ص ١ / ١٠) . وتذكر هذه المصادر استناداً إلى دراسات أولية واحصاءات تقريبية أن السيول التي تجري في وادي أذنة موسمياً لا تبقى على حال واحدة ، وتستمر في الجريان لمدة ١٥ يوماً في فترة الصيف / الخريف (يوليو / سبتمبر) . يستفاد من الدراسات التي أجريت لظروف المكان الطبيعية والجغرافية ضمن اطار وادي أذنة ومساقطه ، أن كمية المياه المنحدرة من تلك المساقط متغيرة ومتفاوتة . وقد قدرت اجمالا بمتوسط (٢٠٠ مليون) متر مكعب . كما تختلف قوة اندفاع السيول المتدفقة الى الوادي بين الفترة والاخرى ، ويقدر متوسط قوة اندفاعها في عامين حوالي (٩٥٠) متر مكعب في الثانية [٢١] .

أقام السبئيون القدماء سد مأرب لاحتواء تلك السيول والسيطرة عليها مع تحمله من طمي واحجار وأشجار ثم ليصمد أمام قوة اندفاعها دون ان يتصدع ، مؤدياً الغرض من اقامته ، وهو تحويل السيول الى قنوات الري التي تسقي الحقول على جانبي وادي أذنة أطول فترة ممكنة . . ولا ريب أنهم كانوا يدركون أن ذلك يقتضي تشييد سد قوي ومحكم يفوق طاقته امكانات سد عادي . ولا بد أن يكون للسد مصرفان كبيران على جانبيه لا يقل بناؤهما عن السد نفسه ثباتاً وإحكاماً . فكان أن درسوا طوبوغرافية المكان دراسة جيدة واستفادوا استفادة قصوى من الامكانات الطبيعية والجيولوجية الملائمة بحيث شيّدوا السد على قاعدة صخرية في الوادي وفي مضيق ملائم يتيح شق مخارج جانبية واسعة عبر صخور الجبلين .

ويرى العلماء ان اختيار المكان مثالي ، اذ أنه من الصعب إقامة منشأة سد متين كسد مأرب على قاعدة ترابية وبدون ربط جداره وصدفيه ربطاً محكماً بالصخر من أسفل جبلي البلق [٢٢] إذ أن مياه السيول رغم تقطعها وندرتها إلّا أنها عندما تأتي قد تأتي بقوة وعلى غير نظام وتحمل معها مفاجآت كبيرة قد تصيب السد ومرافقه بالضرر البالغ .

وتفيد الدراسات الأثرية لبقايا منشآت سد مأرب وكذلك الدراسات التي اعتمدت طرائق البحث الجيومورفولوجية كتحليل ترسبات التربة في منطقة السد والدراسات التي عنيت بوضع تخطيط لمنطقة السد القديمة استناداً إلى الطرق القديمة اوبتخطيط الاوضاع الزراعية الحاضرة أن المنشآت الاساسية التي قام عليها نظام الري القديم في منطقة سد مأرب تتألف مما يلي ، (راجع على الاخص ، احمد فخري ، اشميدت ، برونر ، التقرير السويسري) [٢٣] .

- سد مأرب نفسه أو جدار السد الذي يحجز الوادي .
- المصرفان الكبيران اللذان تخرج بواسطتهما المياه من جانبي السد أو الصدفان ، أو المويسان .
- القناتان الرئيسيتان اللتان تربطان المصرفين بالجنتين .
- مقاسم المياه في الجنتين وهي سدود تحويلية صغيرة تقسم المياه التي تصلها من القناتين الرئيسيتين .
- شبكة الري المؤلفة من القنوات الفرعية والتي تسقي الضياع والحقول .
- حقول الجنتين بأشكالها المستطيلة والمربعة والتي تكون في مجملها أرض الجنتين في وادي سبأ (وادي عبيدة حالياً) .

ورغم ان دراسة هذه المنشآت لم تكتمل ، إن لم تكن بالفعل في أول الطريق ، إلا أنه من الممكن أن يصف المرء آثارها في حدود ما تيسر من امكانات بل ربما كان من المفيد ان يحاول المرء رسم صورة تقريبية وفي حدود ما توفر من بيانات لأهم تلك المنشآت وهي منشأة جسم السد نفسه أي الحاجز بمصرفيه .

سبق وان ذكر أن إنشاء سد مأرب كان استجابة لظروف طبيعية واجتماعية معينة ، وحاجة ملحة اقتضتها ضرورة السيطرة على المياه في ظل تلك الظروف . وكان لا بد وان يصمم السد ويفصل بناؤه بما يلائم تلك الظروف ويلبي تلك الحاجة وفق شروط الواقع المادية وحسب امكانات العصر الفنية . . وقد أدى ذلك كله إلى إقامة سد ثنائي الوظيفة . يقوم برفع منسوب سيول وادي أذنة الى مستوى معين بحيث يسهل منه سقي الحقول الممتدة على جانبيه والتي ترتفع بطبيعة الحال بضعة أمتار عن بطن الوادي ، وفي الوقت نفسه يقوم السد بحجز وادي أذنة كله وتحويل ما فيه من سيول إلى تلك الحقول عبر مصرفين جانبيين وطيدي البناء . أي أن السد قد صمم بحيث يتعامل مع السيل مباشرة ، يحتويه أولا ثم يسرع في تصريفه . فهو في حقيقة الامر حاجز لتحويل مجرى الوادي اكثر منه صهريج لخزن المياه ثم توزيعها عند الحاجة . اذ لو كان السد قد أقيم بغرض الخزن لتناقصت سعة الخزن تناقصاً مطرداً نظراً لحجم الطمي الذي تحمله السيول سنوياً الى بطن السد بمليونين ونصف مليون متر مكعب [٢٤] .

وتقدر سعة السد في بداية أمره بحوالي (٥٥) مليون متر مكعب وهذا يعني ان السد سيمتلىء بالطمي في أقل من قرن من الزمان . على ان الدلائل المتوفرة تشير الى أن السد بقي قائماً اكثر من ألف عام ، واملاؤه بالطمي لم يلغ وظيفته ، بل إنه من المنتظر ان يمتلىء السد تدريجياً بالتراب والحجارة وما شابه ذلك حتى في حالة كونه سد تحويل وليس خزاناً . ولا يفيد حينئذ إعلاء جدار السد لمواجهة ضغط رواسب الطمي وسرعة تدفق السيول . اذ لا بد من انكسار جدار السد يوماً ما نتيجة ضغط الترسبات في بطن السد عبر السنين . وعندما ينكسر السد تجرف المياه المتدفقة الى الوادي بعض ما في السد من ترسبات « فيتنفّس » . ولهذا يُعتقد أنّ السبئيين قد اهتدوا إلى حل علمي وسليم وهو أن يتركوا السد زمناً حتى يمتلىء بالرّواسب . ويقدر العلماء الذين عنوا بدراسة الترسبات في باطن السد ان انكسار « العرم » بسبب الترسبات الخشنة يمكن ان يحدث كل قرن مرة واحدة . ومما قد يؤيد مثل هذا الاستنتاج ما ورد في النقوش اليمنية القديمة . حيث تذكر تصدع سد مأرب في الفترات المتأخرة ثلاث مرات وتؤرخ لذلك مباشرة أو بطريقة غير مباشرة بالتقويم الحميري [٢٥] . وربما ليس من باب الصدفة ان يكون الفرق بين كل تصدع وآخر حوالي قرن . ويرى (برونر) انه اذا كان سعة سد مأرب الكبير في بداية أمره حوالي ٥٥ مليون متر مكعب وكان حجم الطمي النازل سنوياً الى داخل « بحيرة السد » حوالي اثنين ونصف مليون متر مكعب . واذا كان بالتالي متوسط قوة اندفاع السيول في السد لمدة عامين حوالي (٩٥٠) متر مكعب في الثانية ومتوسط ١٠ سنوات ٣٧٥٠ متر مكعب في الثانية ومتوسط ١٠٠ عام حوالي (٧٢٥٠) متر مكعب في الثانية فان طاقة أي سد عادي حينئذ لا تقدر على استيعاب تلك السيول وطميها وقوة اندفاعها بل إن جسم أي سد عادي لا يمكن أن

يصمد أمامها لفترة اكثر من قرن [٢٦] . . ولهذا فان سد مأرب العظيم قد صمم وشيد بدقة ومتانة واحكام بحيث يخدم الغرض منه قروناً طويلة وبحيث لا يتهدم السد ومرافقه جميعها إن انكسر جدار السد مرة في كل قرن . . وإنما يكون الانكسار بمثابة « التنفيس لباطن السد الممتلىء بالطمي . . أي أن الانكسار حينئذ قدر محتوم وكارثة لا بد منها ولكنها كارثة محدودة الأثر على الغالب بل ربما جاز ان يقال إنه يسهل بفضلها حينئذ استخراج بعض الترسبات من بطن السد الى بطن الوادي بالاضافة الى ما جرفته السيول فعلا باستعمال الامكانات المتاحة لجرّ (جرف) بعض التراب الى الوادي [٢٧] . تماماً كما هي عادة الناس اليوم حيث يجرّون جربهم بين الفينة والاخرى تنظيفاً للجربة ودعماً (للاعرام) . وفي حالة سد مأرب كان لا بد من مشاركة الايدي العاملة . والسواعد الفتية في تنظيف باطن السد ، قدر الامكان واستخراج الحجارة والاخشاب وغيرها ، مما قد ينفع الناس في سد حاجتهم من مواد البناء والوقود وما شابه ذلك . . وبذلك يُهيأ السد للعمل من جديد لفترة طويلة أخرى . واصلاح السد عملية غير سهلة ولا ريب ولكنها تحدث في كل قرن مرة واحدة . . وقد جرت العادة قديماً وتواتر العرف على أن تتوفر لذلك الارادة الجماعية المتحدة والسلطة المركزية القوية والامكانات اللازمة . . ويهبُّ حينها عدد هائل من الناس الى مكان السد بغية العمل والاشتراك في اصلاح الاجزاء المتصدعة منه وفي سبيل اعادته الى سابق عهده سوياً كما كان .

ولا ريب أن السد قد تصدع مراتٍ عديدة لأسباب اخرى مثل السيول الكبيرة التي تنتج عن أمطار غزيرة وفيضانات نادرة مما يدخل عموماً في الكوارث الطبيعية ، ومثل تصدع السد بسبب الزلازل . . وقد يحدث التصدع بسبب الاهمال وضعف السلطة ، وحينئذ تكون الكارثة ادهى وأمر . . ومما هو جدير بالذكر أن تحول طرق التجارة من البر إلى البحر ، وتحول مراكز الحضارة من الوديان في مشرق اليمن الى القيعان في الهضبة اليمنية وانتقال العاصمة من مأرب إلى ظفار ، وبالتالي بُعْد السد عن مراكز الثقل الحضاري ، تعتبر من الاسباب الرئيسية لازدياد مرات انكسار السد في العصور المتأخرة من تاريخ اليمن القديم على ان تفصيل هذه الاسباب لا يدخل في نطاق هذا الحديث . .

واذا كان اصلاح سد مأرب أمراً غير عادي ولا بد من توفر امكانات ، وحشد جهود غير عادية ، خاصة وأنه لا يحدث الّا كل قرن او نحوه فان تنظيف السّد بحد ذاته واستخراج ما فيه من ترسبات بين العام والاخر أمر ليس باليسير ، بل يحتاج إلى طاقات هائلة وامكانات مادية وفنية كبيرة ، تفوق واقع الناس وتتجَاوز جدوى السد الاقتصادية آنذاك . لقد صمم السد وشيدت منشآته بحيث يعمل لسنوات دون أن يصاب في الظروف العادية بعطب كبير اذا ما تعهد بين الفينة والاخرى بالصيانة اللازمة والتي لا تكلف كثيراً ولا تستنزف الموارد والارزاق .

ويروى ان الاستفادة من بقايا منشآت السد ظلت ممكنة وفي نطاق ضيق ومحدود حتى القرن العاشر الميلادي . . غير ان تفجر السد الاكبر والاخير كان تفجراً خارقاً للعادة كانت كارثة كبيرة أتت على معظم بنيان السد وجرفت أكثر منشآت الري في الجنتين ، وقضت على أسس تشغيل السد وقوّضت أركان بنيانه ، فكان أن شل نظام الري باجمعه ، وبدلت صورة الحياة في تلك الارض تماما قال تعالى (فأعرضوا

فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) [٢٩] .

والعرم هو السد ، والسد هنا بمعنى الحاجز الذي يعترض الوادي ويحوله .. والعرم (أو العريم) هو السد بلغة النقوش اليمنية القديمة والجمع أعرام .. ويطلق في النقوش لفظ العرم على سد مأرب ويكتفى بأداة التعريف التي تلحق الكلمة في الاخر ودون اضافة (عرمن) .

ومثال ذلك ما جاء في نقش (جام ٦٧١) بكن / ثبرت / عرمن / أي عندما تصدع العرم .. والنقش في مجمله يتحدث عن اصلاح سد مأرب في عهد الملكين ثأران يهنعم وابنه ملكي كرب يأمن ، في حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي .. والعرم والعريم هو الحاجز في لهجة أهل اليمن اليوم واستعمالات اللفظ معروفة ..

وتدل آثار السد الباقية ، فيما بين الصدفين أن الحاجز كان في الغالب من التراب ثم يغطى بالحجارة .. ويمتد حوالي (٦٨٠) متراً عبر الوادي ما بين الصدف الجنوبي القائم على سفح جبل البلق الاوسط والصدف الشمالي والمبنى على الصخور المقابلة ، على سفح جبل البلق القبلي .. وكان ارتفاعه حوالي (١٦) متراً ويقدر سمكه بحوالي عشرين متراً .. على أنه ينبغي أن يلاحظ ان هناك اختلافات بسيطة لدى مصادر هذه القياسات .. ويذكر العالم الاثري احمد فخري وكان قد قام بقياس بعض أبنية السد ، أنه أثناء وجوده في موقع السد لم تكن لديه أية أدوات للقياس باستثناء متر معدني طوله متران [٣٠] . وقد يكون الاختلاف نتيجة لاختلاف الطريقة التي تتبع ، او الاعتماد حسن التقدير الذي يتبارى فيه الاثريون خاصة في حال قياس سد اندثر ولم تعد في مكانه الا بقاياه .

ومبلغ العلم فان الحاجز (السد) (العرم) (الجدار) كان قد حفر له أساس في الوادي بلغ حد الصخر ثم بنيت له قاعدة راسخة من الحجارة . وكان جدار السد يعلّى تدريجياً بحسب الظروف التي تستجد بسبب ترسبات الطمي في باطن (بحيرة) السد ، عبر القرون . وكان الهَمْداني قد سبق فاشار الى وجود قاعدة صخرية ثابتة للسد حيث يقول في الجزء الثامن من كتاب الاكليل (ص ٩٦) [٣١] وانما وقع الكسر في العَرِم وقد بقي من العَرِم شيء مما يصالي الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمسة عشر ذراعاً .. وفي (ص ٤٤) يقول : وكان العرم مسنداً إلى حائط وأثر ما بين عضاد المذاخر بمعازب عن الصخر عظام ملحمة الاساس بالقطر [٣٢] .. وعبارة الهمداني هذه تفسر على غير وجه واحد ولكني أرجح أن الهمداني يقصد أن جسم السد (الترابي والمغطى بالحجارة) كان قائماً على قاعدة ثابتة الاساس مبنية بالحجارة الضخمة وتمتد ما بين بوابتي الصدفين (المصرفين) وعبر الوادي على امتداد الحاجز كله .

ويوافق هذا الوصف ما قرر سلفاً من أن السد وبتلك الضخامة ، لم يكن ليقام على قاعدة ترابية وانما كان في حقيقة الامر / واثرا / بمعازب عن الصخر عظام ..

اما الصدفان (المصرفان الجانبيان للسد) فهما عبارة عن مخرجين (هويسين) كبيرين قد نحتا أصلا في الصخر ثم استكملا بناءاً على صخور جَبَلَيْ البلق ، بحيث يكونا قناتي توصيل كبيرتين شق أسفلهما من الصخر وشيد أعلاهما بواجهات سميكة من الحجارة الكبيرة مربعة

الاضلاع قد وُقِصت (هندمت) أحسن توقيص وثبت بعضهـا فوق بعض بتلاحم وترابط . ووظيفة هاتين القناتين هي تصريف المياه المتدفقة من السد عبر حوضين صغير ين يكبحان شدة تدفقها ويتصلان بالقناتين الرئيسيتين اللتين تمدان كل أراضي الجنتين بالمياه على جانبي الوادي (٣٣) وأثار بناء الصدفين لا تزال قائمة وهي في الواقع أبرز آثار السد ومنشآت الري في مأرب اليوم .

وكان الهمداني قد رأى احدهما قبل اكثر من الف عام فذكر في الاكليل ذلك وقال : ورأيت بناء أحد الصدفين باقياً ، وهو الذي يخرج منه الماء قائمًا بحالة على أوثق ما كان ، ولا يتغير إلى ان يشاء الله عز وجل (الاكليل (ج ٨) / ٤٣ / (٣٤) والمقاسم عبارة عن سدود صغيرة وظيفتها أن تحتوي ما يصلها من القناة الرئيسية ثم تتولى تقسيمه عبر فتحات عدة تؤدي إلى شبكة معقدة من القنوات الفرعية ومن هذه القنوات الفرعية تسقى الحقول والضياع . . على ان الحقول قد تسقى بعضها بعضاً عن طريق مناسخ مثبتة في (أعرامها) كما هو معروف في أنظمة الري في اليمن إلى اليوم . . وكانت تلك القنوات في معظمها ترابية وليسهل تحويلها واغلاقها عند الحاجة . . كما ان سعة كل قناة قد صممت لتنقل الحد الاقصى من المياه الواردة اليها أي انها تتسع لكميات المياه الفائضة التي قد تتدفق من القنوات أو السدود الموصلة اليها في حالة مجيء سيول مفاجئة يزيد حجمها وضغطها عما هو متوقع كل موسم . . وهذا يدل على ان نظام الري في الجنتين اليسرى واليمنى كان مرنا وبسيطا بحيث يستطيع أن يستوعب المياه الآتية من السد وتصريفها وتوزيعها بسرعة وانسياب (٣٥) .

كما كان مقدراً على التحكم بقوة اندفاع المياه سواء المتصرف من السد الى القناتين الرئيسيتين أو من المقاسم إلى القنوات الفرعية . إن مثل هذا النظام البسيط والمحكم في الوقت نفسه هو الذي ضمن بقاء السد وصمود شبكة الري التابعة له قروناً طويلة . .

وتفيد دراسة / (برونر) و (ايلكتر وات) عن منطقة السد أن ما يسيل من الماء في وادي أذنة كل عام يقدر بحوالي (٢٠٠) مليون متر مكعب من ذلك حوالي (٦٠) مليون متر مكعب تأتي (في الربيع) و (١٤٠) مليون متر مكعب في الصيف . وان قوة اندفاع السيول تبلغ حوالي (١٠٠٠) متر مكعب في الثانية وان زمن جريان الماء في الوادي يكون حوالي شهرين . .

وتقدر مساحة (بحيرة) السد قديمًا بحوالي (٨) كيلو مترات مربعة وسعتها الاجمالية حوالي (٥٥) مليون متر مكعب . . وتقدر طاقة القناتين الرئيسيتين معاً بحوالي (٦٠) متر مكعب في الثانية وتقدر مساحة الاراضي التي كان يسقيها السد قديمًا لا تتجاوز (١٠٫٠٠٠) هكتار . . وكانت مساحة الاراضي الواقعة على يمين الوادي (الجنة اليمنى) اكبر من مساحة أراضي الجنة اليسرى . . واذا ما قارن المرء واقع الحاضر بالماضي فان الاراضي المزروعة آنذاك كانت تكفي لاطعام حوالي (٣٠٫٠٠٠) الى (٥٠٫٠٠٠) نسمة تعيش في منطقة مأرب (٣٦) . وما هو جدير بالذكر ان آثار سور مدينة مأرب تبين أن مساحة المدينة نفسها كانت لا تزيد عن كيلو متر مربع واحد . . وقد أجريت بعض التحاليل العلمية على بعض المواد العالقة بكسر الفخار القديمة التي عثر عليها في المنطقة ، فدلت على نماذج من المحاصيل الزراعية القديمة مثل الذرة والدخن والشعير

والطهف والسمسم وكذلك الكتان والعنب والنخيل (٣٧) .

وقبل أكثر من ألف عام يذكر الهمْداني في كتابه صفة جزيرة العرب أن (الحرجة) بمأرب هي من الجرب الكبار باليمن وتأتي بعشرين ألف (ذهب) فذاك ثلاثون ألف قفيز (راجع ٣٦١) (٣٨) . وفي صفحة (٣٥٩) يذكر ما مؤاده أن الجربة في مأرب والجوف تمتلىء من السيل فاذا امتلأت بذر فيها الطهف والدخن ومتى نضب الماء فيها ثار نبتها . . وربما طرح في الجربة مع بذرة الذرة السمسم واللوبياء والعتر والقثاء والبطيخ والقرع . . ويعتبر الهمداني الطهف من غرائب الحبوب في اليمن . . ويذكر ان السمسم الذي يزرع في مأرب والجوف لا يلحق به لاحق وهو كثير الضياء وصاف طيب (٣٨) والطهف حب أصغر من الدخن لونه أبيض وهو معروف في اليمن وأكثر منه معروف في الحبشة ويحمل الاسم نفسه هناك ولكن ينطق به (طِفْ) بكسر الطاء واخفاء الهاء وهو المفضل لديهم في عمل اللحوح . .

وفي مأرب اليوم ما زال الناس يزرعون الذرة والشعير والبطيخ والعنب واللوبيا وما شابه ذلك . . كما ان بعض المحاصيل القديمة قد وردت أسماؤها في النقوش اليمنية القديمة وهي معارف مفيدة وتسعف بوجه عام على توضيح الصورة الزراعية في اليمن القديم (٣٩) . .

ومن المعلوم أن معجم اللغة اليمنية القديمة يزخر بالكثير من المفردات والتسميات المتعلقة بالتقنية الزراعية وقد تمكن أحد الباحثين من الاستفادة من هذه المادة في إعداد أطروحة جامعية (٤٠) مما يدل على ان بامكان النقوش اليمنية القديمة ان توفر للباحثين مادة طيبة تتعلق بنظام الري في اليمن بما في ذلك نظام الري في مأرب علماً بأن كثيراً من تلك المصطلحات التي ترد في النقوش المعلومة تعنى بنواح فنية صرفة . . وتحديد معانيها بدقة يحتاج إلى جهد متكامل يبذله كل من المهندسين الاثريين وعلماء النقوش بغية تطابق الاثر مع مصطلحه الخاص آنذاك . . ومهما كان الامر فان هذه المادة اللغوية بحد ذاتها دليل على خصوبة التجربة الزراعية وشاهد هام على المستوى التقني الذي وصلت اليه الحضارة الزراعية في اليمن القديم . .

وبعد تفجر سد مأرب نهائياً بقي رمزاً تاريخياً لأهل اليمن وآية حضارة اليمن القديمة ومبناها اليقين الذي كرم في القرآن وتردد صداه عبر العصور . الا أن هذا الرمز ما لبث ان اتخذ في العهد القريب بعداً جديداً بحيث صار رمز الماضي وعبرته يستلهم ليثري طموح الحاضر ويراود أحلامه . ومنذ قيام الثورة اليمنية في عام ١٩٦٢ كانت هناك دوماً نية لتحسين الأحوال الزراعية في منطقة مأرب . وفي العقد الماضي قرنت النية بالعمل ووضع خطط عملية لتطوير المنطقة . وكان في مقدمة تلك الخطط دراسة فكرة اعادة بناء سد مأرب القديم . ومن المعلوم أن المناخ والتضاريس وأحوال التربة هي العوامل الرئيسية التي تحدد الامكانات الزراعية في تلك الأرض . ويعتبر الماء بطبيعة الحال ، في صميم تلك العوامل . ورغم أن أرض اليمن تعتمد على الامطار الموسمية فان معظم مناطقها لا تسقى مباشرة بمياه الامطار وانما تحتاج الى سبل ري مناسبة لتحسين الاستفادة من تلك الامطار . وقد أثبتت سبل الري تلك فعاليتها واكتسبت عبر الزمن قدراً كبيراً من الكفاية في الاداء والبساطة في التقنية بحيث مكنت أهل اليمن من الاستفادة القصوى من خيرات بلادهم

الطبيعية . وحيثما تتوفر الشروط الطبيعية اللازمة يجد المرء الأرض مزروعة وحسن الاستفادة الممكنة حاصل .

ويعتقد أن تلك العوامل الطبيعية التي صاغت نمط الحياة الزراعية في اليمن قديماً ، هي نفسها التي تملي الامكانات الزراعية اليوم وخاصة عامل المطر . وان التفاوت الملحوظ في كمية المطر بين موسم وآخر أو التغير الذي يطرأ على ملامح الطقس بين عهد وآخر هو أمر يحدث عادة ضمن الدورة المناخية نفسها التي تشهدها جزيرة العرب منذ الفترة التاريخية القديمة التي ازدهرت فيها الحضارة الزراعية في اليمن ، وشهدت حينها أرقى ما وصلت اليه قديماً من تقنية سبل الري وخاصة كما عهد في منطقة مأرب بشكلها المتطور .

ورغم الهجرة والتبدي فقد بقي في مأرب شيء من النشاط الزراعي . ومنذ العقد الماضي شهد سهل الوادي ازدياداً ملحوظاً في هذا المجال نظراً لادخال مضخات الديزل والتي تعمل ليل نهار لاستخراج المياه الغزيرة من الآبار ، والتي تفيض بفعل السيول الكبيرة التي تغمر السهل كل موسم .

وفي يوليو ١٩٨٤ م أعلن نبأ اعادة بناء سد مأرب . وكان النبأ مفاجأة لكثر من الناس داخل اليمن وخارجه . الا انه مما ينبغي الاشارة اليه انه كان منذ زمن توجه فعلي واهتمام خاص من الدولة في سبيل تطوير منطقة مأرب . ويذكر على سبيل المثال تشييد طريق صنعاء ـ مأرب وتنفيذ عدد من المشروعات الخدمية والتنموية في محافظة مأرب ، واعطاء الأولوية للمسح الأثاري في منطقة السد ، ثم متابعة عدد من الدراسات الأولية المتنوع كالدراسات السكانية والهيدرولوجية والزراعية والجيولوجية . ومن ضمن هذه الدراسات تلك التي تعنى بالبحث عن البترول في حوض مأرب ـ الجوف والتي مهدت للتنقيب عن البترول ثم اكتشاف أولى آباره عام ١٩٨٤ . ومن ضمن تلك الدراسات أيضاً تلك التي تعنى بامكان إعادة بناء سد مأرب .

وكان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة قد عهد الى شركة (بولنج للهندسة) [٤١] بتقديم مقترحات لانشاء سد يحلّ محل سد مأرب القديم ، حتى يعيد الخصب إلى أرض الجنتين المذكورة في القرآن الكريم ، وليكون عاملا حيويا في اعادة الرخاء الى بقعة كانت يوماً ما ، مهداً للحضارة في جنوب جزيرة العرب [٤٢] . وقد أعد الاقتراح وقدم إلى الجهات المختصة في مايو ١٩٨٤ . ففي ١١ / ٩ / ١٩٧٦ تم توقيع اتفاقية بين صندوق أبو ظبي وشركة (إلكتروات السويسرية) لدراسة الجدوى الاقتصادية لمشروع الجنتين الذي يهدف إلى بناء سد جديد لتنظيم استغلال مياه السيول في وادي عبيدة (وادي أذنة) [٤٣]

وفي يونيو ١٩٧٨ قدمت (شركة ايلكتروات للخدمات الهندسية) بالتعاون مع (شركة هنتنج للخدمات التقنية) تقريراً مفصلاً إلى حكومة الجمهورية العربية اليمنية بهذا الشأن . ويشمل التقرير توصية بمشروع متكامل لبناء سد مأرب الجديد وتفاصيل خطة البناء والجدوى الاقتصادية والتكاليف اللازمة [٤٤] . وتلا التقرير تقرير هندسي عام ١٩٨١ ، ثم وثائق أخرى متعلقة بالمشروع تتجمع تباعاً الى اليوم .

وفي ١٢ يوليو ١٩٨٤ من عام التنمية الزراعية في الجمهورية العربية اليمنية والذي

أعلنه الرئيس علي عبد الله صالح في إطار الجهود الرامية لانجاح الخطة الخمسية الثانية والتي تولي القطاع الزراعي عناية خاصة ـ وقعت في صنعاء اتفاقية بين حكومة الجمهورية العربية اليمنية وشركة دوغوش التركية لبناء وتنفيذ مشروع السد الجديد في مأرب وبتمويل عن طريق صندوق أبو ظبي وبمنحة من الشيخ زايد بن سلطان قدرها ٧٥ مليون دولار [٤٥] .

وفي ٢ أكتوبر ١٩٨٤ اشترك العقيد علي عبد الله صالح والشيخ زايد بن سلطان في وضع حجر الاساس لبناء سد مأرب الجديد في منطقة السد . ومن المنتظر ان يتم انشاء السد قريباً وخلال فترة محددة تمتد ٣٨ شهراً .

ويهدف مشروع بناء السد الجديد بالدرجة الاولى إلى تطوير منطقة مأرب عن طريق توسيع الرقعة الزراعية فيها وتنمية امكاناتها . اذ يتوقع أن تزيد مساحة الاراضي المزروعة بعد بناء السد من حوالي (٣٣٠٠) هكتار وهي المزروعة حالياً ، الى (٩٣٠٠) هكتار في المرحلة الاولى من انشاء السد . ويمكن أن تزيد المساحة في المرحلة التالية الى حوالي (٢٠٫٠٠٠) هكتار ، وذلك بعد استصلاح أراضي جديدة ، وادخال نظم الري الحديثة كالري بالرش والتنقيط والري المحوري ، والاستفادة من المياه الجوفية (باستعمال المضخات) والتي تزداد بفعل تواجد المياه في خزان السد وداخل قنوات الري طوال العام [٤٦] .

ولقد كان واضحاً منذ البداية أن فكرة المشروع لا تهدف إلى إعادة بناء سد مأرب القديم نفسه وفي المكان نفسه (خلافاً لما هو شائع) ، وانما بناء سد جديد على مقربة من موقع القديم . ويستند هذا التصور إلى أسباب عدة منها أن بقايا السد القديم تمثل موقعاً آثارياً هاماً ينبغي المحافظة عليه ، لكي يبقى مع غيره من المعالم الاثرية الباقية أو الدفينة شاهداً رائعاً على حضارة سبأ القديمة في وادي سبأ [٤٧] .

ويقع السد الجديد في مجرى وادي أذنة على الطرف الأعلى لمضيق جَبَلَيْ البلق وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات من موقع السد القديم . ويبلغ عرض المضيق في موقع السد الجديد حوالي (٦٠٠) متر . ومن مميزات هذا الموقع انه ييسر للسد (مفيضاً) طبيعياً مما يوفر من قيمة تكاليف منشآت السد الاجمالية [٤٨] واذا كان الموقع الجديد يحمل الشيء الكثير من خصائص الموقع القديم الا انه يتجاوز كثيراً من الصعوبات الفنية التي اعترضت بناء السد القديم . ويعتمد على فكرة انشاء سد لتخزين المياه طوال العام ، وليس بغرض تحويل السيول بالدرجة الاولى كما كانت وظيفة السد القديم . ويبدو أن المشروع الجديد يستند في ذلك إلى تصور هندسي محكم يقوم على حسابات تمهيدية تحدّ من ازدياد كمية التبخر بفعل الحرارة والجفاف وتقلل من كمية المياه المتسربة من قاع السد وتنقص من تراكم الغرين الذي يحد بدوره من سعة الخزان [٤٩] .

وبما أن كمية المياه السطحية السنوية التي تنتج عن الامطار والسيول تقدر بمئتي مليون متر مكعب عند مدخل السد فان مساحة سطح الخزان قد قدرت بحوالي (٣٫٥ كم ٢) وطول السد قد قدر بحوالي (٧٦٠) متراً وعلو السد يبلغ ٣٩ متراً ، وتكون السعة التخزينية حينئذ (٣٩٠) مليون متر مكعب [٥٠] .

ولن يكون للسد الجديد مصرفان على جانبيه ، كما هو الحال في السد القديم وانما ستكون له فتحه واحدة ومحلها الطرف الايمن من السد قطرها (٢٫٥) متر وسعتها التصريفية تقدر بـ (٢٥) متر مكعب في الثانية حداً

أدنى ، و (٣٥) متر مكعب في الثـانيـة حداً أقصى . وستحفر هذه الفتحة في الصخر في أسفـل السـد بطول يبلغ (١٩٥) متراً ، ثم تبطن بألواح حديدية ، وتزود ببوابات أصلية واحتياطية . وستدفق المياه من هذه الفتحة على الدوام عبر قناة توصيل عرضها (٢٠ متراً) ، ومنهـا تسيـل المياه الى مجرى الـوادي ، باتجاه المسـاحـات الـزراعيـة التي يراد سقيهـا على الضفتـين . ويتم ذلـك بانشـاء ثلاثـة سدود تحويليـة أو أكثـر تشبـه في عملهـا (العوارض والاعبار) التي تقوم حالياً بتحويل مياه الوادي إلى الحقول . وسيقع السد التحويلي الأخير في أسفل وادي عبيدة وعلى بعد حوالي (٢٠) كيلو مترا من موقع السد الجديد وستنشأ إلى جانب السدود التحويلية شبكة من القنوات الرئيسية والفـرعيـة تتـولى توزيع المياه وسط المساحات الـزراعية يزيد اجمالي أطوالها عن خمسين كيلو متراً . ويمكن استكـمـال هذه الشبكـة وربـما بطريقة سهلة ومرنة حسب الحاجة [٥١] .

ويتالف جسم السد من أحجار ومواد بناء مختلفـة تبلغ (٣٫٨) مليون متر مكعب بحيث يبلغ عرضه من أسفل (١٩٥) متراً وعرضه من أعـلى (٦) أمتار . ويتكون وسطه (لُبّه) من طبقـة غير نفاذة . وهي عبارة عن مواد رسوبية توضع في قاع الوادي ثم تغطى بالاحجار على جانبي السد بغرض حمايته من اندفاع الماء وتأثير المطر . ويضاف الى لب جسم السد طبقات من الفـترات والمسارب بغرض تخليصه من أية مياه تتسرب إلى داخله . ويتضمن السـد في أسفله بناء قاطع خرساني بعمق (٤٠) متراً لمنع تسرب المياه من الخزان [٥٢] .

ولما كانت وظيفة السد الجديد بالدرجة الاولى هي تخزين مياه السيول وتنظيم تصريفها فانه بطبيعة الحال سيحد من الفيضانات المفاجئة في منطقة السد . وللسد (مفيض) يقع على بعد ٦ كيلو مترات جنوب الموقع طوله (١٠٠) متر ، يتـولى تصريف السيول الـزائدة . ويعمل هذا المفيض عند وصول مناسيب المياه في خزان السد الى ارتفـاع ٣٢ مترا [٥٣] . كما انه من ضمن منشآت مشروع السد اقامة ثلاثة حواجز اجمالي طولها (١١) كيلو متراً لتحد من الفيضانات المفـاجئة التي قد تنشـأ عن وادي السـائلة في الناحية الشمالية ووادي المسيل في الناحية الجنوبية [٥٤] .

ان مفتاح أي جهد تنموي لتوسيع الرقعة الـزراعية في مأرب هو بلا ريب توفـير المياه اللازمة . ومشروع السد الجديد ينتظر أن يوفر مصـدراً مائياً للري يكـون أكثـر ثبـاتـاً وأشـد انتـظامـاً . على أن الاستفـادة المرجوة من هذا المشروع لا تتـوقف على إحكـام خطة المشروع وحسن تنفيذ منشآته فحسب وانما تتوقف ايضا على بعض الأمور التي تقع خارج إطار المشروع الهنـدسي نفسـه وتفـرض نفسها عليه بقوة منذ الـوهلة الاولى ، بحيث يصبـح الاهتمام بها وحسن التعامل معها من صميم المشروع ككل .

على الرغم من الاهتمام الكبير الذي توليه الدولة اليوم لهذه المنطقة الا انه من الضروري أن يعد العدة من الآن في سبيل وضع تصور يواكب التصور ويعنى بتحقيق النقلة « الحضارية » في تلك المنطقـة . فما الـذي يراد ان تكـون عليـه بعد سنوات أو عقـد من الزمان مثلا ، هل ستبنى مدينة حديثة ؟ أم يراد أن يحول وادي مأرب إلى ضياع زراعية أو مزارع تعاونية أو استثمارية أو ما شابه ذلك ؟ . إن تلك المنطقة من مشرق اليمن كانت يومـاً من بقاع الحضارة المزدهرة ، ضمن شروط تاريخية واجتماعية معلومة . وهي اليوم من

اقل بلاد اليمن سكاناً وأكثرها بداوة . وهي بحكم نمط معاشها وأحوالها الاجتماعية ذات تقاليد وأعراف معروفة وأوضاع سكنية ومصالح معينة . فهل يا ترى من اليسير استيعاب هذه النقلة التحديثية السريعة دون تصور واضح لما يجري . إن بناء سد حديث وادخال المكننة على نطاق واسع في تلك البقاع خطوتان هامتان وفق مقاييس العصر . ولكن كيف ستعالج أمور التسكين و « التهجير » وأنظمة الري وحقوق الحيازة والملكية وغيرها ؟ ان القلة من سكان منطقة مأرب تعنى بالفلاحة اليوم واستصلاح الاراضي الجديدة يحتاج إلى وفرة من الفلاحين . إنّ من هذه القضايا قد لا تخفى على أهل الشأن ، ولكن دراستها وانتظامها جميعها في تصور واضح ، وخطط مبرمجة على المدى البعيد قد تسعف على انجاح التجربة الزراعية والجديدة وتتيح لأهل مأرب مستقبلا أفضل ونحلة معاش أرقى تتجاوز حياة البداوة .

ـ واذا كان السد الجديد سيحد من انجراف التربة الذي تسببه الفيضانات فانه من الضروري أيضاً معالجة مشكلة التصحر ، فزحف رمال الصحراء الدؤوب قد يسبب نقصاً كبيراً في الاراضي الصالحة للزراعة .

ـ تدل النتائج الأولية للتنقيب عن البترول في حوض مأرب ـ الجوف على وجود البترول بكميات تجارية واذا ما تحقق الامر وأدركت مأرب حضارة البترول فما هو محل السد الجديد ومنطقة مأرب في هذا الخضمّ الجديد ؟

ـ واخيراً وليس آخراً ما الذي يمكن أن يحدث للآثار اليمنية المنتشرة في منطقة مأرب ؟ إذ أن تنفيذ مشروع السد قد يعود بالضرر على الأثار إذا لم يحسب للأمر حسابه . ويكفي ان يذكر مثلا : ان استثمار أراضي الجنتين جميعها وإعادة صياغة شبكات الري ستقضي على كل الشواهد واللقى الاثرية هناك . كما أن إقامة مخيمات الشغل والتنقل إلى مكان السد واكتضاض المنطقة بالناس والاشغال العامة يعرض المناطق الاثرية للانكشاف والتخريب . ولا ريب أن هيئة الآثار اليمنية قد قامت بجهود طيبة بالتعاون مع البعثة الالمانية وأعدت خارطة مؤقتة للمواقع الاثرية في المنطقة في سبيل العمل على حمايتها . ولكن الخطوة الجديدة ربما كانت وضع تصور جديد لمستقبل العمل الاثري في مأرب . بل إن الوقت قد حان لانقاذ آثار تلك المنطقة من الزحف العمراني الهائل الذي يتوقع أن يدرك المنطقة . وينبغي ان تشهد المنطقة بفضل بناء السد الجديد نهضة أثرية تواكب الاشغال الجارية ، تسهم فيها جهود أثرية محلية وعربية وأجنبية ضمن برامج عملية متكاملة وعلى الامد الطويل . إن سد مأرب الجديد رغم اختلافه عن السد القديم من حيث الموقع والتصميم الا أنه من حيث الجوهر والأثر يكاد أن يطابق سلفه ، آية جديدة جنتان عن يمين وشمال . وإحياء الارض الطيبة خطوة هامة في طريق التنمية الزراعية والأمن الغذائي . ولكن لا بد أن يحيا الماضي في الحاضر وأن نضمن بقاء آثار الماضي شامخة وشاهدة . هناك أكثر من مؤشر على أن التاريخ قد يعيد شيئا من نفسه في مأرب وان تلك الأرض ربما تشهد في القريب العاجل ازدهاراً ملحوظاً . الا يكفي ذلك مسوغاً لأن يدعو المرء إلى استباق الزمن وإنقاذ آثار مأرب وسدها قبل أن تتفرق أيدي سبأ ؟

هوامش

1 - Archaologishe Berichte aus dem Jemen, Bd II. Ven Veli Brummer : Die Erforsehung der antiken Oase von Marib mit Hilfe gormorpho logischer Vntersuchungcnathoden. Verlag Phihipp von Zafern.mainz am Rhein (1983).

٢ ـ راجع تلك الاخبـار مثـلاً في كتب التـاريخ العامة كالطـبري والمسـعودي وكتب الأخبار مثل التيجان ومادة الخلد في حياة الحيوان للدميري وغيرهما .

3 - Glaser, Edume : Reise nach Marib hrsg. Vun D. H. Muller unyd Rhodokamauis sammlung E. Glaserl, Wien (1913).

- Fakhry, ahmad : An Archaeological Journey to Yemem, Part I, servics des Antiquites de 1' Egypte, Cairo, 1951-52.

- Archaologische Berichte Aus dem Jemen, Bdl,11.

4 - Grohmann, Adolf : Arabien, Kulturgeschichte des alten Orient, im Handbuch der Alertums Wiss ens chaffen Miinchen (1963), S. 121.

٥ ـ سيتـون لويـد آثار بلاد الرافدين ، ت سامي سعيد الأحـمـد ، منشـورات وزارة الاعـلام والثقـافـة ، الجمهورية العراقية (١٩٨٠) .

6 - Einfuhruny in die Alte Gesclichte, Munchen (1975), S. 44. Siche anch : Archaeological Disconries. PP. 82-838

7 - Final Report on the Airphoto Interprctati Project of the 3 Wiss technical co- Operatin Service, Berne, carried out for the central Planning Organisation, Sanaa, YAR- Zurich 1978 [Suriss Final Report] P. I/10.

8) Bowen, Richard le Baron.. Archaelogical discoveries in south Arabiq. Publications of the american Foundation for the study of Man. Vol. III, Baltimone, the John Hopkins, Press, 1958 (Archaelogical Disco Veries) PP : 85

9)Marib Dam and Irrigation Project, Y.A.R. Main Report, Electro watt Engenering aervices LTD. Zurich, Swiss In Association with Hunting Technical services LTD. Herts. England. June 1978 [Electro Watt Main Report] P.7

10 - Swiss Final Report. P. I I 18

11 - Glaser. Reise.. Blatt I

12 - Produced for the Y.A.R by the Director of Militory survey, Ministory of Defense, uk, 1974

13) Raydan, Journal of ancient Yemeni antiquities and Epigraphy Vol : 4 1981 P. 204

14 ـ صفـة جزيـرة العـرب ، الحسن بن أحمد الهمداني ، تحقيق محمـد بن علي الأكـوع ، منشـورات دار اليـمامـة ، الرياض (١٩٧٤) . [الصفة] ص١٤٧ ـ ١٥٠

15 المصدر نفسه ص : ١٤٧

16 المصدر نفسه

17 المصدر نفسه

18 المصدر نفسه ص ١٤٨ ـ ١٤٩

19 ـ اليمن الكبرى ، حسين بن علي السويس ، مطبعة النهضة العربية القاهرة (١٩٦٢) .

20 - Archqilosis che Berichte Aus dem Jemen II. S.

- P.I / 17 Swiss Final Report

21 المصدر نفسه

22 - Grihmann, Adolf, Audarabiem als Wirt Schaftsgebiet, Verleg Rudeolf M. Rohrer, Brun- Prag- Leipzig- Wien, (1933), Zweiter Teil, S. 23 ff.

22 - Irrigatin and Land use in the Marib Regin, Ueli Brunne, Apaper presenteel T the Symposiun lie Exete ar modern Yemen, (1983). [Exete paper] P28

23 - J 671, CIH 540, CIH 541 : انظر النقوش
وانظر ايضا : - Fakhry, archrealogical Journney
- Jurgen schmidt, Archiologische Ben Brunner Ueli, Archiologische Beriche II,
24 - Brunner, Exeter Paper P.1-3
25 - CIH 540; CIH 541; J 671 راجع أيضاً
26 - Arechaolgische Besichte II.
27 - حرُّ التراب بمعنى جرفه معروف في اللهجة اليمنية.
28 - انظر نقش CIH 540 ويذكر فيه اشتراك ٢٠,٠٠٠ في اصلاح السد
29 - راجع نقوش تفجر سد مأرب ، مقال في الميثاق الاسبوعية عدد ٩٩ ص ٨ : والسورة سبأ ، آية ١٦ .
30 - انظر نقش J671
31 - Falchry Archrealogical Jumney.. PP63
32 الاكليل ، الجزء الثامن للحسن بن أحمد الهمداني ، تحقيق نبيه فارس ، تصوير دار العودة - بيروت : ص ٤٣ - ٤٤
33 - Jurgen schnicit : Arelialogiche Beichte I, 9- 17
34 المصدر نفسه
35 - Veli Branner : Archaologile Berichte II,34-3
36 - Brunner, Archaolagische Berichte II, S. 122
37 - Archaeological Discovenes, PP. 60-61
38 الصفة ، ص ٣٦١ - م . ن ٣٥٨
راجع :
39 - Sabaic Dictionary, Beeston, Ghul, Miuller, Rycrmans. Éditions Peeters, Louvain- la- Neuve, Lifrani Liban, Beyranth, 19828
انظر :
40 - IRVINE, A. K. A survey of old snth Arabian Lexical naterials connected eirth Irrigalim Techniques, Disenlation, Univesity of Oxfor 19828
راجع مثلاً :
41 - CIH 540 ; CIH 541
وقول الاستاذ بيستن في تلخيصه للنقشين السابقين في :
Outline Pnposil fin marib Dam, Project by Pauling and Company, London, May, (1974), PP. 25-268
42 - IBID : Introduction, no page numbers8
43 - معلومات مستقاة من نشرات وزارة الزراعة اليمنية (١٩٨٤)
44 - Electrowatt Main Report
45 - معلومات مستقاة من نشرات وزارة الزراعة اليمنية (١٩٨٤) .
46 المصدر نفسه

العثمانيون في اليمن

بقلم: زيد بن علي عنان

نشر المهندس أحمد وصفي زكريا سلسلة من المقالات في مجلة التمدن الاسلامي التي كانت تصدر في دمشق ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٧ م، وقد خصص هذه السلسلة من المقالات في تاريخ اليمن وركز على دور الاتراك في اليمن وكان المذكور قد وصل إلى صنعاء كمهندس زراعي في ١٣٥٤ هـ وغرس في أملاك الامام يحيى عدة أشجار مثمرة وغير مثمرة . ولهذا فقد رأيت نشر مقالاته لما لها من الأهمية التاريخية ولاطلاعه على كثير من المؤلفات التركية . وهذا نص أبحاثه مع التعليق عليها بين قوسين .

لما فتح السلطان سليم مصر في ٩٢٣ هـ واستولى على الخلافة وصار يخطب له في الحجاز أيضاً رأى أنّ لا بد من أخذ اليمن . فما زال اليمن دعامة الحجاز . وبلغ نوابه في مصر وجدة ضعف حال اليمن في تلك الحقبة وخلوه ممن يحسن الذود عنه ، فبعثوا من قبلهم أمراء وجنوداً جاؤوا في ٩٢٧ هـ وقتلوا الامير الاسكندر الشركسي « وصل هذا مع حملة حسين الكردي الذي قضى على دولة عامر عبد الوهاب بسبب ظهور السلاح الناري وهي المدافع والبنادق العربية التي ما تزال موجودة لدينا حتى الآن وكان الامام شرف الدين الذي أعلن دعوته بحجة قد شجع حسين الكردي ضد عامر عبد الوهاب وكان قوياً ، وله أسطول بحري كبير حتى أن الهند استنجدته ضد البرتغال فأرسل بعض السفن وعليها (٤٠٠) جندي إلا أنه قضي على هذه القوة بسبب اختلاف السلاح بين القوتين وهو السلاح الناري » . قال واستولى على التهائم واليمن الأسفل فقط . « وصلت الحملة الكردية الى صنعاء وقتلوا عامر عبد الوهاب في باب اليمن واستمروا في اليمن الى ان قضى السلطان سليم على السلطان الغوري في مصر ولما علم الاكراد بذلك اعلنوا انضمامهم الى السلطان سليم المذكور » . إم اليمن الأعلى

في الجبال فقد ظل بيد الامام يحيى شرف الدين ، لكن اولئك الامراء ظلوا عدة سنين يتنازعون فيما بينهم على الولاية ولم يحسن احدهم الادارة السياسية ، فرأى الامام شرف الدين الذي أشرنا إليه بمقدرته وبسالته الفرصة سانحة فشرع في ٩٣٤ هـ هو وابنه المطهر يناجز العثمانيين ويدفعهم حتى اخذ التهايم ووصل فيها الى لحج وأبين وجيزان وأبي عريش ولم يبق في يد العثمانيين سوى زبيد التي تحصنوا وراء أسوارها ، ولما رأت الدولة هذه الحالة بدأت منذ ٩٤٥ هـ تهتم باليمن وصارت ترسل من العاصمة قواداً وجنوداً اكثر عدداً وكفاءة من الأولين وجعل هؤلاء استرداد اليمن واكمال فتحه نصب أعينهم وما زالوا يراوحون الامام شرف الدين القتال ويغادونه حتى تسنى لاحدهم أزدمر باشا « بنى هنا مسجد ازدمر وزاد فيه الامام المنصور على هيئته الحالية وبقي اسم المسجد والحارة باسم ازدمر باشا حتى الان » ان يستولي بعد معارك شديدة على صنعاء ٩٥٤ هـ ثم سار الى الشمال واستولى على صعدة في ٩٦٠ هـ فدان له بذلك كل اليمن وعدوه فاتح اليمن الاول وعقد صلحاً مع الامام المطهر الذي خلف والده « بل خرج عليه وحاربه واستولى على اليمن . وكان مشهوراً بسفك الدماء وقطع ألف رأس صبراً كما قطع أيدي وأرجل سبعين رهينة من رهاين خولان كانوا في سجن القلعة بسبب اطلاق رصاصة الى باب اليمن من قبل شخص من خولان وفر فالزم خولان بوصول المذكور فلم يصلوه فتقدم عليهم وخرب بيوتهم وقطع أشجار اللوز وأسر (٣٥٠) منهم وقيل انه قطع أيديهم وأرجلهم بعد الرهاين كما جاء ذلك في تاريخ « روح الروح » للطف الله حفيد المطهر . وقد صورته وزارة الاعلام ونشرته ضمن مشروع المئة كتاب [1] » . ظل هو قابعاً بموجب الصلح المذكور في معتصمه في حصن ثلا . ثم جاء بعده ولاة ضعفاء كان احدهم واسمه رضوان باشا مأفوناً فنقض الصلح المعقود مع الامام المطهر واعتدى عليه لكنه لقي جزاء بغيه وانكسر في المعارك التي اثارها وكان سبباً لانتقال اكثر بلاد اليمن إذ ذاك إلى الامام المطهر ولم يبق للعثمانيين سوى زبيد . على أن هؤلاء لما رأوا ما حل بهم عادوا فأرسلوا في ٩٧٦ هـ قائداً مغواراً اسمه سنان باشا « عمّر سنان هذا منارة الجامع الكبير الشرقية وعمّر القبة التي وسط الصوح الموجودة الآن بعد أن صل صوح الجامع الذي بقي الى بعد قيام الثورة . ثم أعيد صله على نفقه اهل الخير وقد جعل القبة المذكورة خزانة للسليط وحفظ دراهم الوقف ووضع المسودة السنانية لاموال الوقف وما تزال محفوظة ، كما عمّر منارة مسجد « صلاح الدين » وله تحصينات في الجبال والطرقات واحدث البركة الموجودة الآن في مَتْنَة . وكانت مَتْنَة تسمى متنة سنان باشا . وكان حازماً له قصص مشهورة في سياسته واستمر في اليمن مدة كبيرة وسافر بعد ان وصل خلفه ولكنه مات في المخاء اثناء عودته » . الكبير واستطاع بعد حروب هائلة ان يسترد اكثر بلاد اليمن من يد الامام المطهر فعدوه فاتح اليمن الثاني ، ومن مشاهير الولاة الذي خلفوا سنان باشا يذكرون مراد باشا الملقب بحفار الآبار وجد في ٩٨٣ هـ كما بنى جامع المرادية وغيره في تعز « كان جامع المرادية الموجود الآن في قصر السلاح مستودعاً للذخيرة وغيرها لكنه

(١) ثم قبضوا عليه فسمر يديه في باب اليمن حتى مات .

اعيد بعد قيام الجمهورية بعد ترميمه الى محل للعبادة حيث تقام فيه الآن صلاة الجماعة وصلاة الجمعة » . وهو الذي جلب الى صنعاء ماءً من سفح جبل نُقُم . وهو الجبل المطل على صنعاء من الجهة الشرقية وسمي هذا الماء غيل الباشا . « المشهور اسمه لدينا غزل الباش وقد جف الآن وساق له ساقية قضاض الى القصر وقد اندثرت » . ويذكرون حسن باشا الأرناؤط في ٩٨٨ هـ استولى على صعدة واجلى ابناء المطهر الى استنبول وبنى جامع البكيرية . « جاء تاريخها [تراهم ركعاً سجداً] (١٠٠٥) كما عمل المنبر والزخارف السلطان عبد الحميد » . وهو أحسن بناء في صنعاء وعمّر حمام الميدان الحالي وأوقفه على البكيرية وبكل مساجد وخانات كثيرة . ويذكرون سنان الكخدار في ١٠١٣ هـ . له خيرات كثيرة كتبليط عقبة شهارة وبناء المساجد والقبب والبرك . ويذكرون الحاج محمد باشا في ١٠٢٥ هـ ، الذي حفر بئر الباشة الحالية أعذب بئر في صنعاء وبناء سور يريم ، ورمم سور صنعاء وزبيد وله خيرات اخرى . « سميت حارة الباشه باسمه وكذلك مسجد الحيمي الى الآن وكانت تسمى صوح النعيم كما سمعت ذلك وكانت البئر المذكورة بئر مترعة ثم توسعت وقد نضبت الآن » . قال ثم خلف هؤلاء ولاة مأفونون أساؤوا التدبير وعكفوا على الجور وابتزاز الأموال وعاصمة السلطنة البعيدة في غفلة عن مراقبتهم ومحاسبتهم لان الانحطاط كان قد دب فيها منذ اوائل ذلك القرن ، وانصرف السلاطين الى الخمول واللهو فاهتبل الائمة هذه الغرر وصاروا يناجزون ولاة الدولة كلما آنسوا منهم ضعفاً إلى أن تمكن أحدهم وهو الامام المؤيد محمد بن القاسم في ١٠٤١ هـ من اخراجهم من اليمن كله داخله وساحله ، فانتهى بذلك دور العثمانيين الاول الذي دام (١٤١) سنة أبقوا خلاله بعض المباني والمآثر الخيرية التي ذكرناها وهي لا تعادل ما فعله فريق منهم من العسف والابتزاز شأنهم في اكثر الازمنة والامكنة ويذكر انهم كانوا في ذلك الدور يقيمون في اليمن كله جيشاً لا يزيد عن عشرين الفاً ، ثلاثة أرباعه من أبناء الترك وربعه من أبناء اليمن (يسمون الجندرمة) وان ولاية اليمن كانت إذ ذاك تجيء نحو نصف مليون دينار ذهبي وانها بعد ان تنفق من هذا المبلغ على الموظفين والجيوش والحروب تبعث (١٥٠،٠٠٠) دينار الى عاصمة السلطنة (تاريخ احمد باشا ص - ٢٥٧ / طبع الاستانة عام ١٢٩١ هـ تاريخ اليمن وصنعاء للمذكور) .

دور استقلال اليمن
من ١٠٤١ هـ إلى ١٢٨٩ هـ

بعد أن زال حكم الاتراك ارتاح الائمة واستقلوا في الجبال والتهايم كلها استقلالاً تاماً وظلوا سائدين نحو قرنين ونصف لا ينازعهم خلالها أي منازع غريب سوى من كان يظهر في التهايم من أشراف أهلها ، فقد كان هؤلاء لا يرضون بضياع سيادتهم من أيديهم ، فظلوا يناجزون الائمة ويدافعونهم عن التهايم حتى تم لهم ما أرادوا في منتصف هذا الدور وأواخره ، وقد كان يُنْتظر من الائمة المذكورين بعد أن استقلوا وسادوا وهدأ بالهم أن ينصرفوا إلى تنظيم شؤون اليمن وإعادة عمرانه بعد أن انهكته الحروب والكوارث الماضية وان يعنوا بالمشاريع والاعمال الخيرية المفروض صدورها من أمثالهم ذوي الفضل والعلم العزيزين والصيدرة البالغة

حد التقديس ولا سيما أموال الضرائب والصدقات التي كانت تجيء إليهم كلها دون هوادة وتكنز في خزائن صنعاء . لكن شيئاً من ذلك لم يحصل بل اكتفى المذكورون بإدارة بلادهم ومعاملة رعيتهم على مناهج بالية وأشد ما كان يهمهم هو مدافعة وثبات الطامعين بنوال الامامة من أقاربهم أو إخماد ثورات القبائل التي كانت ولا سيما في أواخر هذا الدور حيث كانت تكثر بحكم سوء الادارة والمجاعات . على أن العثمانيين لم ينسوا اليمن طوال ذلك الدور بل ظلوا يتحينون الفرص لاسترداده باعتباره دعامة الجزيرة العربية وسور الحجاز المتين وان بدون الحجاز ، ووراءه اليمن لا تستقيم الخلافة الاسلامية . لكن اضطراب شؤونهم الداخلية وانشغالهم باطفاء الفتن والثورات في ولاياتهم المترامية الأطراف فضلاً عن حروبهم المتوالية مع الروس والنمساويين وغيرهم كان يحول دون تحقيق أمنيتهم هذه إلى أن جاء محمد علي باشا رأس الاسرة الخديوية في مصر بعد أن استتب له الامر ولحظ حالة اليمن ومكانته المذكورتين فحملته مطامحه البعيدة على انتهاز الفرصة . فأرسل أحد قواده واسمه أمين بك واستخلص اللحية والحديدة من أيدي أشراف التهايم ١٢٢٥ هـ . وعززه بآخر اسمه ابراهيم باشا اليكن فأتم هذا فتح التهايم وانحاء تعز من اليمن الأسفل . ولكن عقيب مؤتمر لندن ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م واضطرار محمد علي باشا إلى اخلاء بلاد الشام والحجاز التي كان استولى عليها ورجعت الجنود المصرية من اليمن فلم يكن في وسع الدولة العثمانية أن ترسل جيشاً إلى اليمن فاكتفت بتسليم التهايم مؤقتاً إلى حسين بن أحمد بن علي أحد شرفاء بلدة أبو عريش . وعقدت معه اتفاقاً ، فظل محتفظاً بها مسلم إليه بدافع امام صنعاء المتوكل الذي قصده وحاربه ليستولي على ما بيده . وفي سنة ١٢٦٥ هـ أرسلت الدولة توفيق باشا القبرصي مع جيش نزل في الحديدة ثم تقدم إلى صنعاء باستدعا الامام محمد بن يحيى [1] وقد كان هذا الامام ضَعُف وقَصُر عن إخماد ثورة القبائل ضده . فاستنجد المعونة بالدولة لكن أهل صنعاء وثبوا على جند توفيق باشا المذكور على حين غرة وقتلوا عدداً منهم وارجعوا الباقي مثخنين بالجراح إلى الحديدة وكانوا أسقطوا الامام المذكور ، لانه استنجد بالدولة وأهانوه ثم قتلوه [2] ونصبوا بعده علي بن المهدي ، ثم جاء بعده من العثمانيين متصرفون عديدون إلى الحديدة وحدها وكانوا لا يتجاوزونها إلا قليلاً ، وكثيراً ما كان أمراء عسير من آل عايض الذين نبغوا في تلك الحقبة يهاجمون أولئك المتصرفين ويزعجونهم ، ولما استفحلت شرور الامير محمد بن عايض في عسير وتهامة وهاجم الحديدة في ١٢٨٧ هـ ساقت الدولة عليه جيشاً بقيادة المشير رديف باشا ففتح عسير وقتل ابن عايض وقضى على إمارته . وكانت صنعاء اذ ذاك تموج بالفتن من عجز الائمة وعصيان القبائل وانقطاع السبل . فاستنجد الائمة والسادة بالدولة بواسطة شريف

(١) جد بيت عبد القادر بن غالب .

(٢) الحقيقة انه قتله الامام المنصور بن المهدي الملقب على مقلا بضفد من اهل صنعاء الذين نصبوه اماماً والدليل على ذلك ان غالب كان محبوساً في القلعة بجانب مكان والده حيث قال ابوه عندما وصل السياف لضرب عنقه قال لا يسمع غالب ولهذا عندما تولى غالب الامامة لم يؤاخذ المنصور علي في قتل والده لانه مدفوع من اهل صنعاء والقبائل المحيطة بها .

مكة ، وكان هذا ثاني استنجاد . فامرت الدولة الغازي احمد مختار باشا الذي خلف رديف باشا في قيادة جيش عسير على أن يذهب إلى صنعاء ويقر الأمن ويملكها باسم الدولة ويبسط سلطانها على اليمن كله فجاءها في ١٢٨٩ هـ واطفأ فتن قبائلها بعد معارك عديدة أجلّها ما قاساه في حصار حصن كوكبان . واخضع اليمن جباله وتهامته ما عدا أنحاء صعدة الشمالية ومارب الشرقية . وأسس ولاية اليمن من ذلك الحين وقضى على نفوذ الأئمة الذين كانوا يظنون بأن الدولة بعد أن تنجدهم تعود أدراجها وتترك لهم البلاد وهكذا . فآوى هؤلاء بعد حين إلى زواياهم في صنعاء أو إلى معاقلهم في القسم الشمالي من الجبال في صعدة وشهارة وقفلة عذر وقنعوا بالسلطة الروحية واحتجان أموال الصدقيات من أتباعهم فقط ولبثوا يتحينون الفرص للانقضاض واسترداد ما فاتهم من الملك الذي أعطوه فلم يحسنوا سياسته .

الدولة العثمانية في دورها الثاني في ١٢٨٩ الى ١٣٣٧ هـ

بعد فتح الغازي أحمد مختار باشا بلاد اليمن وأسس ولايتها كما قدمناه بدأت الدولة تهتم في شؤون هذه الولاية ما ساعدتها أحوالها المضطربة إذ ذاك وبعد المشقة وكان ذلك في أواخر السلطان عبد العزيز المشهور بهوجه وتبذيره ، ولكن الدولة ما لبثت أن رجعت إلى عادتها في الإهمال بحكم ازدياد الاضطراب في عاصمة السلطنة وخروج أمم البلقان إذ ذاك عليها واضطرارها إلى مواقعتهم وإخماد ثورتهم وزاد هذا الاهمال بسبب نشوب الحرب الروسية ١٢٩٤ هـ ، وانكسار جيوش الدولة فيها وانصرافها عقيبها إلى رتق فتوقها ، ودخل عهد السلطان عبد الحميد الطافح بسوء السياسة والادارة والتجسس واليمن المنكود الحظ أكثر ما كان يجيئه من الولاة والموظفين الطالحون المأفونون وبعضهم من المغضوب عليهم والمطلوب إقصائهم . فكان هؤلاء يجعلون دأبهم الجور والعسف وابتزاز الاموال للرجوع بأكبر غنيمة إلى بلدانهم . وإذا جاء ولاة صالحون فما يكادون يشرعون بالاصلاح وتبدأ أعمالهم بانبات الثمرة حتى تستدعيهم الدولة إلى أماكن ووظايف أخرى[1] فلا تتركهم ينهون ما شرعوا به من المنشآت والاجرآت النافعة . نعد من هؤلاء الذين كانوا قليلين ويا للاسف : المشير أحمد أيوب باشا في ١٢٩٠ هـ هذا في صنعاء عدة مباني أميرية أجلها المستشفى العسكري الكبير الذي اتخذه الامام يحيى مسكناً وسماه دار السعادة . « هذا المستشفى كان أهلياً وجعله الامام يحيى مقاماً وأدخله إلى دار السعادة وهو وزارة المالية بعد الثورة وزاد فيه الامام يحيى الطابق الثاني في ١٣٦٤ هـ أما المستشفى العسكري فكان محل المطبعة التركية الذي أصابه الحريق بعد الثورة وبجانبه أيضاً وزارة المواصلات التي صارت ادارة الجوازات والجنسية ويظهر أن الاول كان خاصاً بالضباط الأتراك كما كانت صيدلية أمام « دار الشكر » المتحف الوطني وكان محل دار الشكر متخذات لقبة المتوكل احمد ونقلت هذه الى المحل الذي أمام البنك اليمني ملاصقة بباب خزيمة وباب السبح أي باب شرارة ميدان التحرير وكان باباً جميلاً جداً أسف على إزالته وإزالة أكثر أبواب صنعاء العاصمة

(١) حيث يقدمون الرشوة ويعينون في مناصب اخرى مناسبة اكثر لهم .

الحميرية » . قال ونذكر الفريق اسماعيل حقي باشا ١٢٦٥ هـ فتح عدة مدارس وجند عدة افواج من متطوعة أهل اليمن على النحو الذي عمله الولاة العثمانيون في دورهم الاول وقد اتقن هؤلاء المتطوعة الخدمة وابلوا أحسن بلاء في إطفاء فتن القبائل من أبناء جلدتهم ، لكن الادارة الحميدية الهوجاء استوحشت من هذا الجند العربي على إثر تقارير بعض الجواسيس فأمرت بحله وبذلك قضت على هذا المشروع الذي كان نافعاً كل النفع لها ولأهل اليمن معاً ولم تعتبر وقتئذ بالدول الأوربية التي تجند من أبناء مستعمراتها وتقاتل بهم وتفتح مستعمرات أخرى بسواعدهم فتوفر من دماء أبنائها الاصليين ونفقاتهم الشيء الكثير . قال ونذكر الفريق عثمان نوري باشا المشهور بورعه وعدله ١٣٠٦ هـ ، والمشير احمد فيضي باشا الذي كان قائداً مغواراً أنقذ صنعاء من الحصار مرتين في ١٣٠٨ هـ . « الحوزة الثانية ١٣٢٢ هـ بعد موت الامام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين الذي خرج من صنعاء في ١٣٠٧ الى حاشد وأعلن دعوته وكان يعمل في سوق الكوافي وما يزال حانوته موجوداً إلى قريب . كان يعمل فيها شخص من أسرة حميد الدين ولما مات في ١٣٢٢ بايع العلماء ابنه يحيى حميد الدين وتلقب المتوكل على الله رب العالمين وحاصر صنعاء في هذا التاريخ وتسمى حوزة النقر أي بلغ قيمة النفر الجد ريال « ماري تريزا » والنفر ربع صاع وقد أكل جند الاتراك في صنعاء الحيوانات مثل البغال والحمير والكلاب وقد أخبرني والدي رحمه الله أن امرأة أكلت ولدها ومات الجند وأكثر أهل صنعاء إلا من استطاع الذهاب إلى أحد القبائل حيث سعر الحب ثمانية انفار بريال وكان بعض أهل صنعاء يتركون أولادهم في الشوارع لعدم ما يجدون لهم من الطعام ودامت الحوزة ثلاثة أشهر » قال أحمد وصفي لقد أطعمهم الفأر والنار ولما دخل الامام يحيى تجمع من بقي في صنعاء وذهبوا إليه يشكون ما حل بهم فصاح بأعلى صوته وهو على جواده ماشياً بسرعة قائلا من مات شهيد ومن عاش سعيد وانطلق . وجاء أحمد فيضي باشا ودخل الجيش التركي صنعاء في أول جمعة من رجب ١٣٢٢ هـ وفر الامام يحيى من خربة المدافع عن طريق باب ستران الحالي في القصر وأمر فيضي بفتح باب القصر لأهل صنعاء وأخذوا حباً وزجيزا يدفنون في الأرض وكان بعض أهل صنعاء يبيع بيته بملوجه أو قفوعه كما سمعت » .

قال وحسين حلمي باشا الصدر المحنك المشهور بعدله وحكمته ١٣١٥ هـ فتح المدارس الصناعية والاعدادية ودور المعلمين في صنعاء وتعز وقضى على الظلم والرشوة وشرح باصلاح أمور اليمن إصلاحاً حسناً لولا إعراض عاصمة السلطنة واهمال تلبية مطاليبه . « بنى المذكور وزارة الداخلية وتسمى الصنايع حيث كان فيها مدرسة مهنية خصوصاً عمل الاحذية ومدرسة اعدادية وبنى مدرسة للبنات هي الطابق الاسفل في وزارة التربية والتعليم ثم صارت مدرسة ثانوية في أيام الامام يحيى وعندما امر حسين حلمي المأمورين من الموظفين من أبناء اليمن وأبناء الترك بلبس العمايم والجبب وأداء الصلاة في أوقاتها أحبه الناس وسكنت الحروب وكان في أيامه قائد عسكري هو عبد الله باشا وكان منافساً لحسين حلمي وخلفه في ولاية صنعاء وبنى عبد الله باشا الثكنة العسكرية وتسمى العرضي كما بنى الجامع والحمام الموجودين الآن في العرضي وبنى باب اليمن

على شكله الحالي وحفر بئراً امام باب اليمن وقبة للشرب نقل الامام أحجارها الجميلة إلى قبة الأبهر الموجودة الآن . ودخل الامام يحيى صنعاء في ١٣٣٧ هـ (١٩١٨) م بعد الحرب العالمية الاولى وسقوط تركيا وتسلم من الوالي محمود نديم باشا كل ما خلفه الاتراك من السلاح وغيره وقد جعل الامام يحيى الصنايع حبساً مدة كبيرة . وعندما فكر في دار ضيافة نقروا الاوساخ من الجدار والدعائم حول البرك بالوقيص حيث ان دخان المحابيس والاوساخ أثر في الاحجار وبقيت دار ضيافة إلى قيام الجمهورية وكانت وزارة للداخلية » قال ونذكر حسن تحسين باشا ١٣٢٦ هـ المشهور برزانته وحسن إدارته] . ونعد من المشهورين بجورهم وعسفهم مصطفى عاصم باشا ١٢٩٣ هـ وعثمان باشا ١٣٠٥ هـ والمشير عبد الله باشا ١٣١٨ هـ اما الائمة بعدما ذهبت ريحهم عقيب دخول الدولة وسدت في وجوههم أسباب العيش والمقام في صنعاء انتقلوا منها إلى معاقلهم في شمال اليمن فقطن الامام المتوكل محسن بن احمد الشهاري المتوفى ١٢٩٥ هـ في حاشد ، والامام الهادي شرف الدين محمد المتوفى ١٣٠٧ في هجرة صعدة ، والامام المنصور في قفْلة عذر ، ثم قال ولما قام الامام الحالي يحيى بعد وفاة والده . وكان حظه اكثر من أسلافه كلهم وقد أثار على العثمانيين حروباً شديدة وثورات عظيمة وحاصر صنعاء محاصرة هائلة في ١٣٢٢ هـ . أطعم أهلها والجنود الذين كانوا محصورين فيها النار والفأر وحدثت وقتئذ مجاعات فتاكة أودت بالالوف من اليمنيين فوق ما نالهم من الحروب والكوارث المختلفة . وقد ذكر الشيخ الواسعي اليماني في كتاب « تاريخ اليمن » / ص (١٩٧ ـ ٢٠٣) وصف هذه المحاصرات والمجاعات وما خلفته وقتئذ في صنعاء وغيرها من الآثار المحزنة والدمار والبوار ودام الحال تارة بالسكون وتارة بالثورات إلى أن دخل عهد السلطان محمد رشاد عقيب اعلان الدستور العثماني ١٣٢٦ هـ . وشرعت الدولة بلم شعثها واصلاح بلادها لكن اليمن لم يذق طعم هذا العهد كغيره بسبب استمرار الحروب . وحاصر الامام يحيى صنعاء مرة ثانية ١٣٢٨ . هذا ما جاء في سلسلة تاريخ اليمن للمهندس المذكور وقد أخذه من مصادر تركية وعربية ذات أهمية كما وجه اللوم للامام يحيى بعد أن نال استقلاله التام في اليمن في آخر هذه السلسلة من المقالات ولفت نظره إلى ما خلفه الاتراك من المباني والمدارس والمستشفيات التي كان يجب أن يضاعفها ويقدم اليمن في كل المجالات .

وانتهى المذكور إلى ١٣٢٨ هـ وفي هذا التاريخ كان الوالي محمد علي باشا وقد تحاصر صنعاء أو قل حاصر نفسه فقد كان يشرع المدافع في باب شعوب وفي الليل يدخلها صنعاء ويغلق الابواب كما سمعت ذلك من والدي رحمه الله وقد سمى أهل صنعاء هذه الحوزة لوزة لان الاشياء كانت متيسرة وما تزال بعض مناظر عالقة بذهني في هذه الحوزة . فسبحان الذي أودع في الانسان هذه الذاكرة . بعد حوزة محمد علي باشا الذي أمر بقطع جميع أشجار الاثل من شُعُوب حيث جعله كراحة اليد وذلك لان القبائل كانت تطلق الرصاص إلى صنعاء من بين الاثل . بعد محمد علي باشا أرسلت الدولة وال آخر خلفاً للمذكور اسمه عزت باشا والذي عقد مع الامام يحى صلح دعان ١٣٢٩ هـ .

■ لماذا رأت الدولة عقد الصلح مع الامام يحيى ؟ لا شك أن أهم أسباب ذلك هو أن الدولة العثمانية كانت حليفاً لالمانيا وكانت تستعد للدخول في حرب الحلفاء إلى جانب المانيا

فارادت أن تزمن جانبها في اليمن الذي كبدها خسائر فادحة طيلة عشرات السنين . ومن مواد صلح دعان : وقف القتال . وان يتولى الامام يحيى إدارة المحاكم الشرعية ويعين حكام الشرع في المناطق الشمالية وان يتولى إدارة الاوقاف . وعين له مرتباً من الدولة وقد اشترط في هذا الصلح أن تعفى الواجبات عن قبيلة آنس وخولان . وأيضاً قبيلة أرحب كما أظن . مدة عشر سنين . ووافق الوالي عزت على ذلك . واستتب الأمن ووضعت الحرب أوزارها . ثم خلف عزت باشا الوالي محمود نديم . وكانت أول سيارة دخلت اليمن هي سيارة محمود نديم باشا وقد مرت من طريق الزمر وكانت ترتعش فرائصي من سماع الحنين قبل مشاهدتها . وقد كان وجودي صدفة في الزمر ولم أكن أنا الوحيد في الخوف . فقد هرب الناس إلى دكاكين الحناويت وهم يصيحون الشمندفار الاتمبيل . واليوم أصبحت صنعاء « قرش » للسيارات . وأصبح يسوقها الاطفال فسبحان محوّل الاحوال . كان لون هذه السيارة أسود وهي من ماركة فورد .

■ بعد ثلاث سنين من عقد « صلح دعان » بدأت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢ هـ . واستمرت إلى ١٣٣٧ هـ حيث سقطت تركيا واستلم الامام يحيى من الوالي محمود باشا جميع مخلفات الاتراك من سلاح وغيره . وبقي محمود نديم مدة في اليمن . وكان يقوم ببعض الاعمال للامام منها أنه أرسله إلى باجل عندما اعتقلوا الوفد الانكليزي برياسة جيكب في طريقه إلى صنعاء ولم يطلق سراح هذا الوفد إلا بعد أن حلقت طائرة انكليزية فوق باجل . وتم التفاهم مع القبائل أن يعود الوفد إلى الحديدة في طريقه إلى عدن وتم ذلك . وربما انها سرت ليلة القدر لمشايخ القبائل ومعظمهم من قبيلة الزرانيق . ولم يكن الامام يحيى قد استلم الحديدة لان الانكليز سلموها بعد أن احتلوها وسلموها للادريسي . كان المتصرف في الحديدة أثناء حرب الانكليز لها هو محمد راغب بك الذي شغل منصب وزير خارجية للامام يحيى حتى مات . وكان يساعده عبد الكريم مطهر وينظم لهما القاضي عبد الله العمري إذا كانت هناك أمور هامة مثل المعاهدات . وكان الهيكل التنظيمي لهذه الوزارة مؤلفاً من شخصين فقط هما القاضي محمد راغب والقاضي عبد الكريم مطهر . وكان السيد محمد بن محمد المنصور يكتب وقت الحاجة . ومن طريف ما أخبرنا القاضي محمد راغب عندما كان في الحديدة انه كان « يشرّع القواري التي تجرها الحمير » على طول الساحل يوهم الاسطول الانكليزي انها مدافع . بعد ان تسلم الامام مقاليد الحكم بقي في اليمن عدة أشخاص من الترك من ذوي الرتب العالية . نظموا له الجيش والمدرسة الحربية والمحاسبة وبيت السلك . منهم كنعان بك ونجيب بك وغيرهم . كما بقي من الجيش التركي سريتان كانتا تشترك في العرضي مع الجيش النظامي بالملابس العسكرية التركية . وقد طالب الانكليز بتسليمهم حسب شروط الصلح مع الترك وهو ان تسلم جميع الجيوش الموجودة في البلاد العربية إلى الانكليز وهو بدوره يسلمهم إلى تركيا بعد تجريدهم من السلاح . وكان سعيد باشا في لحج . وسمعنا انه طلب من الامام أن يستلم منه لحج والجنود بدل تسليمها للانكليز في عدن . وقد بقي المذكور يكافح الانكليز في لحج ويشن غارات على الشيخ عثمان ويهدد عدن حتى سقطت تركيا وأمروه بالتسليم إلى الانكليز . هذه نبذة من وقائع التاريخ فيها العبر لمن يستفيد منها من الاخرين . فسبحان

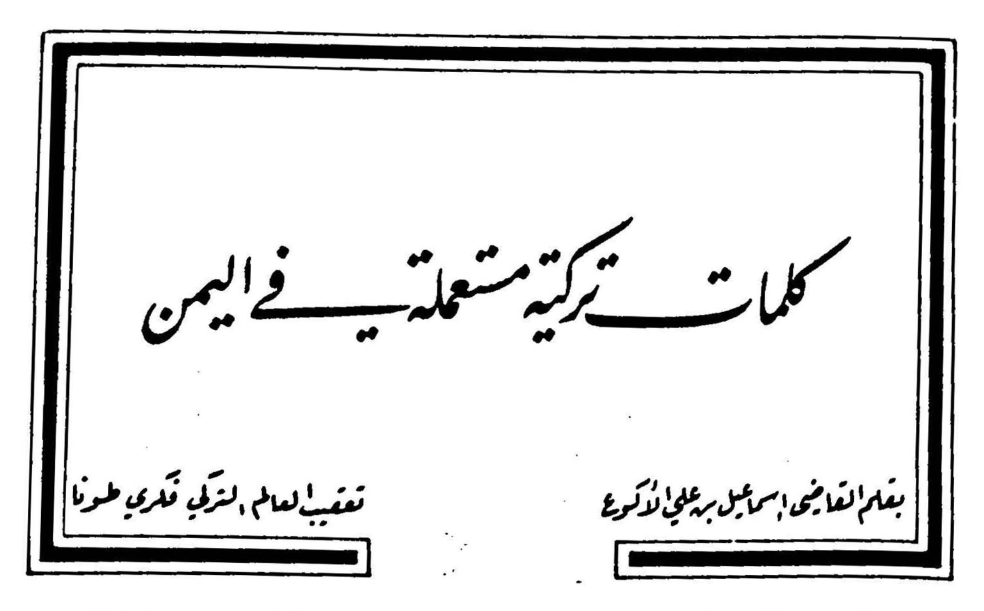
وارث الارض ومن عليها . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً وعلى آله وصحبه والتابعين وعلى جميع الملائكة وعباد الله الصالحين .

★ ملاحظة ضرورية :

نشر الاستاذ سيد مصطفى سالم في كتابه « تكوين اليمن الحديث » نقلاً عن « هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن » لأحمد فضل العبدلي ، الخطابين المهمين التاليين :

١ ـ خطاب سعيد باشا في لحج إلى القائد العثماني أحمد توفيق باشا في صنعاء بتاريخ ٢ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٨ م . والذي يلقي فيه اللوم الصريح على « حضرة الامام ووالي الولاية » وجناب أحمد توفيق لتخليهم عن معونته مادياً ومعنوياً ضد الانجليز .

٢ ـ خطاب موجه من « اللواء سعيد باشا إلى اللواء حسين باشا بصنعاء » بتاريخ ١٢ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٨ م . وفي هذا الخطاب عبارات واضحة « تحمل اليمنيين عامة والامام خاصة مسؤولية المحافظة على بلادهم وحدودهم » كما يقول د . سالم . ولانقطاع المعونات على جنده من قبل الامام اضطر إلى التسليم للانجليز قبل رحيله ورحيل جنده !!



كانت اليمن أقل الأقطار العربية التي حكمتها الدولة العثمانية تأثراً باللغة التركية وبخاصة مناطق القبائل التي ظلت لهجاتها سليمة ونقية لبعدها عن المؤثرات الخارجية (١) بينما نجد صنعاء وبعض مدن اليمن الاخرى قد تأثرت بها حينما كانت اليمن مشمولة بنفوذ الدولة العثمانية لا سيما في العهد الاخير (١٢٦٥ - ١٣٣٦) فاستقطبت منها بعض المصطلحات الضرورية التي تتعلق بالادارة المدنية والأنظمة العسكرية والاجتماعية وهي التي لم يكن لها عهد بها من قبل فأخضعها أهل اليمن لقواعد لهجاتهم وصارت جزءاً منها .

وقد جمعت كثيراً مما يوجد على ألسنة الناس منها مما كان شائع الاستعمال في اليمن الى عهد قريب فدونته وشرحت مدلوله ، واستعنت على فهم ما استغلق علي فهمه من معاني بعض الكلمات ببعض الاخوة الاتراك كالاستاذ الدكتور كوبن المدير السابق للمركز الاسلامي في اصطنبول والدكتور عثمان اوزوتوك والاخ الاستاذ العالم فكري طونا الباحث والمترجم في المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر وقد الحقت تعقيبه بهذا البحث وغيرهم .

كما استعنت برسالة (الرتب والألقاب المصرية) للعلامة المحقق احمد تيمور باشا رحمه الله على ان كثيراً من هذه الكلمات لم يبق مستعملا بعد أن هجرتها الألسن ، وحلت محلها كلمات عربية مستحدثة .

١ - آفَرم : أصلها آفرين وهي من الفارسية ومعناها مَرحى أو حَسَناً .

٢ - آبلا : الاخت الكبرى ، وتوسع مدلولها حتى صارت تطلق على المعلمة . وقد جاء هذا الاستعمال الاخير الى اليمن من مصر

(١) شاعت على ألسن الناس في اليمن في الأونة الاخيرة كلمات هندية وانكليزية جاءت عن طريق عدن كما انتقلت بعض المصطلحات العامية المصرية والشامية عن طريق الدارسين فيهما والمدرسين منهما في اليمن وعن طريق الافلام والروايات وغيرهما .

بعد الثورة من المعلمات المصريات ومن أخذ عنهم بالتقليد والمحاكاة لكل شيء ولو كان سخيفاً .

٣ ـ إسْبَنَاك : نوع من البقول تستعمل إداما ، وتعرف في مصر سبانخ محرفة عن التركية اسباناق وما تزال مستعملة .

٤ ـ اسْكَلَه : المرفأ الصغير التي ترسو عنده السفن الصغيرة .

٥ ـ أسْكِي : القديم ، وكان يطلق على الجيش النظامي ، ويقابله الجيش البراني وسيأتي ذكره .

٦ ـ أفندم : أصل الكلمة أفندي وتعني السيد ، واذا قيل أفندم فمعناها سيدي ، وقد اختفت الكلمة في اليمن الا أنه أعيد استعمالها بعد قدوم الجيش المصري إلى اليمن سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢) م فأخذناها منه مجدداً ويستعملها الجنود لضباطهم ، والضباط الصغار لمن هم أعلى منهم رتبة فصاعدا وقال احمد تيمور باشا إنها أي أفندي مقتبسة من اليونانية ومعناها الصاحب والمالك والسيد والمولى .

٧ ـ الْبدونات : أصلها الْبدون وهي من الفارسية ، ومعناها القُفّازان (جوارب اليدين) وقد نسيها الناس بعد ان انتشرت الكلمة الفرنسية (جُونْتي) .

٨ ـ أمير آلاي : رتبة عسكرية ويقابلها (عميد) وأصلها ميرآلاي والآلاي : ١٦ بلوك (سريَّة) ولعله الفيلق .

٩ ـ أورنيك : أنموذج أو مثال ، ثم استعملت الكلمة في الأمر المكتوب باحالة المريض على الطبيب .

١٠ ـ أوظه : غرفة ، وأوظه جي : خادم الغرفة .

١١ ـ بارُوت خانَه : مستودع البارود (الباروت) ويوجد محل في الصافية العدنية بجوار المطار يعرف بهذا الاسم حتى اليوم لأن الامام يحيى حميد الدين المتوفى سنة (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م) ألزم صانعي البارود في صنعاء بالخروج منها الى ذلك المكان حتى لا يحدث انفجار أو حريق في معاملهم فيسرى الى المدينة .

١٢ ـ بالُوزه : حلوى سائلة مصنوعة من الحليب والسُكّر والنشا وهي كالمُحَلَّبية إلاّ أنها أرق منها وكانت تعرف قديماً بالفالوذج وهي من الفارسية

١٣ ـ البخْشِيْش : مصدر (بخش اتيمك) أي أعطى ويقابلها بالعربي الحلوان أو ما يعطى من نُحل أو نُحْلان (مستعملة) وهي من الفارسي بخشيش .

١٤ ـ برّاني : يطلق على الجيش غير النظامي ويطلق الآن على الشيء الخارجي ، ولعل المقطع الاول من الكلمة من أصل عربي من البر مقابل البحر .

١٥ ـ بَرَابر : معناها معا ، ويقال : بربر عارش وعارش محولة أيضا من مارش وتستعمل أمرا للجنود بالمشي في خطوات منتظمة .

١٦ ـ بَرْدَات : مفردها بَرْدة وأصلها بِرْدي ، ومعناها ستارة النافذة وهي (مستعملة) .

١٧ ـ بِرْدَق : الكأس ، أو الكوب (مستعملة) .

١٨ ـ بَرْشَق : اللفافة الخارجية التي تطوى بها الرسالة ويكتب عليها اسم المرسل اليه .

١٩ ـ بُرْدُور : اصلها بردروة وتعني قائمة الموظفين مع ذكر مرتباتهم .

(البركندا : مجموعة من الجنود من

وحدات مختلفة) .

٢٠ - بَرْوانة : مروحة الطائرة وأصلها من الفارسي .

٢١ - بُشْتَخته : خزانة الكتب . وهي من الفارسي .

٢٢ - بَشْـمَـق[1] : الحـذاء ما تزال مستعملة على قلة ، وقد أخذ الناس في استعمال اللفظ المصري (جَزْمَة) .

٢٣ - بَصْمَة : التوقيع بالابهام على الورق كالختم ، والبَصْمة : نوع من القماش (مستعملة) .

٢٤ - بُقْشَة : كانت قبل سنوات وحدة الريال (العملة اليمانية) ، والبُقْشَة : القطعة المربعة من نسيج القطن ذات الوان مختلفة في أطرافها ووسطها ولها بطان أبيض وتستعمل لوضع الثياب فيها وأصلها بجشة وهي من الفارسي .

٢٥ - بقلاوة : نوع من الحلوى المحشوة بالجوز واللوز والفُسْتُق (مستعملة) .

٢٦ - بلكي : ربما .

٢٧ - بلوك (بولوك) : الكتيبة أو السرية من الجيش وعدد أفرادها (١٦٠) رجل او قيل (١١٠) ويرأسه رئيس (نقيب) .

٢٨ - بلوك أمين : كاتب السرية .

٢٩ - بوتـي (بوتـن) : حذاء طويـلة وأصلها من الفرنسي (مستعملة) .

٣٠ - بَورزان : البـوق المصنـوع من النُحاس (مستعملة) وتنطق بُوروزان .

٣١ - بوغـاز : الممر المائي مثل مضيق الدردنيل ومضيق باب المندب .

٣٢ - بولـة : طابع البريد والجمع بوَل ، وأصلها من الايطالي .

٣٣ - البيادة : المشاة من الجيش .

٣٤ - بِيْنار : الفلفل الأخضر .

٣٥ - بَيْرق : الراية أو العلم ، والكلمة واردة في المغازي للواقدي .

٣٦ - بِلَيْزق : السُوار (سوار المعصم) (مستعملة) .

٣٧ - تِبْسِي : طبق كبير من النحاس أو الالمونيوم تقـدم فيه أطبـاق الطعام ويجمع على تَباسي (مستعملة) .

٣٨ - تَبْـة : قمة الجبل أو الربوة ، وقد تطلق على الربوة نفسها (مستعملة) .

٣٩ - تُتن : وفي صنعـاء وذمـار ويريم تِتِن ، وهو التبغ ومعناها الدخان (مستعملة) .

٤٠ - تُخت : السرير .

٤١ - تَخْته : الخشب ويطبق على السبورة .

٤٢ - تَرزي : الخياط ، وقد أخذناها من مصر وربما أصلها عربي من طرز .

٤٣ - تَطلي : نوع من الحلوى ، كما يطلق أيضاً على الماء العَذب (مستعملة) .

٤٤ - تفَشْقِي : صانـع البنـدقيات . واصلها توفجكي .

٤٥ - تَنْجَره : أو طنجرة وهي إناء كبير من النحاس أو من الالمونيوم .

٤٦ - تَنَكَة : الصفيحة من الزِنْك المطروق .

٤٧ - جَزْوَة : ابـريق صغـير ليس له غطاء ، يصنع فيه قهوة البن (مستعملة) .

٤٨ - جَسْكِي : المَسْطَرة التي تستعمل للتسطير .

---

(١) انظر تكملة المعاجم لدوزي ١ / ٣٥٦ .

٤٩ ـ جُمْرك : وجمعها جارك وهو المكان الذي يتحدد فيه ما يلزم أخذه على التاجر من مال (المكوس) مقابل ما استورد ، أو يصدر ، من بضاعة (مستعملة) في العالم العربي كله .

٥٠ ـ جندرمة : وحدة من الجيش مجموعة من وحدات مختلفة .

٥١ ـ خَزانة : طبل كبير يقرع من كلا الجانبين ، وهو من أجزاء الجوقة الموسيقية (مستعملة) .

٥٢ ـ جولي : المنشفة .

٥٣ ـ خاشوقة : خاشوق ، وهي الملعقة .

٥٤ ـ خافقية : قصعة من الحديد الرقيق المطلي بالصين (اشْنْكو) .

٥٥ ـ خانة : المكان الخالي في الدفتر للأرقام أو نحو ذلك ويطلق على المكان .

٥٦ ـ خُشاف : أصلها خوشف ماء الزبيب أو المِشْمِش ويعرف في اليمن بالنقيعة (مستعملة) .

٥٧ ـ خُوجه : معلم الصبيان .

٥٨ ـ داقش : ناقل من المناقلة ، وهو نقل الموظفين أو الجنود من مكان إلى آخر واستبدالهم بآخرين .

٥٩ ـ دانة : قذيفة (مستعملة) وهي تدل ايضا على حبة الشعير أو القمح أو الخردل ، كما تعطى معنى الافراد .

٦٠ ـ دُبابَة : مستودع الأسلحة ، ويقال : إن أصلها من الفرنسي .

٦١ ـ دِشْمان : أصلها دُوشمان ومعناها بالتركي العدو . وهي من أصل فارسي . (مستعملة) .

٦٢ ـ دُغري : المشي الى الامام (مستعملة) وأصلها دغرو .

٦٣ ـ دَلّه : ابريق القهوة المصنوع من النُحاس وأصلها من الفارسي (مستعملة) .

٦٤ ـ دليك : حناء المرأة في المنزل .

٦٥ ـ دمجانة : القارورة الكبيرة من الزجاج وصارت تطلق على البرْبيد المدمن للمسكرات (مستعملة) .

٦٦ ـ دَمْغَة : محبرة الختم . والدُمغة : الرسوم التي تأخذها الحكومة (مستعملة) .

٦٧ ـ دُويدار : أصلها من الفارسي ، والمراد بها الخادم الصغير في قصر الملوك والامراء وقد ورد ذكره عند المقريزي في كتابه السلوك .

٦٨ ـ رَزيل : ذو السلوك السيء .

٦٩ ـ الرشْدية : المدرسة الثانوية .

٧٠ ـ رُشِتْه (رجته) : وصفة الطبيب ، وأصلها من الايطالي (مستعملة) .

٧١ ـ رَقَن : يقال : رقن قيد الموظف إذا فصله من عمله .

٧٢ ـ رَفْلَه : الفوضى .

٧٣ ـ زَنْبط : الجلف ، وربما أنها مشتقة من مادة ضبط إذ أن الضاد تنطق زاياً في الشام ومصر تأثراً باللغة التركية التي عاشت في البلدين .

٧٤ ـ زَنْة : القميص الضيق الكُمَيْن للرجل والمرأة ولكنها في التركي خاصة بالنساء ، كما يطلق أيضاً على الحذاء الخاص بالنساء (مستعملة) .

٧٥ ـ سَاني : الى الأمام (مستعملة) .

٧٦ ـ سَبَارش : ما يخصم من مرتب الموظف شهرياً لاهله وأقربائه حسب رغبته وهي من الفارسية بطل استعمالها بعد الثورة سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢) م .

٧٧ ـ سَدِيَّة : الحاملة التي يوضع عليها المريض لنقله الى المستشفى ، أو في المستشفى

نفسه لنقله الى غرفة العمليات (مستعملة) .

٧٨ - سِرْكي : دفتر توقيع الموظفين عند دخولهم إلى مكان عملهم أو خروجهم منه .

٧٩ - سِفِرطاس : كلمة مركبة من كلمتين الأولى عربية وهو السَفَر والأخرى تركية وهي طاس : ومعناها إناء الطعام الخاص بالسفر (مستعملة) .

٨٠ - سلام لك : كلمة مركبة من مقطعين سلام وهي عربية ، ولك التركية ومعناها حجرة الاستقبال للزائر أو الضيف .

٨١ - سَنْجَق او سنجاق : المقاطعة من البلاد التابعة للولاية ، وتستعمل للعلم (الراية) الذي يرفع اثناء الخروج للجهاد .

٨٢ - سِنجِي تاك : إحاطة الجنود بالعدومن كل جانب وهي مركبة من كلمتين (سنكي) وهي الحربة القصيرة التي هي دون الرمح و (تاق) فعل امر بمعنى علق او ركب . والمعنى ضع الحربة في أعلى البندقية ويؤمر الجنود بهذا الأمر حين يواجهون العدو او حينما يحيط به الجنود من كل جانب وهي من اصل فارسي .

٨٣ - سِنَيْدار : خادم المسجد وأصلها من الفارسي (مستعملة) .

٨٤ - سِوَارِي : الفارس مفرد الفرسان والجمع سوارية (مستعملة) وهي من اصل فارسي .

٨٥ - شَتَل : الشوكة الخاصة بالتقاط الطعام من الطبق الى الفَم . واصلها (جتال) .

٨٦ - شِيَّ : سند الاستلام .

٨٧ - شارشوه : شارشفه وهو اطار النوافذ وغيرها (مستعملة) .

٨٨ - شَرَاب : وفي التركي بضم الشين وهي الجوارب

٨٩ - شَرْشف : ثوب أسود ترتديه المرأة عند خروجها من البيت (مستعملة) .

٩٠ - شِفْت (جفت) : قرصان من الخبز (مستعملة) ويستعمل اللفظ للعدد الزوجي غير المفرد فقط .

٩١ - شِنْدي : الآن .

٩٢ - شنطة : الحقيبة (مستعملة) .

٩٣ - شِنْكُو : الاناء المصنوع من الحديد المطلي بطبقة رقيقة من الصين .

٩٤ - صاغ : حي سوى ، في صحة جيدة ، ويقال صاغ سليم للمعنى نفسه .

٩٥ - صُنُف : الصف في المدرسة او الفصل .

٩٦ - الضابط : آمر الجندي وجمعه ضباط ، وهم درجات (مستعملة) .

٩٧ - طابور : خمس سرايا أو كتائب ، ومجموعه من (٦٠٠ الى ٧٠٠ جندي) . وسمعت ان الطابور اربعة بلوكات وقد عرب الى الفوج ورئيسه يوزباشي رئيس أو نقيب والطابور التعليم اليومي فيقال خرجوا للطابور أي للتعليم والتمرين ويقال : صفهم طابور أي صفا ويظهر أنه الأصل في اطلاقه على التمرين لانه لا يكون الا باصطفاف الجنود (الرتب والالقاب المصرية ٦٣) لاحمد تيمور باشا .

٩٨ - طُبْشي : طوبجي ، وهو الرامي بالمدفع .

٩٩ - طُبَّة : الكرة ، وكانت تستعمل في اليمن الأسفل إلى عهد قريب بينما كانت تدعى في اليمن الاعلى الكُرْت . واصلها (طوب) .

١٠٠ - طُلْمَة : المحشي من الخضراوات .

١٠١ - عرض حال : مفرداتها عربية وتركيبها تركي وهي : الشكوى .

١٠٢ - عُرْضي (اوردو) : وأصلها أورته

أو أرطه وتطلق على كتيبة من الجند قوامها ٨٠٠ ورئيسها مقدم (بكباشي) وقد أطلق على ثكنات الجيش (مستعملة) .

١٠٣ ـ غشي : الطاهي (عش جي) واللفظة المستعملة عند الاتراك اليوم (أشجي) .

١٠٤ ـ غطش : النار وأصلها آطش .

١٠٥ ـ غنقريّة : تكليف المرء بعمل شاق بدون أجر (مستعملة) .

١٠٦ ـ عونى : جبة فضفاضة لها غطاء للرأس كالبرْنُس وكان يستعملها موظفو الدولة العثمانية وما تزال تستعمل على قلة .

١٠٧ ـ غيك : وضع القَدَم أو الرِجْل في حالة تأهب للتحية العسكرية .

١٠٨ ـ فِرن : التنُّور وبعضهم يقول (فورم) (مستعملة) .

١٠٩ ـ فنطزية : حفلة الابتهاج بالعيد أو بالعرس .

١١٠ ـ فيطوس : بيطوس أو فيدوس ، والكلمة مركبة من فايدة وطز وهي الفسحة ، أو العطلة بعد الدراسة وقال الاستاذ فكري طونا ان أصلها بايدوس .

١١١ ـ قائم مقام : رتبة عسكرية ويقابلها (العقيد) في الاصطلاح العربي الحديث ، كما أنها كانت تطلق في العهد العثماني على العامل ومعناها قائم مقام الأمير .

١١٢ ـ القاري : عربة النقل التي يجرها الحمار أو البغل أو الحصان وهي من الفارسي (مستعملة) .

١١٣ ـ القَامْش : السوط من الجلد (مستعملة) وأصلها (قامجي) .

١١٤ ـ القانون : الشُرْطي يعلق على صدره لوحة نحاس مكتوب عليها القانون .

١١٥ ـ القايش : الحزام (مستعملة) .

١١٦ ـ القروانة : الطشت الواسع (مستعملة) . وتستعمل ايضا للاكل المطبوخ للجند كاصطلاح عسكري في الجيش .

١١٧ ـ قاوق : أصلة قَاوُوق وهو غطاء الرأس الذي يُلَفّ عليه العمامة (مستعملة) .

١١٨ ـ قزلة : أصلها قازلة وهي فعل الفاحشة .

١١٩ ـ قَشْلَة : مقر الجيش ، ويقال في مصر قشلاق (مستعملة) . ويرادفه في العربية الثُكْنة .

١٢٠ ـ قطايف : حلوى وهي المعروفة في البلاد العربية بالكنافة .

١٢١ ـ قُمْلِك : القميص . واصلها (كوملك) .

١٢٢ ـ قُوزي : الخروف الصغير (مستعملة) .

١٢٣ ـ كاصَة : الخزنة الحديدية الخاصة بحفظ النقود والمجوهرات واصلها (قصة) (مستعملة) .

١٢٤ ـ كَبُّوت : المعطف (مستعملة) .

١٢٥ ـ كُدِمَة : الخبز المصنوع من أنواع متعددة من الحب (مستعملة) .

١٢٦ ـ كِرْبَاج : السوط من الجلد (مستعملة) . واصلها (قرباج) الكرّات : جدول الضرب .

١٢٧ ـ كُرْت : الكرة وتطلق ايضا على الذنب ، واصلها (قورت) .

١٢٨ ـ كُرْشِن او قرشن : القلم الرصاص (مستعملة) ويسمى القلم البلسن تصحيف بنسل الكلمة الانكليزية .

١٢٩ ـ كَرْك : المعطف من جلد الضأن (مستعملة) .

١٣٠ ـ كَرْي : الحصا (مستعملة) .

١٣١ ـ كَرْيولَه (قريوله) : السرير ، وأصلها من الايطالي وما تزال تستعمل عند كبار السن .

١٣٢ ـ كُشْك : برج مصنوع من الخشب يوضع الى إحدى نوافذ المنزل (مستعملة) .

١٣٣ ـ كَلْبك : كالبك غطاء الرأس المصنوع من جلد الضأن وأصلها قالباق .

١٣٤ ـ كُنافة : حلوى تتخذ من عجين الحنطة وتجعل على شكل خيوط دقيقة ويتم انضاجها بالسمن ثم يضاف اليها السكر المعقد (مستعملة) .

١٣٥ ـ كُوبري : الجِسْر مستعمل عند قليل من الناس جاءت من مصر .

١٣٦ ـ كَوْشَن : قُوجان ، وهو المستندات .

١٣٧ ـ لَجَن : لكَن : الطشت الكبير الذي تغسل فيه الثياب (مستعملة) .

١٣٨ ـ لهانة : نوع من البقول يعرف في مصر بالكرنب .

١٣٩ ـ لُوكنده : تطلق على النزل (الفندق) الذي ليس فيه مطعم وقد أخذناها حديثاً من المصريين بينما هي عند المصريين المطعم وأصلها من الايطالي .

١٤٠ ـ ماسورة : الانبوبة وهي من الفارسي ماشور وماصور وماشورة وماسورة (مستعملة) .

١٤١ ـ ماسة : منضدة وأصلها من الفارسي (مستعملة) .

١٤٢ ـ مُبَصِّر : المفتش والمراقب في المدرسة .

١٤٣ ـ مَسَدْ : مست ، وهو الحذاء الطويل وقد سبق معناه في بوتي .

١٤٤ ـ مَشْق : الخط الذي يُحتذى عليه لتعلم الكتابة وتحسينها وهو من الفارسية (مستعملة) .

١٤٥ ـ المَضْبطة : التقرير أو الشرح للوثائق أو المستندات أو الكشف بأسماء المسجونين أو نحو ذلك (مستعملة) .

١٤٦ ـ مُضربيَّة : الجُبَّة المحشوة بالقطن والمخيط عليه .

١٤٧ ـ مفرزة : وحدة عسكرية من سريتين الى ثلاث سرايات . وسمعت ان المفرزة من ثمان الى عشر سرايا (بلوكات) .

١٤٨ ـ ملازم : رتبة عسكرية أصلها عربي (مستعمل) .

١٤٩ ـ مناورة : تدريب الجيش على حمل السلاح واستعماله وخوض معركة وهمية لمعرفة مقدرته العسكرية على الحرب وهي من أصل فرنسي (مستعمل) .

١٥٠ ـ مِتْبَلَة : آلة إرسال البرقيات السلكية واللاسلكية .

١٥١ ـ مَوْنة : العتاد العسكري .

١٥٢ ـ نامُونة (نمونة) : نموذج وعينة (مستعملة على قلة) .

١٥٣ ـ نُبَتْجي (نوبتجي) : ولعل المقطع الاول من الكلمة من الاصل العربي نَوبَة وهو المبني المستدير الخاص بالحراسة وتشى : الحارس (مستعملة) .

١٥٤ ـ نَوْل : أصله نُولون ، وهو أجرة الركوب على الباخرة أو الطائرة وورد ذكره في رحلة ابن بطُوطة وصبح الأعشى للقلقشندي (مستعملة على قلة) .

١٥٥ ـ هزاز : ألف وهو من الفارسي ، والهزاز في اليمن : الشحرور .

١٥٦ ـ هَلَلة : عملة صغيرة كانت تطلق

على نصف البُقشة وهي جزء من ثمانين جزءاً من الريال ، وقد اختفى استعمالها بعد الثورة . وما تزال تستعمـل في المملكـة العربية السعودية كوحدة للريال السعودي .

١٥٧ ـ هَمْشَلي : وأصلها (همْشري) أو (همشهري) فارسية الأصل والمراد المواطن .

١٥٨ ـ ورشة : المصنع (مستعملة) .

١٥٩ ـ ياغورت : اللبن الرائب . وقد شاعت الكلمة في معظم لغات العالم بهذا اللفظ .

١٦٠ ـ ياوَر : المعاون أو ما يعرف اليوم بمدير المراسم .

١٦١ ـ يَتَك : فرش النوم وكانت في الأصل تطلق على النوم (مستعمل على قلة) . وقال الاستاذ فكري طونا Yatak الفراش .

١٦٢ ـ يُرْقَان : اللحاف المصنوع من العُطب المخيط عليه ويستعمل دفاء للنائم .

١٦٣ ـ يَسَك (يسق) : أصلها ياصاق والمعنى المَنع (مستعمل) .

١٦٤ ـ يَلق : الصدار وهو ثوب مفتوح الصدر وليس له أكمام (مستعمل) . Yelek

١٦٥ يُك (يوق) : لا شيء Yok

١٦٦ ـ يكون : المجموع (مستعمل) .

١٦٧ ـ يَلَن : كَذِب .

١٦٨ ـ يَوَش يواش : مهلا مهلا .

كما أخـذ اليمانيـون في استعمال بعض المصطلحات التركية مثل المأذونية ، المأمورية ، المسئولية وجمعوا الكلمات جمعاً مؤنثاً على الطريقة التركية مثل الاجراء الأجراءات ، الاهتمام الاهتمامات ، الترتيب الترتيبات ، التعديل التعديلات ، الترقية الترقيات ، التنظيم التنظيمات ، الصادر والوارد الصادرات والواردات ، الصرفيات والمصروفات ، العائدات المعاملات ، المعلومات الواجبات .. الخ .. وكانوا يجمعون الباشا على بَوَش وليس على بَشوات كما هو عند المصريين .

تعقيب

تعقيب فكري طونا على مبحث كلمات تركية مستعملة في اليمن

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ القاضي اسماعيل بن علي الاكوع حفظه الله .

تحية قلبية وسؤالا مرفوعاً الى المولى القدير أن يجعلكم في دائرة الصحة والعافية والمعافات الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ويوفقكم في جميع أعمالكم لما فيه الخير للأمة الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها .

وبعد :

فانني أحيطكم علماً بأنني بعد أن أمعنت النظر في دراستكم القيمة حول الكلمات التركية المستعملة باليمَن السعيدة متأثرة من وجود النفوذ العثماني في حقبة تاريخية من تاريخها .

وتصفحت المفردات التي تناولتموها في هذه الدراسة القيمة شرحاً وتفسيراً وتأصيلاً ، وجدت أنها جاءت على أكمل وجه وأحسن مستوى ، كما وجدت المفردات المتناولة فيها مطابقة تمام المطابقة للأصول اللغوية التي تنحدر منها .

ولذا لم أر حاجة إلى إبداء ملاحظات حول هذه المفردات إلّا فيما يتعلق بالبعض منها من

حيث النطق والتركيب عند الاتراك وخاصة لدى الاتـراك المقيمـين بتركيـا ، ايـمانـاً مني بأن هذه الاضافة المتواضعة على الرغم من كونها لا تأتي بجديد في دراستكم وانها قد لا تخلو من الفائدة .

ولذا سجلتها لكم ممثلة في الكلمات التالية :

١ ـ أوضه : غرفة ، وأوضه جي : خادم الغرفة لأن أداة (جي) هذه اذا الحقت بآخر الاسماء في اللغـة التركية حولتها من أسماء إلى صفات مثل : قهوه جي ، كستابجي ، كستانه جي بمعنى صانع القهوة وبائع الكتاب والكستانه .

٢ ـ برشق : لم أجـد لها أصلا في اللغة التركية ولعل أصلها يأتي من البرشاق وهو الرمي وان كانت العلاقة بين الكلمتين بعيدة من حيث المعنى .

٣ ـ بوله : واللفظة المستعملة في التركية (بول) وهي طوابع البريد .

٤ ـ تفشقي : لعل الاصل في استعمالها (توفكجي) ومعنـاهـا صانـع البنـدقيات لأن تحويل الاسم الى صفة يكون بـ (جي) كما ذكر سابقاً .

٥ ـ جسكي : أو (جزكي) بمعنى المسطرة .

٦ ـ دانه : وتدل أيضاً على حبة الشعير أو القمح أو الخردل ، كما تعطي معنى الافراد .

٧ ـ سنجـاق : هي المقـاطعة من البلاد التابعة للولاية وتستعمل للعلم الذي يرفع أثناء الخروج إلى الجهاد أيضاً .

٨ ـ سنكي تاق : هذه جملة مكـونة من كلمتين : (سنكي) وهي الحربة التي هي آلة للحرب قصيرة محدودة دون الرمح . و (تاق) هي فعـل أمـر بمعنى علق أو ركب ، فيكـون معنى الجملة : علق الحربة بالبندقية ، ويؤمر الجنود بهذا الامر عندما يصبحون وجهاً لوجه مع العدو ، أو عندما يحيطون بالعدو من كل جانب .

٩ ـ شتل : اللفظة المستعملة عند الاتراك (جنال) وهي الشوكة الخاصة بالطعام كما ذكر .

١٠ ـ دبابة : ويمكن أن يكون أصلها « دبو » بمعنى مستودع وهي من أصل فرنسية .

١١ ـ زبط : وكـذلـك الاتراك ينطقون الضـاد (زاياً) فيقـولون مثلا زبط وربط وهي ضبط وربط في الاصل .

١٢ ـ سبارش : وتدل على معنى الطلب أيضاً وتستعمل عند الاتراك بـ : سبارش بالباء .

١٣ ـ طبجي : الرامي بالمدفع .

١٤ ـ طبـة : واللفـظة المستعملة عنـد الاتـراك (توب) وهي الكرة وتكتب بالحروف العربية (طوب) .

١٥ ـ عشجي : هو الـطاهي أي صانع الطعام واللفظة المستعملة عند الاتراك (أشجي) .

١٦ ـ عيـك : واللفـظة المستعملة عنـد الاتـراك هي : (أيلق) وهي القـدم والمعنى يمكن أن يكون خاصاً بهيأة القدم وخاصة أثناء تأدية الخدمة العسكرية .

١٧ ـ فيطوس : واللفظة المستعملة عند الاتراك هي (بايدوس) وهي العطلة .

١٨ ـ القامشي : واللفظة المستعملة عند الاتراك هي : (قامجي) وهي : السوط من الجلد .

١٩ ـ القـروانـة : الـطشت الـواسع في الاصـل ولكنهـا تستعمل أيضاً للأكل المطبوخ للجند كاصطلاح عسكري في الجيش .

٢٠ ـ قملك : واللفظة المستعملة عند الاتراك (قوملك) وهي : القميص .

٢١ ـ كاصة : واللفظة المستعملة عند الاتراك (قصة) وهي الخزانة الحديدة الخاصة بحفظ النقود والمجوهرات .

٢٢ ـ كرباج : واللفظة المستعملة عند الاتراك (قرباج) وهي السوط من الجلد .

٢٣ ـ كرت : أو قورت وهي : الذئب .

٢٤ ـ كرشن : أو قرشن ، وهي : قلم الرصاص .

٢٥ ـ كريوله : واللفظة المستعملة عند الاتراك (قريوله) وهي : السرير .

٢٦ ـ نامونه : واللفظة المستعملة عند الاتراك (نمونه) وهي نموذج وعينة .

٢٧ ـ نوبتجي : وهي الحارس والكلمة مركبة من النوبة العربية و (جي) التركية التي تستعمل لتحويل الاسم الى صفة .

٢٨ ـ شفت : واللفظة المستعملة عند الاتـراك هي : (جفت) بمعنى المزدوج من الازدواجية عكس الانفرادية .

٢٩ ـ بوتي : واللفظة المستعملة عند الاتراك (بوتن) وهي الجزمة الطويلة وأصلها فرنسية .

٣٠ ـ الياشماق : بمعنى خمار .

٣١ ـ البشمق : بمعنى حذاء .

٣٢ ـ همشلي : واللفظة المستعملة عند الاتـراك (همشري) أو همشهري وهو المواطن وهي : فارسية الاصل .

٣٣ ـ يسق : أو يساق وهي : المنع .

٣٤ ـ يتق : Yatak وهي : الفراش .

٣٥ ـ يلك : Yelek وهي : الصدرة .

٣٦ ـ يوك : واللفظة المستعملة عند الاتراك هي (يوق) بمعنى : لا شيء . YOK

٣٧ ـ يوك : YUK وهي : الحمولة .

٣٨ ـ يلان : Yalan وهي بمعنى الكذب .

٣٩ ـ يواش يواش : أو يوش يوش بمعنى مهلا مهلا .

٤٠ ـ روشته : وصفة الطبيب ، واللفظة المستعملة عند الاتراك : رجته Regete

وهنالك كلمات أخرى جاءت في دراستكم لم أتمكن من التوصل إلى معرفة أصولها اللغوية ، الّا أن الغالب أنها تنحدر من الاصول العربية او الفارسية وهي :

١ ـ برشق ـ ٢ ـ حرانة

٣ ـ خافقيه ـ ٤ ـ دمجانه

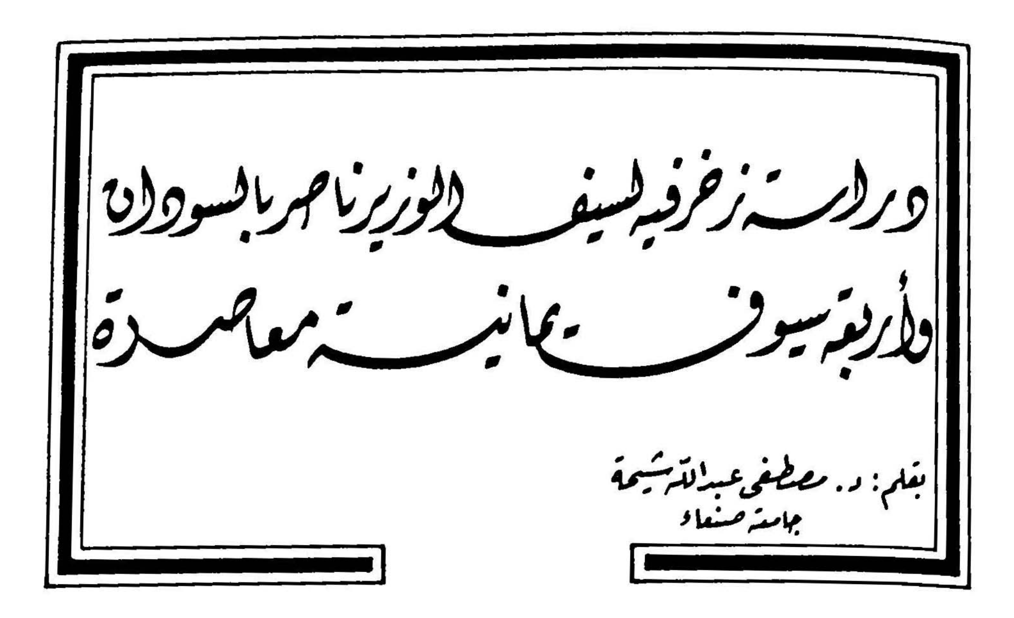
٥ ـ رقن ـ ٦ ـ ساني

هذا واني استسمحكم لتأخري في الردّ عليكم وفي ارجاع بحثكم مع ملاحظاتي المطلوبة من طرفكم وذلك لاسباب صحية وانشغالات عملية عاقتني مدة من الزمن عن التوجه نحو هذا العمل الذي كان بالنسبة اليّ من الاعمال الهامة جدا .

وفي الاخير أرجو لكم التوفيق في اتمام البقية من هذه الدراسة القيمة كما أرجو منكم عدم حرماني عن نسخة منها عقب طبعها ونشرها بشكل رسمي ونهائي .

والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم في الدين والانسانية فكري طونا
باحث ومترجم بالمركز الوطني
للدراسات التاريخية بالجزائر



من بين مقتنيات الآثار الاسلامية القليلة في المتحف القومي بالسودان سيف أثري، عليه كتابة تنسبه إلى الوزير ناصر، الذي كان له دور كبير في الأحداث السياسية في ظل دولة الفونج الاسلامية بالسودان في نهاية القرن الثاني عشر للهجرة وبداية القرن الثالث عشر ١٨- ١٩م وبفحص هذا السيف(١)، وجد عليه زخارف متنوعة: نباتية وهندسية وآدمية وحيوانية، فضلاً عن وجود بعض أبيات من الشعر على وجه ومتن النصل، تختتم باسم الوزير ناصر. وعلى النقيض من ذلك يحتفظ المتحف الوطني بصنعاء بعدد كبير من السيوف، بعضها معروض بالطابق الثاني بقاعة الأسلحة بالمتحف وبعضها بخزينة المتحف نفسه. وقد تفضل الأخ مدير المتحف باطلاعي على عدد منها من السيوف المحفوظة بخزينة المتحف ولم تعرض بعد (٢)، فاخترت منها أربعة سيوف أثرية، معاصرة في تاريخها لسيف الوزير ناصر، ومن ثم وجدتها فرصة طيبة لدراستها من الناحية الزخرفية وتأريخها، رغم أن دراسة السيوف في كل من اليمن والسودان تعتبر قاصرة إلى حد كبير في هذا المجال، وقد اتبعت في دراسة هذه السيوف المنهج التالي:

أولاً: التعريف بصاحب السيف السوداني، الوزير ناصر ودوره في الحياة السياسية في السودان.

ثانياً: مقدمة موجزة عن السيف وأهميته وانواعه.

ثالثاً: السيوف المستقيمة: سيف الوزير ناصر وسيف يماني (أجزاؤهما وزخارفهما).

رابعاً: السيوف اليمانية الثلاثة المنحنية (أجزاؤها وزخارفها).

أولاً: التعريف بصاحب السيف السوداني:

كان للوزير ناصر دور كبير في الحياة السياسية في دولة الفونج بالسودان بحيث ارتبط اسمه بهذه الدولة إلى حد كبير، وينتمي هذا

الوزير إلى طائفة الهمج، التي ارتبط تاريخها أيضاً بتاريخ أحداث الفونج. ومن المعروف أن هذه الطائفة اغتصبت السلطة الفعلية من ملوك دولة الفونج، واصبحوا وزراءها، وتسلطوا عليها، حتى أصبح بأيديهم عزل الملوك وقتلهم وتولية غيرهم من ملوكها أنفسهم(٣)، لذلك وجدت من الضروري، عرض فكرة تاريخية موجزة عن هذه الدولة وطائفة الهمج، حتى يتبين لنا دور صاحب السيف فيها.

(أ) دولة الفونج:

اختلفت الأراء حول أصل الدولة (بيت آل فونج)، فالبعض يرجع أصولها إلى قبيلة الشلك وهي أمة من السود عرفت بهذا الاسم تقطن على الشواطىء الغربية للنيل الأزرق ومنهم من يرجع أصولها إلى المناطق الواقعة داخل أثيوبيا وأرتيريا، والبعض الثالث يرجع أصول هذه الدولة إلى بقايا الفرع الأموي الذي هرب من وجه الدولة العباسية، عقب سقوط الخلافة الأموية عام (١٣٢هـ)، فذهب بعضهم إلى السودان عن طريق الحبشة، وان كان المؤرخ نعوم شقير يرى أنهم طائفة من الزنج وفدت من بلاد سنار غرب النيل الأبيض ولا صلة لهم تربطهم بنسب بني أمية(٤)، تمكن قادة هذه الدولة من النزول في الأقليم الأزرق عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م، الذي كان خاضعاً لمملكة علوة المسيحية، وذلك بالتحالف مع مشيخة العبدلاب(٥)، من الجزء الشمالي من السودان الشرقي، ثم ازداد ملكهم بعد ذلك فشمل مواضع كثيرة من بلاد البجة بالسودان في الشرق وكردفان في الغرب (٦)، وقد شملت هذه الدولة عناصر سكانية عديدة ومختلفة: عربية وحامية وشبه زنجية ذات ثقافات مختلفة ومختلطة، وقد اسهمت هذه الدولة في نشر الاسلام في السودان بالطرق السلمية بواسطة رجال الصوفية وطبقة الفقهاء(٧). على أن الأمر لم يخل خلال فترات التاريخ السياسي لهذه الدولة من حدوث منازعات مع مشيخة العبدلاب نتيجة لتسلط طائفة الهمج على البيوت الحاكمة نفسها(٨).

(ب) طائفة الهمج:

يطلق هذا اللفظ على السكان الذين يقطنون المنطقة الجبلية الواقعة غرب وجنوب منطقة فازوغلي بالسودان التي عرفت بدار الفونج بعد أن بسطوا نفوذهم عليها(٩). وقد وثب الهمج على زمام السلطة في دولة الفونج بالسودان بعد أن أخذت هذه الدولة في الضعف تدريجياً حين مال ملوكها إلى الكسل والترف فأفلت زمام السلطة من أيديهم، وقد حدث هذا على وجه التحديد عندما انتقل أمر السلطة من (الأولساب) سلالة ملوكهم الأوائل إلى ذرية السلطان نول وابنه بادي ابو شلوخ (١٧٢٤ - ١٧٦٢م) فبرزت شخصية زعيم الهمج الشيخ محمد ابو الكليلك والد الوزير ناصر - صاحب السيف - وتمكن بنفسه من أن يصبح الرجل الأول في دولة الفونج، حتى صار يعزل ملوك هذه الدولة ويعين منهم من يشاء(١٠).

(جـ) الوزير ناصر:

هو أحد وأهم أبناء زعيم طائفة الهمج الشيخ محمد ابو الكليلك، وبدأ دوره في الظهور خلال فترة وزارة أخيه الاكبر الشيخ رجب، فقد أرسله أخوه لمحاربة بعض الخارجين على دولة الفونج في عهد الملك عدلان الثاني (١١٩١هـ - ١٢٠٣هـ /١٧٧٨ - ١٧٨٩م)، في اقليم الجزيرة، فتمكن من تحقيق النصر عليهم عام ١١٩٨ هـ/١٧٨٤م. وقد برزت شخصية الشيخ ناصر غداة قتل الملك عدلان لأخيه الوزير رجب، وما صاحب ذلك من انقلاب الملك على

طائفة الهمج، الذين التفوا حوله وجعلوه شيخاً عليهم. وحين بلغ الملك ذلك الأمر جهز جيشاً لقتالهم، إلا أن الشيخ ناصر تمكن من هزيمة الملك وتتبع جنوده حتى أدخلهم سنار عاصمة المملكة ومات الملك عدلان قهراً بسبب هذه الحادثة عام (١٢٠٣هـ/١٧٨٩م) وفي ذلك يذكر صاحب مخطوط كاتب الشونة ونعوم شقير عن هذه الواقعة: «فانكسرت شوكة الفونج ولم تقم لهم قائمة بعد»[١١]. وقد نصب الشيخ ناصر نفسه وزيراً بعد هذه الواقعة ليصبح الوزير الثالث في سلسلة وزراء دولة الفونج الاسلامية بالسودان.

على أننا نجد أن هذا الوزير قد مارس الدور نفسه الذي مارسه أبوه من قبل، في عزل وقتل ملوك الفونج فنجده في بداية الأمر يعين الملك «أوكل» ملكاً للدولة، ثم يهرب هذا الملك ليلاً فيعين مكانه «طبل»، ثم يعزله، ويجعل مكانه «بادي الخامس»، ثم يقتله، ويولي مكانه «حسب ربه» الذي مات بعد تعيينه، فيجعل مكانه الملك نوار، وحين يتضح له قوة شخصيته يقتله ويولي مكانه الملك «بادي السادس بن طبل»: (١٢٠٥ - ١٢٣٦هـ/١٧٩١ - ١٨٢١م) وفي أيامه مات الوزير ناصر[١٢].

والواقع أن هذا الوزير كان قائداً محنكاً وسياسياً ماهراً، إذ اشترك في العديد من المعارك ضد أعداء (دولته)، بل وضد ملوك الفونج أنفسهم[١٣]، كما حقق مكاسب كثيرة لطائفة الهمج التي ينتسب اليها بين طوائف المجتمع السوداني في ذلك الوقت، بالاضافة إلى أنه اشتهر بعدله وكرمه، حتى اعتبر أحد أربعة ملوك في ذلك الوقت اشتهروا بعدلهم وكرمهم[١٤]. على أنه على قدر نشاط هذا الوزير خلال فترة تاريخية امتدت لأكثر من عشر سنين، كانت نهايته أليمة، إذ انه ترك تدبير الملك في أواخر أيامه إلى وزيره[١٥]، «الأرباب دفع الله»، حتى ينفرد بملذاته وعبيده الذين اشتدت أيديهم بالظلم على الشعب ولم يقم هو بردهم، حتى كان ذلك أيضاً على أقارب الوزير ناصر، فخرجوا عن طاعته وأعلنوا محاربته، والتف حولهم الكثير من اعدائه، وتجمعوا في مكان باقليم الجزيرة يعرف «بحالة السبيل»، يطلبون منه التنازل من الوزارة، فبعث لهم بكبار الفقهاء ليسترضونهم، ولكنهم رفضوا وتقدموا لقتاله في موضع يقال له: «حلة البقرة» فخشي بأسهم، وهرب إلى الجنوب مع وزيره في منطقة دبركي، فدخل اخوته سنار عاصمة المملكة وجعلوا أخاه ادريس مكانه في الوزارة[١٦]، ومبالغة في تخفيه ارتحل إلى منطقة عبود في السودان، ولكن عرف مكانه فبعث له أدريس بأخيه عدلان على رأس قوة من الجيش ودارت معركة بين الجانبين، رجحت فيها كفة أخيه، لاسيما بعد أن تركه وزيره الأرباب دفع الله ومال إلى أخيه، فانهزم الوزير ناصر، وقبض عليه أسيراً وسيق، إلى أخيه أدريس الوزير الذي سلمه إلى «حياص بن الملك بادي» فقلته بثار أبيه، ودفن في منطقة أبي حراز أواخر عام ١٢١٢هـ وقيل في أوائل عام ١٢١٣هـ[١٧].

ثانياً: مقدمة موجزة عن السيف وأنواعه:

يعرف السيف على أنه سلاح للهجوم يستعمل باليد له نصل طويل، قد يكون مستقيماً أو مقوساً، وهو مصنوع من الحديد أو الصلب، ومثبت في مقبض وله واقية في معظم الأحيان وينتهي بطرف مدبّب[١٨]، وله تعاريف أخرى[١٩] ويكاد يجمع معظم الباحثين والدارسين في مجال الاسلحة وتطورها، أن السيوف مشتقة أساساً من المدى التي صنعت من حجر الظران في العصر الحجري الحديث

(Neolithic Period)، على اعتبار أنها الأساس الاول للأسلحة اليدوية التي صنعت من النحاس بعد ذلك[٢٠]، وان كان هذا الراي ما يزال حتى الآن من الآراء التي يصعب الجزم بها من حيث الزمان والمكان [٢١]، إلا أنه هناك شبه إجماع على أن شكل السيف بأجزائه المعروفة قد استقر من القرن السادس الميلادي[٢٢]، ولا شك أن السيف عند العرب كان له أهمية كبيرة قبل العصر الاسلامي وخلاله، إذ استخدمه العربي كسلاح أساسي بالنسبة له، واعتز وتفاخر ونعته بكثير من الصفات، فضلاً عن وصفه والاعتزاز به في أشعار العرب[٢٣]. كذلك كان السيف ضمن الأسلحة التي عرفت عند كثير من شعوب الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية القديمة وفي الهند وايران والشام وتركيا وغيرها.

ففي الحضارة المصرية القديمة استخدم سلاح على هيئة السيف تميز بنصل مستقيم وقصير وله حدان وينتهي بطرف مدبب[٢٤]، وفي الهند ذاعت أنواع عديدة من السيوف اشتهر منها نوع عرف «بالفاقرون» شبهه الكندي في رسالته عن السيوف وأجناسها بجوهر اليماني مع ميله إلى السواد [٢٥]، واشتهرت الهند بنوع من السيوف (تولوار) عرف عند الغرب السيف المحدّب (Scimitar). هذا وتعتبر الهند من البلاد التي كانت تصدر السيوف أو نصالها إلى البلاد الأخرى نظراً لتميزها بصناعة نصال السيوف الجيدة لاسيما خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين[٢٦].

أما ايران فقد عمّت شهرتها أنحاء العالم في صناعة السيف، وكانت ضمن مراكز صناعة السيوف الرئيسية في العالم، واشتهر من أنواع السيوف الايرانية نوع عرف باسم الشمشير ظهر خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي وهو عبارة عن سيف مقوس للقطع صغير النصل سميك ومن حدٍ واحد، ويغلب على سيوف هذا النوع وجود اسم الطبّاع أو الشخص الذي صنعه[٢٧] الا أن صناعة السيوف الايرانية تدهورت خلال القرن الثامن عشر الميلادي[٢٨].

كذلك اشتهرت صناعة السيوف في بعض من بلاد الشام التي تميزت بطرق المعادن نظراً لتوافر مادة الحديد فيها اللازمة لصناعة السيوف وعلى الأخص في جبل لبنان، كما ذاعت شهرة مدينة دمشق في صناعة السيوف حتى نسب إليها السيف المعروف بالدمشقي [٢٩]، بماله من مواصفات خاصة اتبعت في طريقة صناعته، اعتباراً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[٣٠].

وفي تركيا ازهرت صناعة السلاح واشتهرت مدينتا بروسة وأزمير في هذا المضمار، لا سيما خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (١٦ ـ ١٧م)، إذ بلغ طباعوها درجة جيدة من الابداع الفني، وتميزت السيوف التركية بتحليتها بأشكال الزهور والفروع النباتية، بالاضافة إلى استخدام أساليب صناعية متقدمة مثل الحفر بالمينا[٣١]، أو بالرسوم المحفورة المذهبة. ولقد كان لتأثير السيوف التركية على السيوف الأوربية أثره الواضح في القرن العاشر الهجري /١٦م/، لاسيما في انتشار أسلحة الشرق المقوسة التي يأتي السيف في مقدمتها، بحيث اتسع نطاق انتشارها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة/١٨، ١٩م [٣٢].

كذلك ازدهرت صناعة السلاح في الأندلس لاسيما السيف الاسلامي، وقد

اشتهرت بعض المدن بصناعته مثل مدينة طليطلة، التي تميزت السيوف التي تنسب اليها بتسجيل اسماء صناعها عليها ومنها انتشرت سيوفها إلى أوربا الغربية، كما اشتهرت مدن اخرى أندلسية مثل اشبيلية والمرية بصناعة السيوف (٣٢).

تقوم صناعة السيف اساساً على مادة المعدن خاصة الحديد منه أو الفولاذ الخام(٣٤)، وقد ذكر الكندي في رسالته عن السيوف أن السيوف المعدنية تصنع من ثلاثة أنواع من مادة الحديد، هي الحديد الصلب (الشابرقاني: الحديد الذكر) والحديد الأنثى (النرماهن) والنوع الثالث خليط من النوعين(٣٥)، والواقع أن السيف ينقسم إلى نوعين: المستقيم وقليل الانحناء أو المقوس:

(أ) السيف المستقيم:

يعتبر السيف المستقيم أقدم في نشأته من السيف قليل الانحناء حسب ورود شكله على الرسوم والنقوش الأثرية في كثير من بلاد العالم(٣٦)، ويوجد منه نوعان نصل ذوحدٍ واحد ونصل ذوحدين، ومن أمثلة السيف ذي الحد الواحد في العصر الاسلامي السيف المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمحفوظ بمشهد الامام الحسين رضى الله عنه بالقاهرة(٣٧)، وبعض السيوف الأخرى التي ترجع إلى عصر صدر الاسلام. وقد ظلت الغلبة للسيوف المستقيمة النصل لفترة طويلة من الزمن، ولكن بحلول القرن التاسع الهجري/١٥م، حدث تغير واضح على نصل السيف الذي أصبح مقوساً، حتى إذا ما انتهى هذا القرن، كان السيف المقوس هو سيد الميدان وحده، فيما بعد(٣٨).

(ب) السيف المقوس:

يذكر الدكتور عبد الرحمن زكي أن الغرض من تقويس النصل هو الحصول على قوة اكبر في القطع اكثر من السيف المستقيم، وقد عاش هذا النوع بجانب السيف المستقيم، ثم اختفى لفترة كبيرة من الزمن، وعاد للظهور مرة أخرى في أعقاب الفتح التركي للقسطنطينية عام (١٤٥٣م)(٣٩)، ومن أشهر انواعه المعروفة الشمشير والقليج(٤٠) والتياغان(٤١).

ويتناول هذا البحث النوعين المستقيم والمنحني فالسيف المستقيم يمثله سيف الوزير ناصر السوداني وسيف يماني محفوظ بمتحف صنعاء الوطني، أما السيوف المقوسة فهي ثلاثة بمتحف صنعاء الوطني:

ثالثاً: السيفان المستقيان السوداني واليماني:

(١) السيف السوداني:

الواقع انه كان للسيف في السودان أهمية كبيرة، وهو الأمر الذي يستشف من المراجع المختلفة التي يأتي في مقدمتها ما كتبه الرحالة من انطباعات مختلفة عند زياراتهم للسودان في الفترة الماضية، منها على سبيل المثال ما ذكره الرحالة بروس (Bruce) من أن السيف العريض، كان هو السلاح الرئيسي للقتال، بجانب أنواع الاسلحة الأخرى الهجومية والدفاعية في سلاح الفرسان بالجيش السوداني خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (٤٢)، كما كان السيف ضمن لباس السلطان السوداني في مملكة الفور الاسلامية (٨٤٨ - ١٢٩١هـ) إذ يكون عادة على جانب لباس السلطان الأيسر سيف مذّهب محلّى بالذهب(٤٣)، وتتضح أهميته أيضاً

في ذكره في كثير من الاشعار المختلفة التي تشيد به[٤٤].

(أ) وصف السيف : (اللوحة ١)

سيف مستقيم من الحديد طوله (١٠٦سم)، مقبضه من الفضة وله واقية من الحديد وينتهي نصله بطرف مدبّب من حدٍ واحد (أقصى عرض بالنصل ٥ سم) وعلى متنه كتابة تحمل اسم صاحبه الوزير ناصر. ويلاحظ بالمقبض وجود «شرابه» من الكتان الملون.

السيف من نوع السيوف الصقيلة[٤٥] الصمصامة[٤٦] ومجرد من الغمد[٤٧] (سيف اصليت) [٤٨] . هذا ومن المعروف أن لكل جزء من أجزاء السيف مصطلحاً فنياً يطلق عليه[٤٩]. فعلى المقبض توجد القبيعة والواقية وعلى النصل الحد أو الحدان أو الشفرتان والصفح وهو عرض النصل ومضرب السيف وهو نحو شبر من طرفه، بالاضافة إلى وجود الشطب على احدى متنه، وهو عبارة عن قنوات تحفر في متن السيف بحيث تجعله اكثر لدانة وليونة[٥٠] بالاضافة إلى وجود بعض الحيات عليه تعرف باسم الرصائع، عبارة عن حلق مستديرة تحلى بها السيوف[٥١].

كتلة المقبض: اللوحات (٢، ٣) والأشكال (١، ٢).

تشمل كتلة مقبض هذا السيف القائم وهو مقبضه وموضع اليد منه ويطلق على الكتلة أيضاً «النصاب» و«السيلان»[٥٢]، وهي مصنوعة من الفضة طولها (١٨سم) وتبدأ من أعلى بالقتير (رؤوس المسامير التي تكون في قبضة السيف من أعلى)، على شكل جزء مخروطي صغير من البرونز المكسو بطبقة من الفضة، ناتج من تقابل خمسة معينات صغيرة بوسط كل منها نقطة مستديرة غائرة الشكل (رقم ١ بشكل ١)، ويتصل هذا الجزء (القتير) بجزء مماثل اكبر منه بواسطة قتير دائري دقيق من المعدن (النحاسي الأصفر) (رقم ٢ بشكل ١). والأجزاء الثلاثة السابقة تمثل القتير على هذا السيف.

ويلي القتير السابق «العتلة» وهي أصل المقبض (رقم ٤ بشكل١)، حيث يبدأ منها قيام السيف، على شكل مستدير، مصنوعة من الفضة، ويطلق عليها في السودان مصطلح «التومة»، قطرها (١,٥سم)، وسمكها (٢,٢سم)، واطارها الدائري مزخرف بحزوز غائرة قليلاً تنحصر بين شريطين رئيسين مستديرين، بداخلهما زخرفة نباتية، ويزخرف سطحها العلوي زخرفة نباتية بارزة.

يلي الأجزاء السابقة قيام السيف (رقم ٥ بشكل١)، على شكل أسطواني من الفضة طوله (١١,٢سم) وعليه زخرفة بارزة لعناصر نباتية وهندسية الشكل، بالاضافة إلى وجود لفائف من الأسلاك المعدنية من أعلى، ويلاحظ كثرة هذه اللفائف أسفل قائم السيف وعند بداية الواقية (الكلاب). أما واقية هذا السيف فهي عبارة عن حديدة معترضة في أسفل القائم تعرف في المصطلح الفني لأجزاء السيف باسم «الشاربان» وفي السودان يطلق عليها «البرشم» (رقم ٦ بشكل١) وهي على شكل صليبي إذا ما اعتبر قائم السيف بمثابة الضلع الرأسي الرابع للصليب، ويبلغ عرض هذه الواقية (١٧سم) ويزخرف وسطها علامة عشرية بارزة.

النصل:

النصل هو جسم السيف كله ما عدا كتلة المقبض، مصنوع من الحديد (طوله ٥,٨٨سم) وعرض الوسط به (٥,٣سم)، ويلاحظ خلو نصل هذا السيف من الشطب وانما يمتاز بوجود

زخرفة متنوعة على وجهه ومتنه، فعلى وجه النصل يوجد شكل زخرفي متكرر لقوسين متعاكسين، يليهما شكل تخطيطي لوجه آدمي مستدير محفور حفراً غائراً، تشع من دائرته خطوط غير منتظمة الشكل، يليه كتابة من أبيات الشعر، وعلى متن النصل زخرفة تبدأ بشكل القوسين المتعاكسين، يليهما رسم لحيوان محفور حفراً غائراً، ثم رسم الوجه الأدمي المماثل لنظيره على وجه نصل السيف، ثم اطار مستطيل بداخله كتابة نسخية تتضمن أبياتاً من الشعر.

كتابات السيف :

توجد كتابة نسخية تشغل جزءاً كبيراً على وجه ومتن نصل السيف، داخل شريط مستطيل الشكل محدد بثلاثة حزوز غائرة (٥, ٢٦سم ×٢سم)، (اللوحات ٤، ٥ والاشكال ٣، ٤). وتقرأ هذه الكتابات الواردة على وجه النصل : «(غداً إذا) لقا العداء بمعرك لرابية في كل عزم يضرج على النديم سمير صفو باسم وعلى العدو كناب فهد أجوع».

(أنظر : لوحة ٤، شكل ٣).

أما على ظهر النصل (المتن) فيقرأ: عالي المراتب تخضع الدنيا له كرها وتحسده النجوم الطلع غدوت ظهر لأل عسر فقف لانتنى(؟) - لا يجزع ملكه الوزير ناصر.

(انظر : لوحة ٥، شكل ٤).

ومن الواضح أن الكتابة السابقة تتضمن أبياتاً من الشعر قيلت في مدح الوزير ناصر، وهي تشيد بأهميته وأهمية سيفه وقدرته وانتصاراته في معاركه وأن سيفه هذا قاتل لعدوه ولكنه على نديمه «سمير صفو باسم» وتنتهي هذه الكتابة باسمه - الوزير ناصر.

الواقع أن بعض الكلمات الواردة على وجه ومتن النصل يكسوها «النقب»، وهو الصدأ الذي يصيب السيوف عادة، مما تعذر معه قرامة بعض الكلمات على وجه صحيح مثل بداية الكلمات على وجه النصل (غدا إذا)، والتي قرأتها بصعوبة على النحو السابق، (لوحة ٥) وكذلك على ظهر النصل (غدوت): (لوحة ٧).

على أنه يلاحظ أن كاتب النص أضفى طابع الزخرفة على هيئة حروفه الغائرة، بواسطة استخدام علامات وأشكال ضبط الحروف: (شكل ٣، ٤)، أوفي كتابة بعض الحروف بشيء من الحرية في الكلمات مثل «سمير صفو باسم»، أو بتكرار نفس الحرف كما في كلمة «تخضع»، فقد كرر حرف «العين» ووصلهما معاً من أعلى، (شكل٤)، كما مالت بعض نهايات الحروف الى كتاباتها بهيئة تقربها إلى خط الرقعة. وتعتبر كتابة بعض أبيات الشعر على نصال السيوف من الأساليب المتبعة في كثير من الأحيان على نصال السيوف الاسلامية، مثال ذلك نصل سيف محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة يتضمن أبياتاً من الشعر لأبي تمام تشيد بالسيف نفسه[٥٣].

وعلى نصل آخر محفوظ بنفس المتحف[٥٤]، بعض أبيات من الشعر يستعير صاحب السيف بها بالله سبحانه وتعالى على قهر الأعداء، وأبيات أخرى على نصل سيف بالمتحف السابق[٥٥]، ينسب إلى ايران في العصر الصفوي، من صناعة أسد الله، يتضمن هذه الأبيات:

حكم سيوفك في رقاب العزلي

وإذا بليت بدار ذل فارحلي

وإذا بليت بظالم كن ظالماً

وإذا لقيت ذوي الجهالة فاجهلي

هذا فضلاً على ان الكتابة على نصال السيوف الاسلامية إذا ما وجدت فلها طابع مختلف، قد يكون من الآيات القرآنية الكريمة أو من أسماء الجلالة، وذكر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وبعض أسماء الصحابة، وغير ذلك من الأدعية، بالاضافة إلى كتابة اسم الصانع وعلامة المصنّع ومكان وتاريخ الصناعة.

زخرفة السيف النباتية:

اشتملت زخرفة هذا السيف على بعض العناصر الزخرفية النباتية والهندسية، إذ يوجد على قائم السيف وحدة زخرفية نباتية متكررة قوامها شكل معين بالوسط، بداخله أربع نقاط بارزة، ويخرج من وسط المعين الرئيسي أربعة فروع نباتية مستقمية، ينتهي كل منها بورقة نباتية، على شكل ورقة العنب الخماسية وان كان شكلها العام أشبه بشكل النجمة(٥٦):

(اللوحات ٢، ٣ والاشكال ١، ٢)، يحيط بالوحدة الزخرفية السابقة عناصر الأوراق الرمحية على هيئة شكل النصل المقوس قليلاً، إذ تبدو هذه الأوراق أعلى وأسفل هذه الوحدة الزخرفية على شكل ورقتين كبيرتين متماثلتين وفي الجانبين أقل حجماً. ويرى الدكتور فريد شافعي ان هذا العنصر الزخرفي الذي يبدو غريباً، قد صهر في بدايته ضمن زخارف أربطة العقود بمسجد الحاكم بأمر الله بمصر (٣٨٠ - ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ - ١٠١٣م)، وفي رأيه أيضاً أنه متطور من الورقة النخيلية المقسومة ذات الفصين بعد اختزال الفص الصغير فيبقى الكبير على هذا الشكل(٥٧)، وسنلاحظ وجود هذا العنصر على كثير من زخارف مقابض وأغلفة السيوف اليمانية. على أن هذا العنصر الزخرفي انتشر انتشاراً كبيراً ضمن الزخارف النباتية على عمائر وتحف العصر العثماني(٥٨).

كذلك يلاحظ على (قله) مقبض هذا السيف (التومة)، عنصر زخرفي نباتي أشبه بسعف النخيل، وهو في حقيقة الأمر أشبه بورقة نباتية محوره جداً عن الطبيعة، تشبه إلى حد كبير زخرفة مماثلة على إناء من الخزف يرجع إلى العصر العثماني(٥٩). ومن الواضح أن طراز الزخرفة النباتية بوجه عام يخضع للأساليب الفنية الزخرفية في مجال العناصر النباتية في العصر العثماني، وهو الأمر الذي سنناقشه عند عرض الزخارف النباتية على السيوف اليمانية.

الزخرفة الهندسية:

يلاحظ على واجهة واقية السيف وجود العلامة اللاتينية العشرية (×) وسيتكرر وجود هذه العلامة بكثرة على السيف اليماني رقم (٢) بشكل (٧) ولوحة (١٧). كما يلاحظ وجود علامات هندسية متكررة على وجه متن بداية نصل السيف (لوحة ٢، ٣ وشكل ١). وهي أشبه بشكل قوسين متعاكسين.

والواقع أن وجود هذه العلامة المتكررة على نصل ومتن هذا السيف السوداني تحمل اكثر من دلالة وتفسير منها أنها تشير إلى علامة الظفر على الأعداء، كما هو معروف في العادات المحلية السودانية، كما أنها تعرف أيضاً باسم «الطبانة» أو «الضيانة»، وهي تعطى أيضاً في دلالتها الظفر على الأعداء والحاق الهزيمة بهم، وتعني أيضاً ما يعرف باسم «التومبرا»، بمعنى لسعة «النحلة»، التي تلسع وتفر سريعاً، وبذلك ترمز هذه العلامة إلى قوة السيف المؤثرة في المعركة (٦٠)، وربما تشير هذه العلامة لطائفة الممج التي ينتسب اليها صاحب السيف، وهي بذلك تكون علامة تميز لهم، ويحتمل أيضاً أن تدخل هذه العلامة بتفسيراتها السابقة ضمن

الطلاسم والرموز التي يكثر وجودها على بعض السيوف الاسلامية والتي يكون الغرض منها تحصينها من السوء والضياع ولتؤدي عملها على خير وجه، وهو نفس الامر الذي يجعلني اعتقد بأن الكلمة البارزة المكتوبة في نهاية قائم السيف (غير مقروءة)، هي أيضاً من نفس نوع الطلاسم على هذا السيف (لوحة٢).

الزخرفة الأدمية :

تقتصر الزخرفة الأدمية على هذا السيف، على شكل وجه آدمي محفور غائراً متكرراً على وجه ومتن نصل السيف: (اللوحات ٤، ٦ والأشكال ٣، ٤) داخل دائرة محددة ملامحها بأسلوب تخطيطي بسيط، وتشع من دائرة الوجه خطوط غير منتظمة. ومن المعروف أن رسم أو حفر الوجه الآدمي المرسوم على هيئة قرص الشمس من العناصر الزخرفية التي وجدت على كثير من مواد الفنون القديمة، وان كان وجوده على هذا السيف له دلالاته الخاصة في العادات والتقاليد السودانية بحيث تعني أن حامل السيف عينه كعين الشمس يصعب مواجهته أو النظر اليه، وربما كان هذا أيضاً نوعاً من أنواع الطلاسم التي توضع على السيوف بقصد تحليتها(٦١).

الزخرفة الحيوانية :

تقتصر الزخرفة الحيوانية أيضاً على عنصر زخرفي لحيوان محفور حفراً غائراً وبسيطاً على بداية متن السيف ويذكر برسم أو حفر الحيوان في الفنون البدائية (لوحة ٨ وشكل ٢، ٥) والواقع أن رسمه على هذا السيف يفسر ما ورد في أبيات الشعر المحفورة على وجه ومتن النصل ومنها «وعلى العد وكناب فهد اجوع»، فيحتمل أن المقصود من رسم هذا الحيوان هو الفهد، هذا وقد حفلت كثير من السيوف الاسلامية برسم بعض أنواع الحيوانات والطيور عليها، مثال ذلك سيف ايراني محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة(٦٢)، على بداية نصله رسم لغزال أمامه غصن نباتي (٦٣)، كما أن كثيراً من السيوف اليمانية وجدت عليها مثل نوع هذه الزخارف(٦٤)، بل ان الكثير من مقابضها صنع على هيئة رؤوس الطير ولاسيما رأس طائر النسر.

والواقع أن هذا السيف يحتوي على مجموعة متنوعة من الزخارف التي سبق الاشارة إليها وكذلك بعض أبيات الشعر. ويرى الدكتور عبد الرحمن زكي أن كثرة الزخرفة على السيف الاسلامي يذهب ببهاء جوهره وأن الغرض من ذلك هو تعويض اتقان صناعة النصل(٦٥)، ولكنني أعتقد أن زخرفة السيف الاسلامي تتمشى أولاً مع رغبة الفنان في العصر الاسلامي في الزخرفة شأنه في ذلك شأن كثير من التحف المعدنية المزخرفة، بل ومواد الفنون الفرعية المختلفة في الفن الاسلامي. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانه لا يمكن اغفال الأثر المعنوي الهام الذي يتعلق بصاحب السيف، من حيث قيمته ببعض الكتابات عليه وقد تكون من بعض آيات القرآن الكريم، أوذكر الله سبحانه وتعالى وبعض من أسماء الجلالة أوذكر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء أو الصحابة، أو وجود بعض الأدعية وأبيات الشعر التي تشحذ همته في القتال. كذلك لا يمكن اغفال اهمية الطلاسم التي قد ترد على بعض السيوف، إذ أن لها أهمية خاصة في القوة المؤثرة للسيف لدى صاحبه. ومن ناحية ثالثة فان هناك الكثير من السيوف، نصالها غير جيدة ولا يوجد عليها زخارف. وهذا ما يجعلني اعتقد أهمية طابع الزخرفة الاسلامية وتنوعها على السيف وعلى

متنيه.

وعلى أية حال فانه يمكن القول بأن هذا السيف قد صنع خصيصاً للوزير ناصر، قبل أن يلي الوزارة في عام (١٢٠٣هـ)، في الفترة التي كان يعد فيها نفسه إلى منصب الوزارة في الدولة الفونجية الاسلامية بالسودان، وقد آل هذا السيف بعد ذلك إلى الشريف يوسف الهندي الذي أهداه إلى المتحف السوداني ليعرض من بين معروضاته في قاعة الآثار الاسلامية بالمتحف.

(٢) السيف اليماني المستقيم:

الواقع أنه قبل الحديث عن هذا السيف من حيث أجزاؤه وزخارفه نجد أنه من الضروري عرض مقدمة موجزة عن السيف وأهميته في بلاد اليمن، ذلك أن السيوف اليمانية تعد أحد المظاهر الحضارية والفنية للفنون في اليمن في تاريخها القديم(٦٦)، وخلال العصر الاسلامي، إذ اشتهرت بأنواعها المختلفة وجودة صناعتها. لقد عرفت بلاد اليمن حضارات راقية ومتقدمة كالحضارة المعينية والسبئية وغيرها، وكان لموقعها أثر كبير اسهم في تطور هذه الحضارات، فقد أتاح هذا الموقع ميزة الاتصال الحضاري بالامم الأخرى ذات الحضارات القديمة اما عن طريق التجارة أو بوسيلة الغزو والسيطرة، فاتصلت الحضارات اليمنية القديمة بالحضارات المختلفة كالحضارة المصرية القديمة والعراقية والفارسية والهندية وغيرها، وظل هذا الاحتكاك المستمر خلال العصر الاسلامي، مما كان له أثره الفني على عمارة وفنون اليمن. ولعل وجود مناجم المعادن بكثرة في بلاد اليمن، كان من أهم العوامل في تقدم صناعة السلاح وفي مقدمته صناعة السيف، فقد ذكر المؤرخ الهمداني في كتابيه «الاكليل» «وصفة جزيرة العرب» الكثير من أماكن وجود مناجم المعادن بها في جبال شتى من اليمن، ومنها ما يوجد في «جبل خولان» من معدني الذهب والفضة وفي مدينة «إب» وبنى «غصين والرضراض» وفي نِهْم عدة مناجم للمعادن يستخلص منها الحديد، فضلاً عن المناجم العديدة في «جبل نقم المطل» على صنعاء ومنها ما هو للذهب الجيد ومنها ما هو للحديد، بالاضافة إلى وجود مناجم عديدة يستخلص منها معادن جوهر الزمرد والياقوت والبلور والزجاج، وفي مدينة «مأرب» أيضاً بالقرب من سدها القديم توجد بعض مناجم المعادن، فضلاً عن معادن الرصاص الأسود في «بلاد برط والمعافر من اليمن الأعلى والأسفل»(٦٧). ولقد ذاع من أنواع هذه المعادن نوع عرف باسم «الشزب» يصنع منه «الواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين»(٦٨)، كذلك اشتهرت مدينة «صَعْدة» في شمال اليمن على سبيل المثال باستخلاص مادة الحديد اللازمة لصناعة نصال السيوف(٦٩)، وفضلاً عن ذلك فقد كانت مادة الحديد تستورد أيضاً من خارج بلاد اليمن لا سيما من الهند، ولعل من أشهر السيوف اليمانية القديمة، نوع منها عرف باسم السيوف اليرعشية، التي صنعت زمن الملك شمر يرعش وعرفت بالسيوف الحميرية(٧٠).

هذا ومن المعروف أن السيوف اليمانية تميزت بجودتها وصلابتها وليونتها في الوقت نفسه، وقيل فيها كثير من الاشعار التي تصفها بصفات مختلفة منها:

باسمر من رماح الخط لدن
وابيض صارم ذكر يماني

وأيضاً:

كأنهم أسيف بيض يمانية
عضب مضاربها باق بها الأثر(٧١)

كما ورد ذكرها في السير الشعبية كسيرة عنترة العبسي وسيرة الملك سيف وسيرة بني هلال (٧٢)وتتحدث بعض المصادر عن ثبات سيف يماني في يد خالد بن الوليد يوم غزوة مُؤْتَه، بعد أن تكسرت في يده تسعة أسياف(٧٣).

هذا وقد عرف من أسماء صناع السيوف اليمانية (القيون): عمرو بن أسد بن خزيمة من قساسي واشتهر سيف نسب اليه عرف بالقساسي (٧٤)، ومنهم خباب بن الأرث وسريج بن أسد، واليه ينسب نوع من السيوف اليمانية عرفت باسم السيوف السريجية (٧٥) نسبة له.

والواقع أن السيوف اليمانية تأتي في مقدمة السيوف العتيقة(٧٦)، كما يذكر الكندي والتي يصفها بأن «جوهرها مستطيل معرج متساوي العقد (٧٧) ويصف السيوف التي طبعت باليمن «يكون القد فيها أربع قدود»(٧٨) كذلك فانه من العلامات المميزة للسيوف اليمانية العتيقة قبل الاسلام وجود ثقبين في سنبل السيلان، يكون فيه ثقب السنبل من احدى وجهتيه أوسع من الوجهة الأخرى، أو الواجهتان متساويتان ووسطه أضيق (٧٩).

ويعتبر السيف الصمصام من أشهر السيوف اليمانية العتيقة، ويكون عرض نصله قدر ثلاث أصابع تامة وأقل(٨٠)، وهو سيف لا ينثني ذوحد واحد وله شفرة حادة والأخرى جافة (٨١)، وأشهر هذا النوع اليماني صمصامة عمرو بن معدي كرب والذي أهداه بعد اسلامه إلى خالد بن العاص عامل الرسول (ص) على اليمن(٨٢).

ومن أهم المميزات الصناعية في السيف اليماني ما يعرف بوجود «الشهاوست» والداست(٨٣)على نصله، و«الشهاوست» عبارة عن وجود شطب على نصل السيف مكون من زوايا مربعة داخل الشطب نفسه بحيث تبدو متساوية على وجه النصل، وأما «الداست»، فيعني وجود شطب واحد في الوسط واثنين في الشفرتين(٨٤). كذلك فان السيوف اليمانية المشرفية، تأتي في مقدمة أنواع السيوف العتيقة، وهي نسبة إلى قرى من أرض العرب تدنو من الريف في اليمن، كما ذكرها النويري(٨٥)، وفيها يقول الشاعر:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

كما اشتهرت أيضاً السيوف اليمانية العريضة ذات الحدين، اذ مهر اليمانيون في صناعتها، ونوع آخر عرف باسم السيوف المحفورة شطبها شبيه بالأنهار(٨٦).

هذا ويحتفظ متحف صنعاء الوطني بعدد كبير من السيوف اليمانية الاثرية ويطلق على بعض منها النعوت المختلفة المعروفة في صفات السيوف منها على سبيل المثال: الباترة(٨٧) والحداد (٨٨) والحسام(٨٩) والحنيفية(٩٠) والزالقة(٩١) والرسوب(٩٢) والفولاذية(٩٣) والسيوف العريضة التي تعرف باسم الصفيحة، كما عرف أيضاً عن السيوف اليمانية القديمة زخرفتها بالنقوش والزخارف المختلفة، مثل سيف عمرو بن معدي كرب الذي كان يحتوي على نقش جميل على هيئة سمكة(٩٤)، وذاع عليها استخدام التكفيت عن طريق تحمية جزء من النصل الذي سيكفت حتى يزرق لونه، ثم تحفر فيه خطوط رفيعة باستخدام مقص حاد أو ازميل دقيق رفيع بالرسوم والأشكال المطلوب حفرها، ثم تثبت في تلك التجاويف الدقيقة

الأسلاك الذهبية والفضية، ثم يضغط عليها بخفة إلى أن يتم حفر الخطوط الرقيقة[٩٥] وهو نفس الأسلوب تقريباً الذي استخدم على السيوف التركية والمصرية والايرانية[٩٦]. ولقد كانت السيوف اليمانية في مقدمة الهدايا التي يرسلها حكام اليمن إلى الخلفاء أو السلاطين أو الملوك في مختلف الدول، ومن ذلك على سبيل المثال، تلك الهدية الثمينة التي بعث بها علي بن محمد الصليحي للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في مصر وكان في مقدمتها «سبعون سيفاً مقابضها من عقيق»[٩٧].

(٢) السيف اليماني المستقيم (لوحة ٩، ١٠):

سيف مستقيم من الفولاذ طوله (٨٢سم)، مقبضه أسطواني الشكل يبدأ من أعلى بالقبيعة وهي على شكل «القلة»، إذ أنها كروية الشكل تشبه مثيلتها إلى حد ما على سيف الوزير ناصر السوداني لوحة (٢) وان كانت تختلف عنها من حيث الحجم ووجود القتير على السيف السوداني (لوحة٢)، بالاضافة إلى وجود حزوز بارزة على قلة السيف السوداني. يبلغ طول قائم المقبض على هذا السيف اليماني المستقيم (١٦سم)، وهي اسطوانية الشكل ويختلف عليها طابع الزخارف عن السيف السوداني، وكذلك على السيوف اليمانية الثلاثة المنحنية. ويلاحظ أن هذا السيف يخلو من وجود الواقية التي توجد عادة على السيوف، أما نصل هذا السيف فيبلغ طوله (٦٦سم)، وعرضه الوسط به (٤,٢سم)، وينتهي بطرف مدبب كما يوجد شطب واحد على وجه السيف.

لهذا السيف غلاف جميل من المعدن مزخرف بزخارف نباتية وهندسية بارزة، ويتوسط هذا الغلاف قطعة من قماش القطيفة من اللون الاحمر الغامق (لوحة ١٠).

أما زخرفة هذا السيف فسنتناولها مع زخرفة السيوف اليمانية الثلاثة الأخرى ونقارنها بزخرفة السيف السوداني.

رابعاً: السيوف اليمانية الثلاثة المنحنية (أجزاؤها وزخارفها): (اللوحات ١١ - ١٣):

الواقع أن هذه السيوف الثلاثة اليمانية قليلة الانحناء من نوع السيوف المعروفة باسم الشمشير والسابق الاشارة اليها، مصنوعة من الفولاذ ومقابضها من الفضة ولكل منها مقبض قبيعته على شكل رأس طائر النسر، ولها واقيات صغيرة تقل في حجمها عن واقية السيف السوداني وفيما يلي وصف هذه السيوف.

السيف رقم (١): (اللوحات ١٤ - ١٦)، وشكل (٦):

سيف مقوس قليلاً طوله (٧٨سم)، قبيعة المقبض على شكل رأس طائر النسر، وعلى المقبض زخرفة من أشكال الوريدات والزجزاج من القتير المعدني يبلغ طول المقبض (١١سم)، وواقيته من الحديد (عرضها ١١سم) ذات شكل صليبي. ويلاحظ وجود مجموعة من الاسلاك الفضية تحيط بأسفل قائم المقبض، تشبه الاسلاك الفضية نفسها على نهاية قائم المقبض في سيف الوزير ناصر، وواقية هذا السيف عليها وحدة زخرفية نباتية محفورة حفراً بارزاً لبعض عناصر الزخرفة النباتية. ونصل السيف مقوس قليلاً ويخلو من الزخرفة ولكن يوجد عليه ثلاثة شطوب. أما غلاف السيف فعليه زخارف نباتية من أعلى وأسفل، بالاضافة إلى وجود بعض الزخارف الهندسية، كما يتوسطه قطعة من قماش القطيفة، تحيط بالجزء الاوسط

من هذا الغلاف من اللون الاسود، عليها طبقة ملفوفة من الاسلاك السميكة.

السيف رقم (٢):

(اللوحات ١٧ - ٢٠) وشكل (٧-٩):

سيف قليل الانحناء طوله (٩٠سم)، يبدأ مقبضه من أعلى بقبيعة على شكل طائر النسر، وعليه زخرفة نباتية وهندسية بارزة، ويبلغ طول المقبض (١٣سم) وللسيف واقية صليبية الشكل من الحديد (عرضها ٩,٥سم) وعلى النصل ثلاثة شطوب ويبلغ عرض وسطه (٣,٥سم). للسيف غلاف من المعدن يكسو وسطه قطعة من قماش القطيفة باللون الأحمر، بينما يزخرف هذا الغلاف من أعلى وأسفل زخرفة نباتية وهندسية بارزة.

السيف رقم (٣):

(اللوحات ٢١ - ٢٣ - والاشكال ١٠ - ١١):

سيف قليل الانحناء أيضاً يبلغ طوله (٨٤سم) وطول مقبضه (١١,٥سم) قبيعته كما على السيفين السابقين على شكل رأس طائر النسر وواقيته صليبية الشكل من الحديد عرضها (١٢سم) وعرض وسط النصل (٥سم)، وكما للسيفين السابقين غلافان فان له غلافاً من المعدن يزخرفه من أعلى وأسفل زخرفة نباتية وهندسية بارزة ويكسو وسطه قطعة من قماش القطيفة باللون الأحمر الغامق.

ويلاحظ على هذا السيف وجود دائرة غائرة يكسوها الصدأ (لوحة ٢١) أسفل الواقية على بداية النصل، بها زخرفة بارزة الشكل طائرة أوحيوان؟، يحيط بها دوائر مطموسة بارزة، ربما كانت بمثابة نوع من الطلاسم التي سبق الاشارة اليها على بداية نصل السيف السوداني، أويحتمل أيضاً أن تكون علامة مميزة للمصنع.

زخارف السيوف اليمانية السابقة ومقارنتها بالسيف السودان وتأريخها:

الواقع أن الطابع العام لزخارف هذه السيوف اليمانية، يقتصر على طابع الزخرفة التي انتشرت في العصر العثماني، لاسيما النوع المعروف منها بطراز «الهاتاي» (Hatayi)[٩٨] وهو طراز من الزخرفة قوامه الزهور والأوراق النباتية المحورة عن الطبيعة الشبيهة بالزخرفة المورقة المعروفة بأسلوب الارابيسك[٩٩]، إلا أن هذا الطراز جمع في عناصره التأثيرات الصينية الايرانية والعثمانية في تآلف بديع، يسهل فيه معرفة أصول هذه العناصر الزخرفية النباتية والهندسية، عكس الطراز الرومي (Roumi)[١٠٠] المعروف في الزخرفة العثمانية الذي يجمع بين الزخارف النباتية والحيوانية المحورة عن الطبيعة.

زخرفة السيف اليماني المستقيم:

يتميز قائم هذا السيف بوجود عناصر الأوراق الرمحية الشكل على مقبضه وغلافه: (لوحة ٩، ١٠)، لاسيما على الجزء المعدني الذي يصل بين بداية نصل السيف ونهاية قائم المقبض. وبمقارنة هذه العناصر الزخرفية (الرمحية) بمثيلاتها على مقبض سيف الوزير السوداني، تبدو أنها اكثر حرية، كما يلاحظ أنه يفصل بينها دوائر غير منتظمة الشكل بداخل كل منها زهرة رباعية. وتبدو هذه العناصر الرمحية واضحة على غلاف السيف بشكل اكثر انتظاماً ورقة، إذ أن زخرفته عبارة عن صف رأسي من دوائر متجانسة غير منتظمة بداخل كل منها الزهرة الرباعية، وعلى جانبي هذا الصف الأوراق الرمحية والتي يفصل بين كل ورقة منها دائرة صغيرة (لوحة ١٠).

زخرفة السيف المثني رقم (١):

تتركـز زخـرفـة هذا السيف على واقيتـه وغـلافـه، فعلى الـواقعيـة، (لـوحـة ١٤، ١٥ وشكل ٦)، توجد زخرفة نباتية بارزة قليلاً قوامها وردة ثمانية، يحيط بها عنصر متكرر من الجهات الأربـع أشبـه بزهرة الصبار، محورة أوراقها على مهاو من التشهيرات النباتية والنقط المطموسة. ولعـل في وجـود هذا العنصر الزخرفي على واقية السيف ما يشير إلى طابع قوة تحمل السيف. أما زخرفة الغلاف فقوامها وحدة متكررة داخل جامة تتألف من معين في الوسط، يحيط به زخرفة نباتية أشبـه بالـزهـور والأوراق النباتية (لوحة ١٦) من طراز الهاتاي.

زخرفة السيف المثني رقم (٢):

يتميز هذا السيف بوجـود عناصر زخرفية عديـدة عليـه من طابـع نبـاتي وهندسي، على كتلة المقبض والـواقيـة والغلاف. فقبيعة المقبض على شكل رأس طائر النسر، وقد عبر الفنان عن عين الطـائـر بحفـر وردة مروحيـة الشكـل، بينما زخـرف بقيـة قائم المقبض، بزخرفة جميلة قوامها في الـوسـط صف من المعينـات الصغيرة الرأسية بداخـل كل منهـا علامـة عشرية. ويكتنف هذه المعينـات من النـاحيتين، شريطان رأسيان على شكل الأوراق الرمحية في انتظام تام ولكن يلاحظ بداخل عناصر هذه الأوراق الرمحية زخرفة محفورة ومتكررة أشبه بحرف (V) (شكل ٧).

الملاحظ على قائم هذا السيف كثرة وجود العـلامـة العشريـة شكـل ٧، بينما نجد علامة واحـدة عشريـة محفورة على وسط واقية السيف السـوداني. ويكثـر وجود هذه العلامات العشرية على السيـوف (١ . ١) والخز ف (٢ . ١) والنسيج (٣ . ١) والسجـاد. وربما تشير هذه العلامة إلى شكل تقاطع لسيفين معا.

وبمقـارنـة زخـارف مقبض هذا السيف بمقبض سيف الـوزيـر الســوداني، نجـد أن العنـاصـر الـزخرفية للأوراق الرمحية التي تميل في هيئتهـا العـامـة للأوراق الجناحية، هي العناصر نفسهـا التي اتبعت على زخـرفة السيفين وكذلك في وجـود العـلامـة العشـريـة (انظر : اللوحات ١٧، ١٨، ٢) وان كان يقتصـر وجـودهـا على السيـف السـوداني في وسط واقيته.

أما على واقية هذا السيف اليماني، فتوجد وحـدة زخـرفية نباتية متكررة، في الجهات الأربع للواقيـة من عنصـر نباتي أشبه بزهرة الصبار التي سبق الاشـارة إليهـا على واقية السيف السابق، وان كان وجـودهـا على واقيـة هذا السيف يتميز بكثرة فروعها التي تضيق جهة زوايا الواقية الأربع (شكـل٨)، بينما تتقابل جذورها وسط الواقية، بحيث يقرب شكلها العام أيضاً من شجرة السرو (٤ . ١) التي انتشرت في فنون العصر العثماني.

كذلـك يتميـز غلاف هذا السيف بكثـرة العنـاصـر النبـاتيـة والهنـدسيـة على وجـه ومتن الغـلاف، فعلى اللوحـة (لوحة ١٧ وشكل ٩)، توجـد وحـدة زخـرفيـة متكررة قوامها ورقة نباتية ذات فص واحـد كبـير الحجم، يحيط بها أوراق نبـاتيـة محورة من العنـاصـر المعـروفة باسم طراز «رومي» في الفن العثماني، ويخرج من هذه الورقة الـرئيسية من أسفل فرعان نباتيان يتقابلان أعلى الوحدة الزخرفية جميعها.

أما زخرفة ظهر الغلاف (لوحة ٢٠)، فهي أيضـاً زخـرفـة نبـاتية متماثلة على الجانبين حيث يتـوسـط ظهر هذا الغلاف شريط من الزجزاج، على جـانبيــه أوراق نبــاتيــة من طراز رومي، يتخللهـا ورقتـان متـماثلتـان بانتظام تام. ويحيط بالـزخـرفـة الـرئيسيـة صفان رأسيان من أشكال المعنيات الصغيرة، كما على واجهته غلاف

السيف.

زخرفة السيف المثنى رقم (٣):

تختلف زخرفة مقبض هذا السيف وواقيته وغلافه عن السيفين السابقين الاشارة اليهما، وان كان يشترك معهما في وجود قبيعته على شكل راس طائر النسر (لوحة ٢١، ٢٢) فعلى مقبض هذا السيف توجد زخارف بارزة متكررة (لوح ٢١)، قوامها وردة رباعية الشكل داخل دائرة وينتشر بين هذه الدوائر تهشيرات محزوزة (شكل ١٠)، أما زخرفة الواقية (شكل ١١)، فعلى شكل وردة ثمانية محفورة حفراً بارزاً. أما زخرفة الغلاف فقوامها نفس عنصر الوردة الرباعية على قائم السيف، وان كان يتخلل الزخرفة دوائر صغيرة دقيقة مطموسة الشكل وبارزة، بدلاً من التهشيرات التي تنتشر بين نفس الوريدات الرباعية على قائم هذا السيف (شكل ١٢، لوحة ٢٣).

تأريخ السيوف اليمانية الأربعة:

تشير زخارف هذه السيوف الى طابع الزخرفة المعروفة في الفن العثماني والسابق الاشارة اليها، ومن المعروف أن صلة بلاد اليمن بالدولة العثمانية، صلة قديمة ترجع جذورها إلى الفتح العثماني لمصر عام ٩٢١هـ /١٥١٧م، وقد كان الدافع في هذه الصلة السعي إلى إحتلال بلاد اليمن بالنسبة لموقعها للدولة العثمانية وحاجتها لتأمين ممتلكاتها الجديدة في البلاد العربية(١٠٥).

لذلك فقد سار الفتح العثماني لها خلال عدة مراحل تاريخية بدأت من عام ١٥٣٨م وتتابعت بعد ذلك(١٠٦)، وكان من أهم المظاهر الفنية للغزو العثماني لليمن دخول الأسلحة النارية مثل البنادق والمدافع(١٠٧)، التي كان يوجد عليها زخارف عثمانية مختلفة بطبيعة الحال، وفي الوقت نفسه تعتبر صناعة السيوف من الصناعات القديمة المعروفة في اليمن، فحدث امتزاج فني، كما يحدث عادة من تأثيرات فنية، يوضحها بصفة عامة انتشار طابع الزخارف العثمانية على العمائر اليمنية بدرجة كبيرة. والأمثلة على ذلك واضحة منتشرة في كثير من زخارف العمائر ذات الطابع العثماني الزخرفي في العمائر الدينية في صنعاء وتعز وزبيد وغيرها من مدن اليمن الكبيرة، وكذلك على الأسلحة العثمانية التي يحتفظ بها متحف صنعاء، بما تحمله من زخارف نباتية من طراز الهاتاي(١٠٨).

والواقع أن هذه السيوف اليمانية من ممتلكات أسرة حميد الدين (١٠٩) التي آلت إلى متحف صنعاء الوطني مؤخراً، تتفق زخارفها إلى حد كبير مع سيف الوزير ناصر السوداني والمؤرخ بنهاية القرن الثاني عشر للهجرة مما جعلنا ننسبها إلى نفس هذا التاريخ أوبداية القرن الثالث عشر للهجرة ١٩م، وذلك اعتماداً على دراسة ومقارنة زخارفها كما سبق، بالاضافة إلى انها من السيوف المتوارثة، حيث ان تاريخ هذه الاسرة يعود إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي(١١٠).

الهوامش

(١) رقم السجل بالمتحف: ٣٤٩، وأتقدم بالشكر للسيد مدير المتحف القومي بالسودان لموافقته على تصوير هذا السيف ونشره وكذلك للسادة الأمناء.

(٢) أتقدم بالشكر ايضاً إلى الأخ / احمد ناجي ساري مدير متحف صنعاء الوطني لموافقته على تصوير ونشر هذه السيوف التي لم تعرض بعد.

(٣) نعوم شقير: تاريخ السودان. ص ١٢٢ (تحقيق محمد ابراهيم ابو سليم).

(٤) انظر: نعوم شقير. تاريخ السودان: ص ١٢٣.

الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرق الأوسط ص ٢٠٦.

يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي (١٤٥٠ - ١٨٢١). ص ٤٥ - ٤٦.

التيجاني عامر: السلالات العربية السودانية في النيل الأبيض ص ٢٠ - ٢١.

Hassan, y: The ummayed genealogy of the fung- pp28-30.

(٥) العبدلاب أو مشيخة العبدلاب - كما يطلق عليهم - هم ذرية الشيخ عبد الله جماع، أول ملوكهم، كان لهم مملكة قائمة بالسودان، قبل وفود الفونج عليهم وهزيمتهم لهم في موقعة أربجي عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م فاقتسموا مع الفونج مملكتهم، وظلوا يحكمون الجزء الشمالي من الجزء الأوسط من سودان وادي النيل. وللعبدلاب فضل كبير في نشر الاسلام في السودان في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة ١٦/ ١٧م. وهناك شبه اجماع بين المؤرخين، على أنهم ينتمون إلى قبيلة جهينة العربية.

انظر: نعوم شقير: تاريخ السودان: ص ١٢٩ - ١٣٥.

ويوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك: ص ٣٩ - ٤٤.

(٦) ابراهيم العدوي: يقظة السودان: ص ١١.

(٧) مصطفى محمد مسعد: امتداد الاسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط: ص ٩٢.

(٨) مكي شيكة: مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط: ص ٨.

(٩) يذكر نعوم شقير عن سكان هذه المنطقة حالياً أنهم: (المابان، جم جم، البرتا، الأنقسنا، البروني)، ويعرفهم بأنهم قوم خلا سيوف من النوبة والعرب، أو على أنهم فرع من العوضية الجعليين.

نعوم شقير: تاريخ السودان ص ١٠٨.

يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك: ص ٤٨ - ٤٩، ٧٨.

(١٠) برزت شخصية هذا الرجل في وقت عصيب في دولة الفونج، بعد أن تدهورت أوضاعها، فعينه الملك بادي أبو شلوخ قائداً عاماً لسلاح الفرسان، وتمكن بحسن قيادته من انتزاع النصر من الأحباش الذين كانوا قد تقدموا إلى مدينة سنار عاصمة الدولة عام ١١٧٤هـ ١٧٣٥م، وتمكن بعد ذلك من بناء جيش قوي للمملكة درأ به الاخطار المحيطة بها، ثم فتح مدينة كردفان بعد ذلك، فعينه الملك قائداً عاماً للجيش. علا نفوذه بعد ذلك حتى صار بيده الحل والعقد. فعزل بعض ملوك الفونج وقتلهم وعين بدلاً منهم. وقد توفي هذا القائد عام (١١٩٠هـ/ ١٦٧٧م) بعد أن حقق مكاسب كبيرة لصالح طائفة الهمج، وترك عدة أولاد من بينهم الوزير ناصر - صاحب السيف.

انظر: نعوم شقير: تاريخ السودان. ص ١٠٨ - ١٠٩.

احمد بن الحاج ابو علي: مخطوط كاتب الشونة في تاريخ السلطنة.

السنارية والادارة المصرية: ص ١١ - ٢٢

يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك: ص ٧٩.

(١١) أحمد بن الحاج ابو علي: مخطوط كاتب الشونة ص ٢٢ وما بعدها.

نعوم شقير: تاريخ السودان: ص ١١٤.

(١٢) مثال ذلك حربه ضد «رباط»، الذي أعلن نفسه ملكاً على سنار، فخرج اليه وهزمه في منطقة الحلفاوية بالقرب من شندي، هذا غير حروبه العديدة ضد بعض الثائرين في منطقة سبرو باقليم الجزيرة.

احمد بن الحاج أبو علي: مخطوط كاتب الشونة ص ٢٥

(١٤) يذكر النص الذي أورده نعوم شقير عنه «وكان في

الشرق في هذا العصر اربعة ملوك اشتهروا بكرمهم وهم الشيخ ناصر في سنار والسلطان عبد الرحمن في دار فور ومرادبك في مصر واحمد باشا الجزار في الشام».
نعوم شقير: تاريخ السودان: ص ١١٥ه٨

(١٥) يفهم من النص الوارد بمخطوط كاتب الشونة أن وزراء دولة الفونج كانوا يعينون وزراء لهم. انظر احمد بن الحاج: مخطوط كاتب الشونة: ص ٢٦.

(١٦) نعوم شقير: تاريخ السودان: ص ١١٥ - ١١٦.

(١٧) المرجع السابق: ص ١١٦.

(١٨) عبد الرحمن زكي: السيف في العالم الاسلامي: ص ١.

(١٩) السيف من الناحية اللغوية مشتق من قولهم ساف ماله أي هلك، فلما كان سببا للهلاك سمي سيفاً، انظر ابراهيم السمرائي: السلاح في العربية ص ٥٥.
النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٦ ص ٢٠٩ - ٢٢٢
نبيل محمد عبد العزيز: خزانة السلاح لمؤلف مجهول ص ٢٣ - ٣.
ومن تعاريفه باللغة الانجليزية:
A short handled long- bladed weapon, a kin to a dagger but larger, it is crried in a scabbard, usually wood lined, noramally srtapped to the left side of the body.
انظر: The Encyclopaedia Britannica, vol, 21, P.529; Encyclopaedia Americana, vol,26, p.156.

(٢٠) Coussin, p: les Armes Romaines, PP: 7-8.

(٢١) عبد الرحمن زكي: السيف ص ١٣٩.

(٢٢) Encyclopaedia Brirannica, vol,21, p.549.

(٢٣) من ذلك قول البحتري:

ماضي وان لم تمضه يد فارس   بطل ومصقول وان لم يصقل
يغشى الوغى فالترس ليس بجنبه   من حده والدرع ليس بمعقل

وقول أبي الهول:

حسام غداة الروع ماضي كأنه   من الله قبضة النفوس رسول

(٢٤) عبد الرحمن زكي: السيف ص ٥٥.

(٢٥) الكندي: السيوف واجناسها: ص ٨ - ٩.
أما جوهر السيف أو فرنده، فهو مصطلح يختص بصناعة السيوف عبارة عن تموجات تظهر على صفحات النصال بأشكال مختلفة، منها ما هو على شكل عقد متلاصقة متناسقة متقاربة وبها خانات تبدو على شكل أسلاك الفولاذ، ومنها ما هو على شكل هندسي متراكب فوق بعضه وللجوهر أربعة أنواع مشهورة هي الدمشقي والايراني والهندي والارنلاودي ولكل نوع ميزة خاصة.
عبد الرحمن زكي: السيف ص ١٦٤ - ١٧٦.

(٢٦) عبد الرحمن زكي: صناعة السيوف الاسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى: ص ٧٧ - ٨٢.

(٢٧) انظر: عبد الرحمن زكي: السيف ص ١٥٣، الاشكال ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٨١.
H Olestern, p. Armes orientals-, pp 56- 58.
سليمان احمد سليمان: قطع من السلاح الايراني بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة: ص ٦٦ - ٦٨.
Stockdein, H: Arms and Armour Survey of persian Art (Pope), vol III, p. 2556.

(٢٨) عبد الرحمن زكي: صناعة السيوف الاسلامية: ص ٨٣ - ٨٨.

(٢٩) ذكرت بعض الآراء أن دمشق لم تكن أبداً مركزاً لصناعة السيوف وانما كانت بمثابة مستودع كبير لتوزيع الأسلحة.
Encyclopaedia Britannica; vol, 21, p.551.

(٣٠) عفيف بهنسي: صناعة السيوف الدمشقية بالجمهورية العربية السورية ص ٧٨.

(٣١) أتبع في زخرفة المعادن بالمينا أسلوبان: الأول يعرف بطريقة تركيب الميناذات الفصوص (Email cloisonne)، وفيه تصب المينا في حواجز رقيقة ذهبية تلصق على المعدن، أما الأسلوب الثاني: فتوضع فيه المينا في تجاويف محفورة على صحيفة المعدن ثم تسوى التحفة في النار فتثبت المينا وتعرف هذه الطريقة باسم (Email champleve).

زكي محمد حسن: فنون الاسلام ص ٥٢١.
(٣٢) عبد الرحمن زكي: السيف ص ٢٠٦.
(٣٣) زكي حسن: فنون الاسلام ص ٢٨٠.
محمد عبد الله عنان: الآثار الاندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ص ٣٥٣.
السيد عبد العزيز سالم:
(٣٤) الفولاذ الخام هو الحديد الذكر المصفى من خبثة اللسان، ويذكر عنه الكندي أنه لا يستخرج على طبيعته من المنجم، إذ أنه يخلط ببعض المواد بعد عملية التصفية وخلال عملية السبك حتى تشتد رخاوته.
ويذكر الطرسوسي في مخطوطة عن الفولاذ «تضاف إليه في حين سبكه من العقاقير ما يخفف رطوبته ويكسبه يبسا يسيرا، تعتدل به طبيعته وتنقى الترابية المفسدة لترويته التي خالطته في المعدن وتضفيه من ايذابه تصفية يشرق بها نوره ويظهر فعله المستبطن».
انظر: الطرسوسي: تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر اعلام الإعلام في العدد. نشر.
Kloud kahn, Bulletin d'Etudes orientals, Tx II, p. 106. Burton, R. The Bolk of the Sword, pp.113-114.

عبد الرحمن زكي: السيف: ص ٧٩، حاشية (١).
(٣٥) الكندي: السيوف واجناسها: ص ٥.
(٣٦) انظر ج عبد الرحمن زكي: ص ١٢٢ ـ ١٢٤.
Cowper: The Art of Attack. pp. 120-122.
وصلاح العبيدي: الأسلحة العربية في العصر العباسي في ضوء المصادر الأثرية والتأريخية ص ١٠٥.
(٣٧) سعاد ماهر محمد: السيف المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشهد الامام الحسين بالقاهرة ص ٢٠ ولوحات ١، ٢.
(٣٨) عبد الرحمن زكي: السيف ص ١٢٢.
(٣٩) المرجع السابق: ص ١٣٩.
Hample, J; Alterthumer des Fruhen Mittelalters in ungaran, vol, I, p.195
Encyclopaedia Americana, vol, 26, p. 158.
Encyclopaedia Britannica, vol, 21, p.549.
Cowper, H, S; the Art of Attack and development of weapons, pp.123-127.
(٤٠) القلبج طراز من السيوف يتحول فيه الظهر او ينتقل من نصل ذي حد واحد قبيل الطرف إلى حدين بزاوية واضحة وقد انتقل إلى ايران وتسرب إلى مصر في العصر المملوكي المتأخر.
انظر: عبد الرحمن زكي: السيف ص ١٤٩ وشكل (٥٥).
(٤١) عرف هذا النوع من السيوف في العصر العثماني وهو سيف من نصل واحد مزدوج الانحناء وانتشر هذا النوع في البلاد الأوربية التي خضعت للترك منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي. انظر: عبد الرحمن زكي: السيف: ص ١٥٣ وشكل (٧٢).
(٤٢) Bruce, J; Travels to discover the Sources of the Nile, VI, p. 391.

(٤٣) نعوم شقير: تاريخ السودان ص (١٨٤).
(٤٤) من أمثلة ذلك بعض الأبيات التي وردت في مدح الملك بادي ابو ذقن الفونجي ١٠٥٢ ـ ١٠٨٨هـ/ ١٦٤٣ ـ ١٦٧٨:

وجرد للاسلام والملك صارماً
أباد به أهل الغواية والكفر
سليل ملوك الفونج والسادة الأولى
علا مجدهم فوق السماكين والنسر
محا أثر الفجار بالسيف فاغتدت
بهم حوزة الاسلام ساقين القدر

انظر: نعوم شقير: ص ١٠٤ ـ ١٠٥.
وكذلك تبدو أهميته في شعر العامية بالسودان في الفترة نفسها:

منور ركاب العواتي وهزاز السيوف الحد
غير الشيخ عجيب الفتح دروب الحج

انظر: احمد عبد الرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال روايتهم السماعية: ص ١١٧ـ ١١٨.
(٤٥) السيف الصقيل هو سيف مشحوذ لا يعلق به دم الضريبة ويقال له سيف صارم.
انظر: النويري: نهاية الأرب، ج ٦، ص ٢٠٨.
نبيل عبد العزيز: خزانة السلاح، ص ٢٣.
(٤٦) الصمصام: هو السيف الذي لا يثني.

النويري: نهاية الأرب، ج ٦، ص ٢٠٣.

(٤٨) السيف الصقيل: هو السيف المجرد من الغمد.

عبد الرحمن زكي: السيف: ص ٢٢٧.

(٤٩) انظر: عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الاسلام: ص ١٤٩، وشكل رقم (٦).

عبد الرحمن زكي: السيف: ص ٢٢٧ - ٢٤٢.

النويري: نهاية الأرب ج ٦، ص ٢٠٧.

نبيل عبد العزيز: خزانة السلاح ص ٢٣.

(٥٠) عبد الرحمن زكي: السيف: ص ١٣٥،

(٥١) النويري: نهاية الارب: ج ٦، ص ٢٠٧.

(٥٢) النصاب أو السيلان هو أصل المقبض من نهايته (ويعرف أيضاً بالقبيعة)، وهي عبارة عن حديدة عريضة تلبس أعلى القائم، وتسمى أيضاً (القلة) اذا كانت مستديرة أو كروية الشكل، كما هي على هذا السيف.

عبد الرحمن زكي: السيف ص ٢٣٨.

(٥٣) رقم السجل بالمتحف ٣٦٤٧.

(٥٤) رقم السجل بالمتحف ٩٩٧٥

(٥٥) رقم السجل بالمتحف ١٦٧٢١.

وانظر: سليمان احمد سليمان: قطع من السلاح الايراني: (ص ٧٣ - ٧٤ وشكل ٥).

(٥٦) من المعروف أن عناصر أوراق العنب الخماسية تعد ضمن العناصر الزخرفية النباتية التي انتشرت في الفن الاسلامي، منذ مراحله الأولى، وهي تعتبر ضمن التأثيرات الهلنستية في هذا الفن، وامثلتها كثيرة جداً على عمائره وفنونه.

أنظر:

Shafi'i, F; Simple Calyex ornament in Islamic Art. p.7.

Flury, s; Die or namente der Hakim und Ashar moschee, pls, 19,23.

(٥٧) انظر: فريد شافعي: مميزات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي في مصر: ص ٦٨ وشكل ١٢.

(٥٨) محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني: ص ١٥.

وانظر أيضاً: سعاد ماهر محمد: الخزف التركي: ٩٦.

(٥٩) سعاد ماهر: الخزف التركي: شكل (١٠).

(٦٠) اتقدم بالشكر للشريف يوسف الهندي السوداني، الذي أمدني بهذه المعلومات حين ذهبت إليه في منزله، إذ أن هذا السيف قد آل اليه وأهداه إلى المتحف القومي السوداني.

(٦١) احمد تيمور: التصوير عند العرب ص ٣٠.

(٦٢) رقم السجل بالمتحف: ١٦٧١٩.

(٦٣) انظر: سليمان احمد سليمان: المرجع نفسه: ص ٧٢ وشكل (٣)

(٦٤) البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر: ص ٢٥٦.

(٦٥) عبد الرحمن زكي: السيف: ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٦٦) شهدت الجزيرة العربية حضارات عديدة تركزت بصفة خاصة في جنوبها (اليمن)، وذلك اعتماداً على ما هو معروف من النقوش الحميرية القديمة.

انظر: نيلسون وآخرون: التاريخ العربي القديم. ص ٥١ (ترجمة فؤاد حسنين على).

(٦٧) انظر: الهمداني: الاكليل ج ١٠.

أيضاً: الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص ٣٢١ - ٣٢٢ (تحقيق محمد بن علي الأكوع.

والعرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام: ص ١٦ - ١٦٥ (نشر أنستاس الكرملي).

(٧٧) الكندي: المرجع السابق: ص ٧

(٧٨) المرجع السابق: ص ١٦.

(٧٩) المرجع السابق: ص ١٧.

(٨٠) المرجع السابق: ص ١٧.

(٨١) نبيل عبد العزيز: خزانة السلاح: ص ٢٨.

(٨٢) قيل في هذا السيف من الشعر:

فاذا سللته بهر الشمس
ضياء فلم تكد تستبين

وكأن الفرند والرونق
الجاري في صفحته ماء معين

النويري: نهاية الأرب، ج ٦. ص ٢٠٣ - ٢٠٤، ص ٢١٣.

وقد آل هذا السيف بعد ذلك إلى خالد بن عبد الله القسري، ثم ظل عند بني مروان حتى ذهب ملكهم من الشام ويقال أنه انتقل بعد ذلك إلى خزائن الفاطميين.

انظر: عبد الرحمن زكي: السيف ص ٣٨ - ٣٩.

ونبيل عبد العزيز: خزانة السلاح: ص ٢٨.

(٨٣) المرجع السابق: ص ١٦.

(٨٥) تذكر بعض الآراء أن المشرفيه نسبة إلى مشارف الشام.

انظر: نهاية الأرب، ج ٦، ص ٢٠٦، نبيل عبد العزيز: خزانة السلاح: ص ٣١، عبد الرحمن زكي: السيف ص ٢٤.

(٨٦) جورجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي: ج ١، ص ١٨.

(٨٧) السيف الباتر هو القاطع. النويري: نهاية الارب، ج٦، ص ٢٠٢.

(٨٨) السيف الحاد: المصنوع من الحديد وهو في الغالب اشارة إلى لونه.

(٨٩) الحسام: بمعنى القاطع ايضاً.

انظر: النويري: المرجع السابق ص ٢٠٢

ونبيل عبد العزيز: خزانة السلاح: ص ٢٤.

(٩٠) السيوف الحنيفية ضرب من السيوف نسبة إلى صانع قديم قيل هو أول من صنعها.

نبيل عبد العزيز: خزانة السلاح.

(٩١) الذالقة: السيوف السلسة الخروج من أغمادها.

النويري: المرجع السابق: ص ٢٠٣.

(٩٢) الرسوب: هو السيف الذي يغيب في الضريبة.

النويري: المرجع السابق. ص ٢٠٣

(٩٣) السيوف الفولاذية: هي المصنوعة من حديد ذكر.

نبيل عبد العزيز: خزانة السلاح ص ٢٧.

(٩٤) البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر ص ٢٥٥.

(٩٥) انظر عبد الحسين الشمري: السيف العربي: ص ٣١.

وأيضاً: Schwarzlose, W,F:

Die waffen der Alten Arabar aus Ihren Dichtern, PP. 138-142.

(٩٦) عبد الحسين الشمري: السيف العربي، ص ٣١.

(٩٧) ابن الديبع الشيباني: قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون. ورقة ٢١.

(٩٨) الهاتايي: كلمة تركية الاصل، يطلقها الأتراك على منطقة التركستان الشرقية، التي تعتبر الموطن الاصلي للأتراك جميعاً.

انظر: محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية. ص ٧٧.

أيضاً: Lare, A; Early Islamic Pottery, pp 47-48.

(٩٩) انظر: The Common Language of Islamic Art, pp.56-58.

(١٠٠) الواقع أن المعنى الحر في لكلمة رومي، هوروماني، وهو الأسم الذي أطلقه السلاجقة على الأناضول، عندما انتزعوها من الدولة البيزنطية في القرن ١١م. وقد اطلق الأتراك هذا اللفظ على الزخارف المحورة التي تجمع بين العناصر النباتية والحيوانية. وقد ذاع استخدام هذا النوع من الزخرفة على كثير من العمائر والتحف التي تنسب إلى العصر العثماني.

انظر: سعاد ماهر: الخزف التركي: ص ٦٥ - ٦٦

(١٠١) المرجع السابق ص ٨١.

(١٠٢) مثال ذلك وجدت هذه العلامة مكتوبة باللون الأسود على ظهر الفناجين التي تنسب إلى صناعة مدينة كوتاهية في أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م، وتعتبر هذه العلامة هي المميزة لبورسلين مدينة ميسي.

سعاد ماهر: الخزف التركي. ص ٨١ وشكل ٩/ ٨.

(١٠٣) من أمثلة وجود هذه العلامة العشرية أيضاً ما هو موجود على قطعة من النسيج ترجع إلى العصر المملوكي / القرن ٨هـ/ ١٤م.

سعاد ماهر: النسيج الاسلامي: ص ١٨٤ - ١٨٥ لوحة ٩٦.

(١٠٤) تمثل هذه الشجرة رمز الخلود عند الأتراك نظراً لدوام خضرة أوراقها طوال العام وقد اكثروا من استخدامها.

سعاد ماهر: الخزف التركي ص ٧٥.

(١٠٥) انظر: السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن: ص ٩٧ - ٩٨، ١٩٨، ٢٣٨.

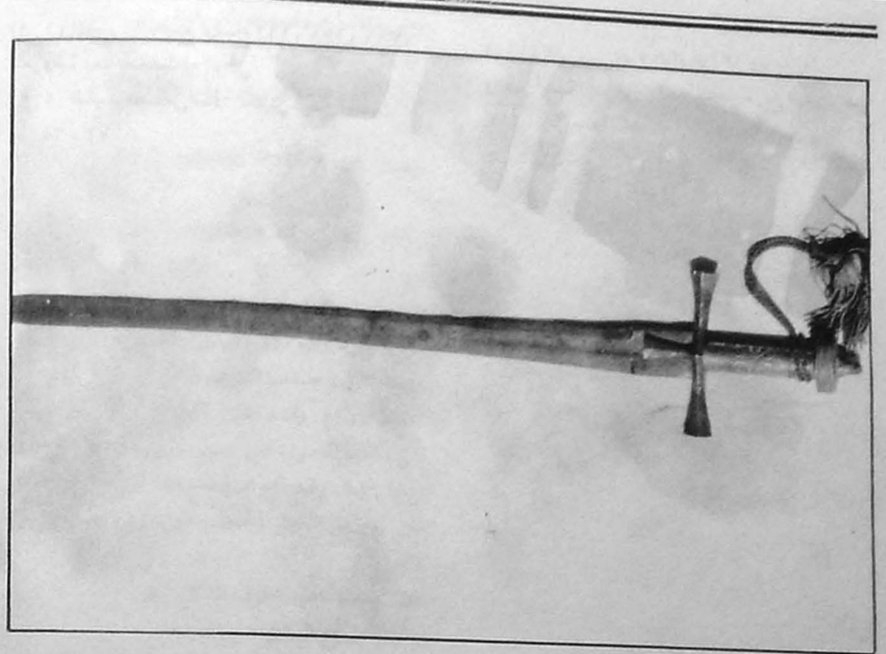
(١٠٦) انظر عن هذا الموضوع: المرجع السابق.

(١٠٧) السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني: ص ٤٧٨.

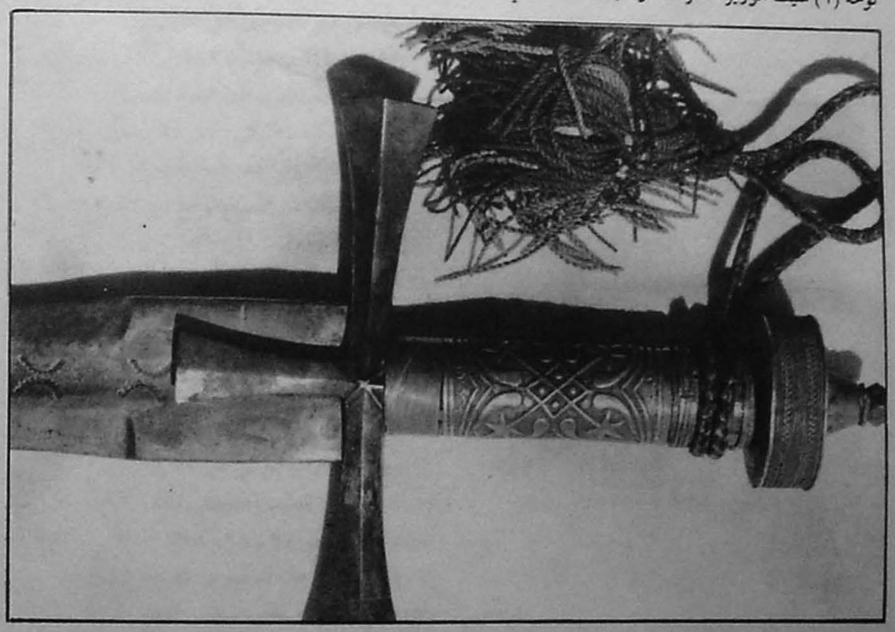
(١٠٨) انظـر : القطـع ارقـام ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٣٦٦ ، المعروضة بمتحف صنعاء الوطني .

(١٠٩) السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث : ص ٦٥ - ٧٢ .

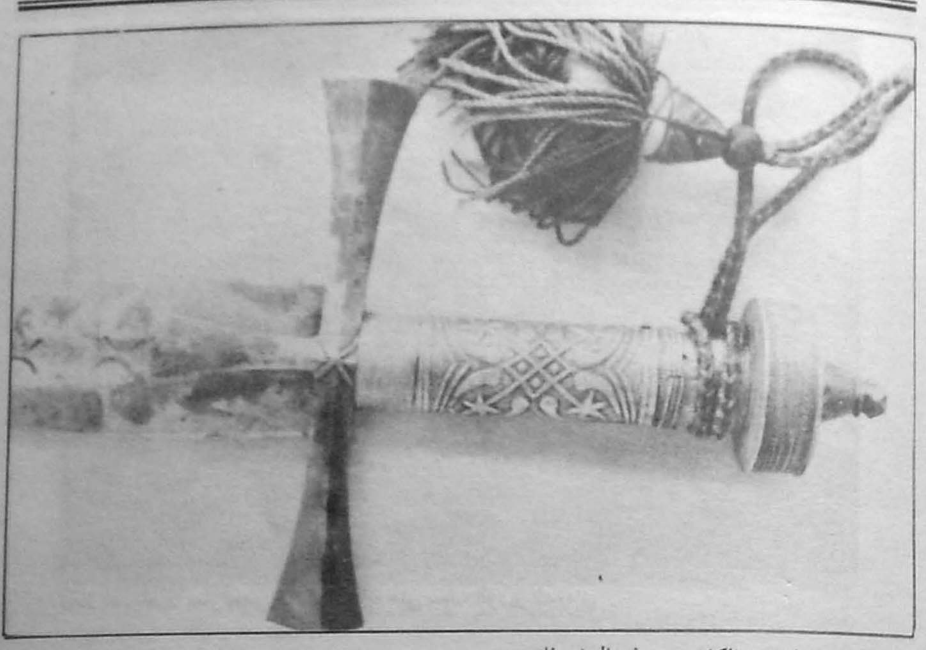
(١١٠) العرشي : بلوغ المرام ص ٦٣ وما بعدها . وانظـر أيضـاً الجـرافي : المقتطف من تاريخ اليمن . ص ٢١٧ . وما بعدها .



لوحة (١) سيف الوزير ناصر المحفوظ بالمتحف القومي بالسودان



لوحة (٢) كتلة المقبض والكلاب ـ سيف الوزير ناصر ـ



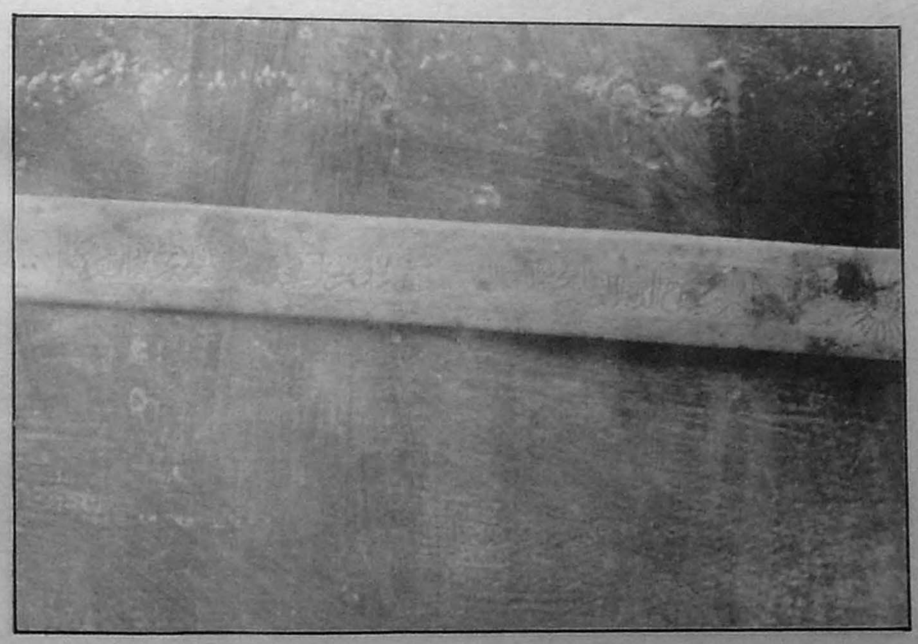
لوحة (٣) كتلة المقبض والكلاب - سيف الوزير ناصر -



لوحة (٤) وجه النصل (الزخرفة الادبية والكتابية)



لوحة (٥) الصدأ يعلو بعض حروف الكتابة على سيف الوزير السوداني

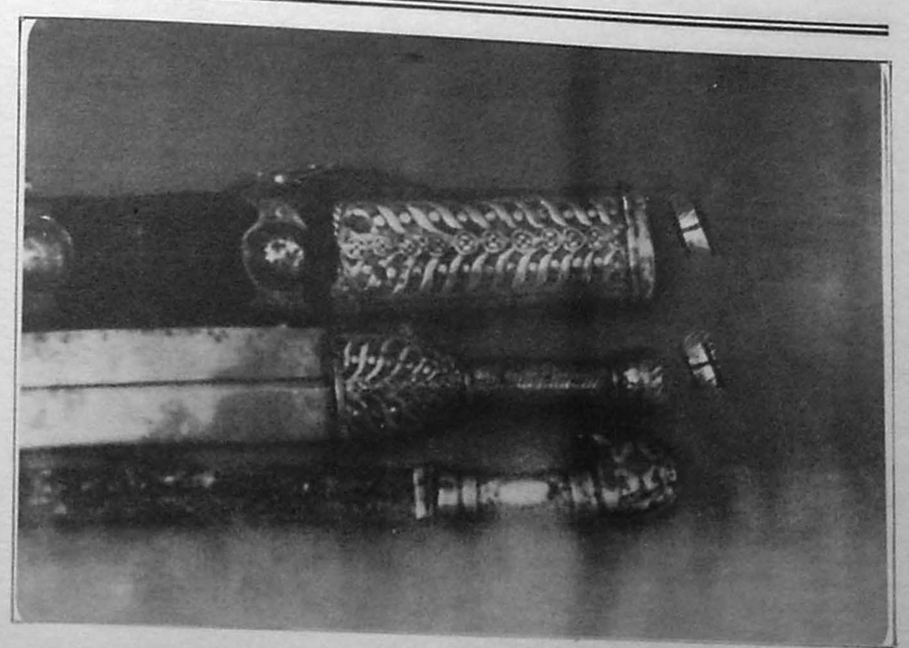


لوحة (٦) زخرفة آدمية وكتابية نسخية على متن نصل السيف السوادني

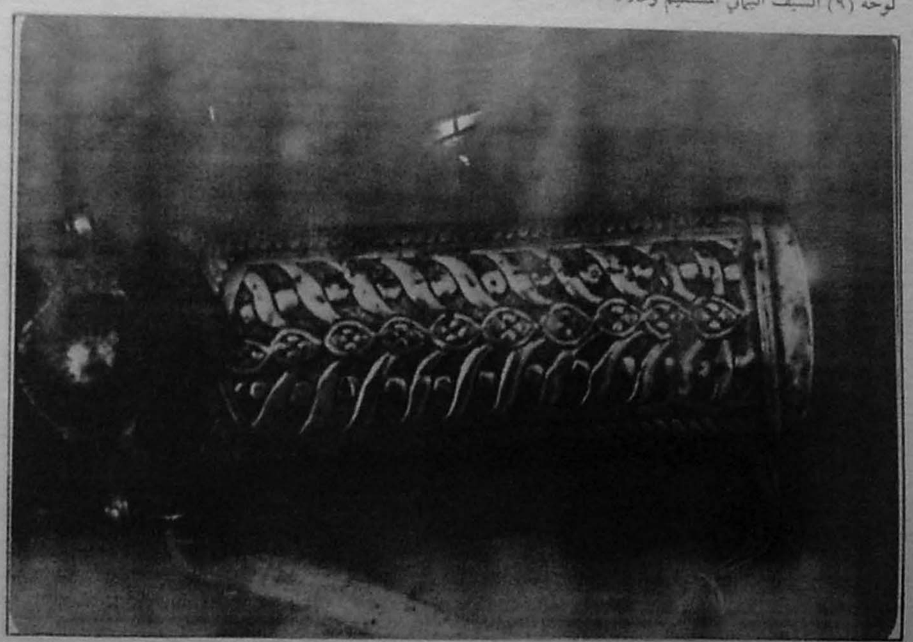


لوحة (٧) الصدأ يعلو بعض الكلمات المكتوبة على نصل السيف السوداني

لوحة (٨) قائم السيف السوداني وزخرفة الحيوان على نصله



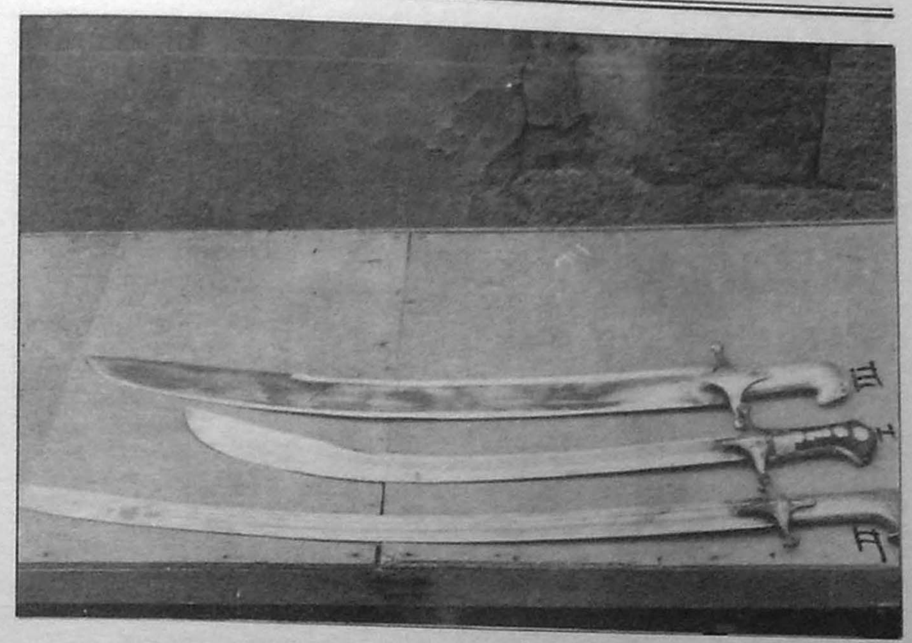
لوحة (٩) السيف اليماني المستقيم وغلافه



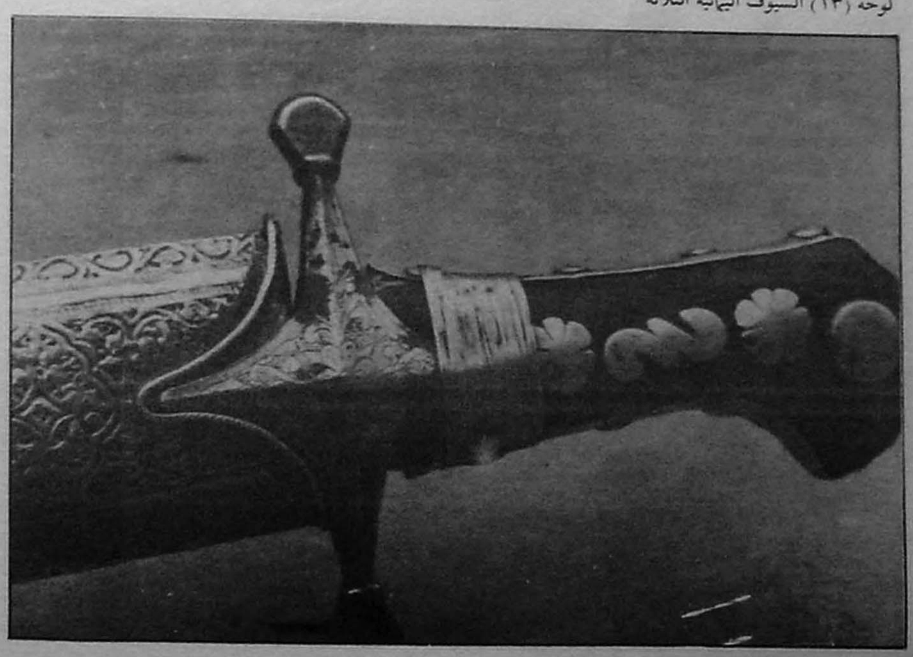
لوحة (١٠) زخرفة غلاف السيف اليماني المستقيم

لوحة (١١) ثلاثة سيوف يمانية محفوظة بخزينة متحف صنعاء الوطني ـ اليمن

لوحة (١٢) السيوف اليمانية الثلاثة واغلفتا



لوحة (١٣) السيوف اليمانية الثلاثة



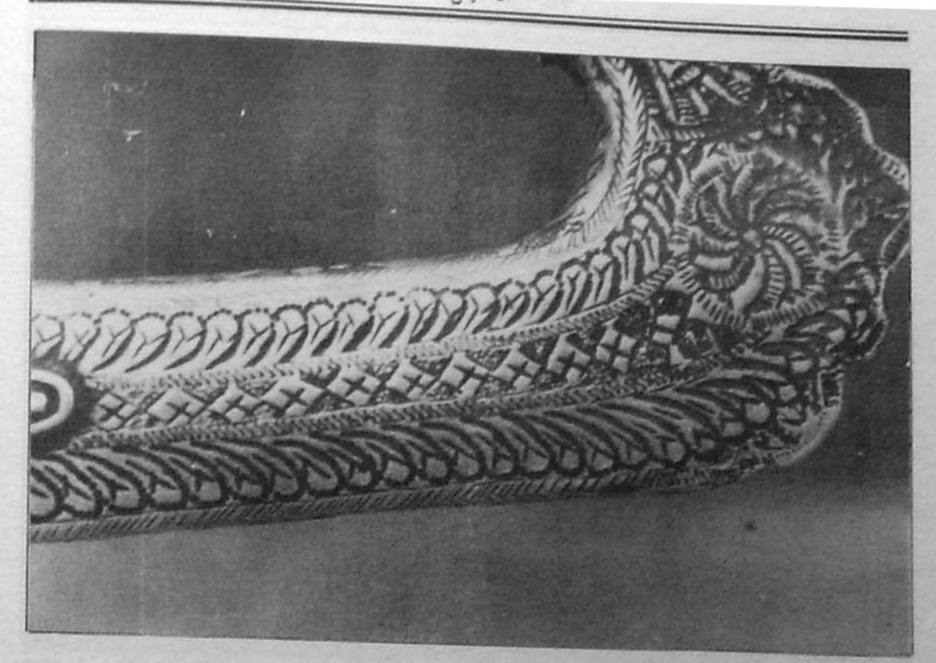
لوحة (١٤) قائم السيف رقم - ١ -



لوحة (١٥) القتير والاسلاك الفضية على نهاية قائم السيف اليماني رقم - ١ -



لوحة (١٦) وحدة زخرفية متكررة على غلاف السيف اليماني رقم - ١ -



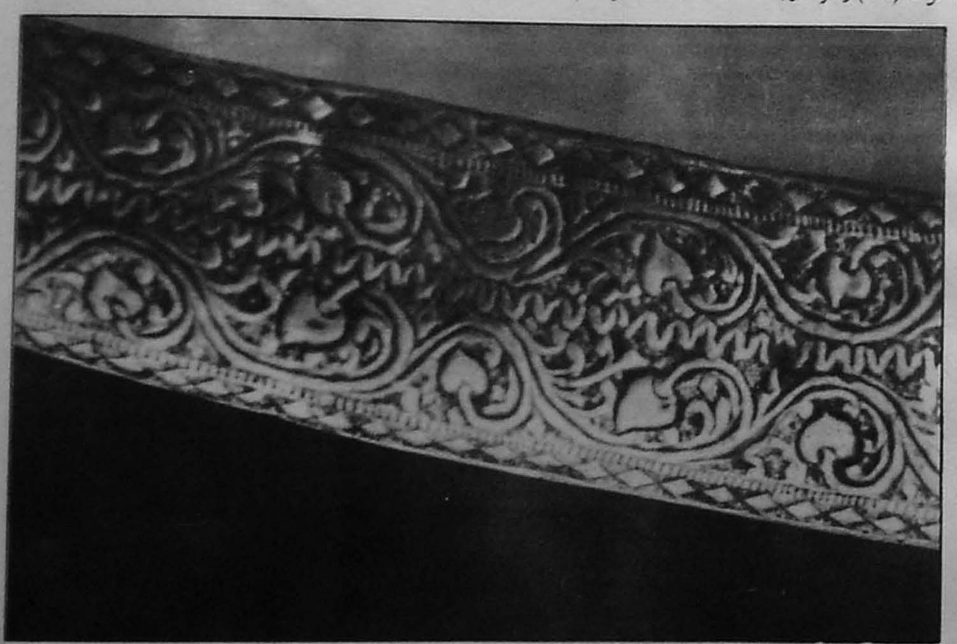
لوحة (١٧) مقبض السيف اليماني رقم - ٢ -



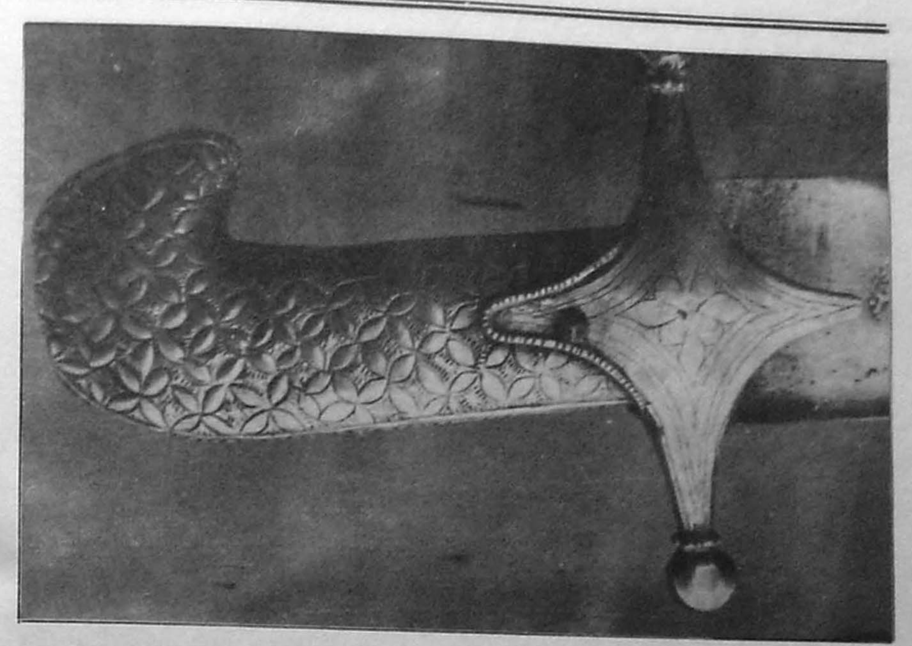
لوحة (١٨) واقية السيف اليماني رقم - ٢ -



لوحة (١٩) زخرفة وجه غلاف السيف اليماني رقم - ٢ -



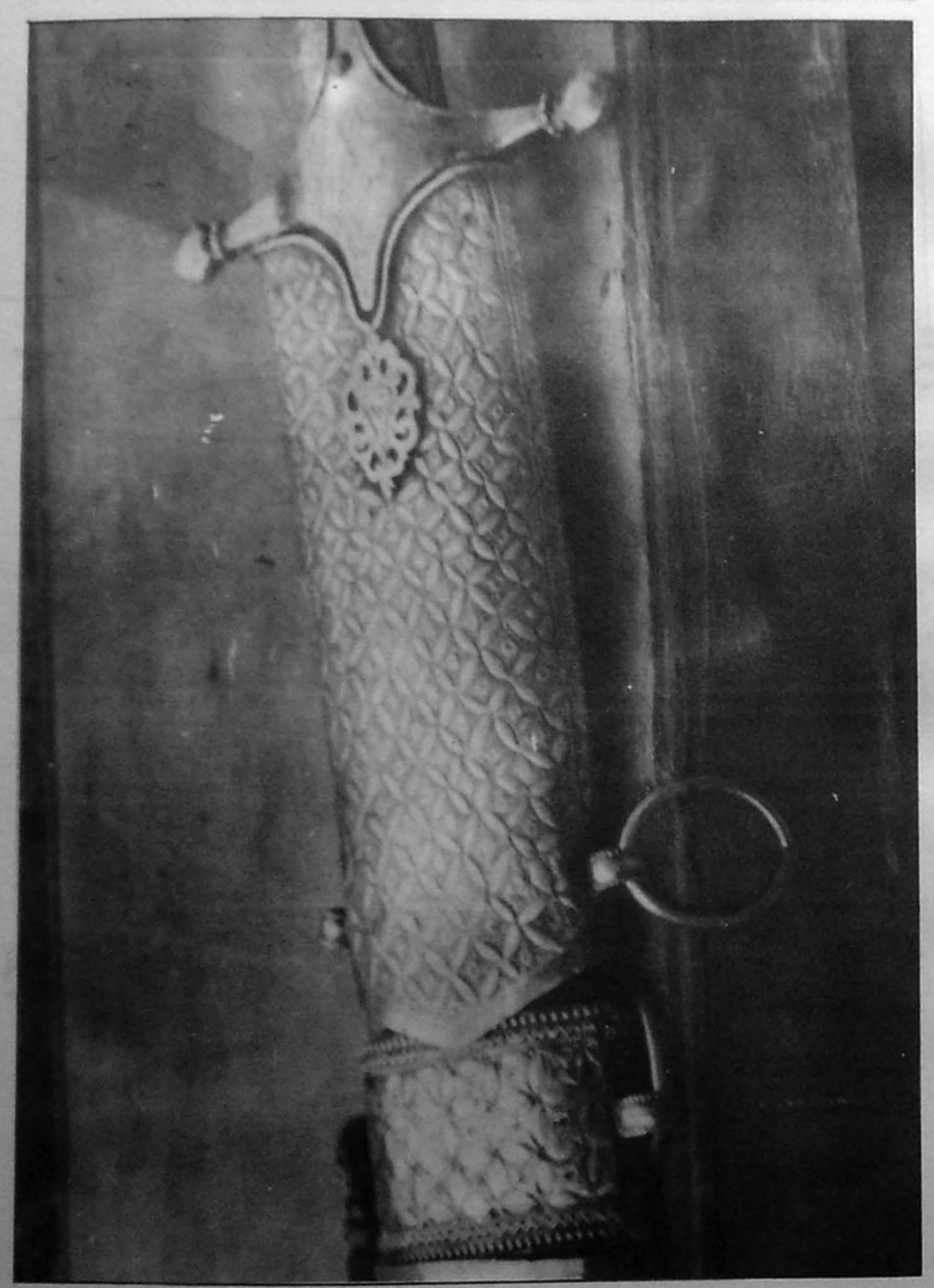
لوحة (٢٠) زخرفة على متن غلاف السيف اليماني رقم - ٢ -



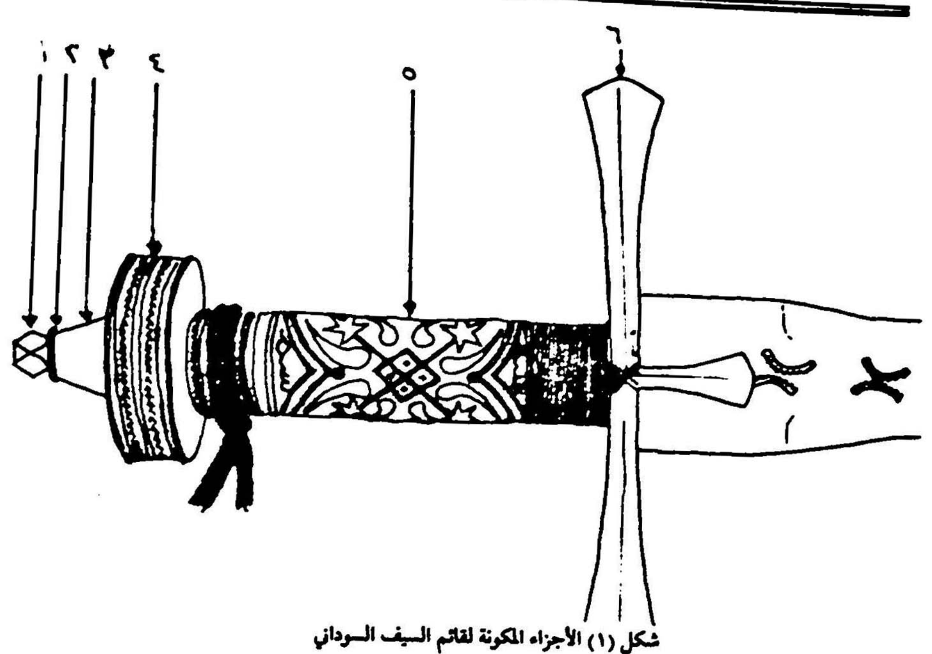
لوحة (٢١) مقبض السيف اليماني رقم - ٣ -



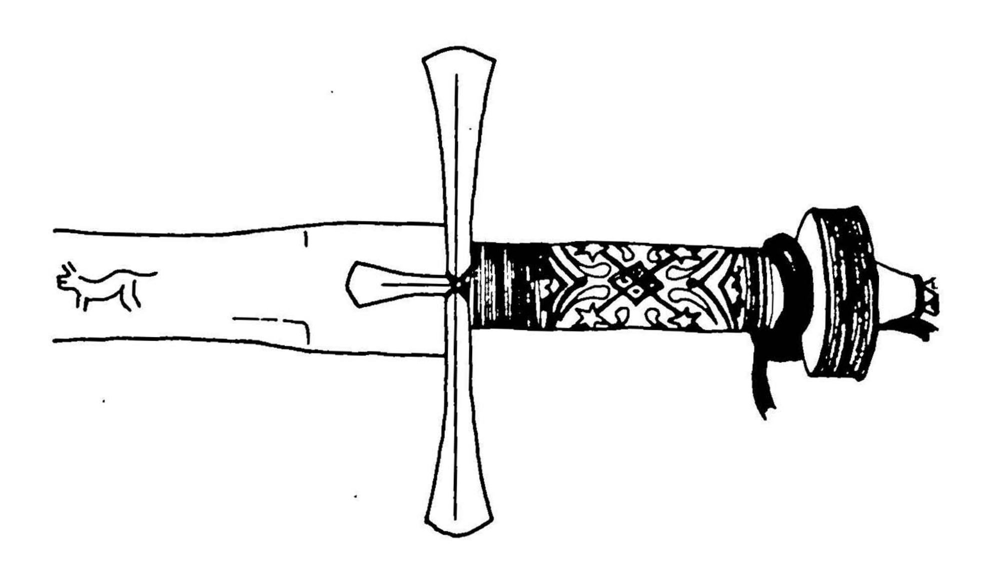
لوحة (٢٢) علامة على وجه نصل السيف اليماني رقم - ٣ -



لوحة (٢٣) ظهر غلاف السيف اليماني رقم - ٣ -




شكل (١) الأجزاء المكونة لقائم السيف السوداني

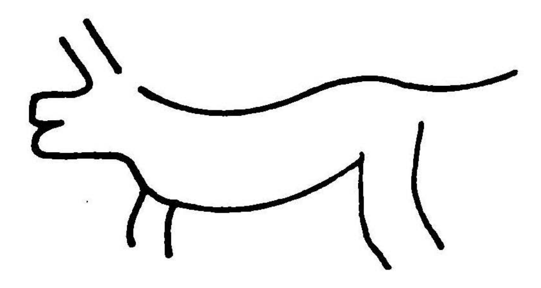


شكل (٢) الزخارف النباتية والحيوانية على قائم ونصل السيف السوداني

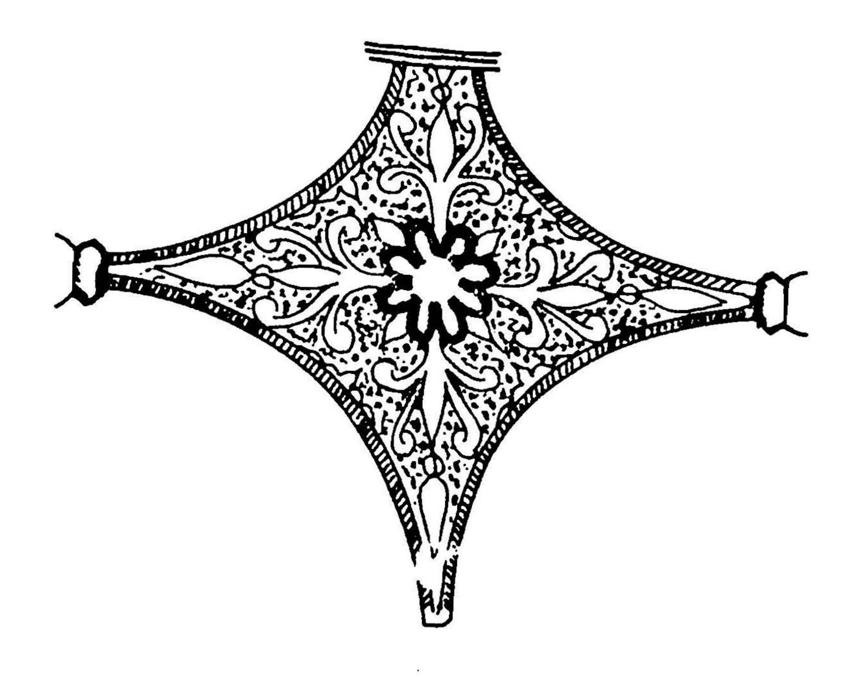


شكل (٣) أبيات الشعر على وجه نصل السيف

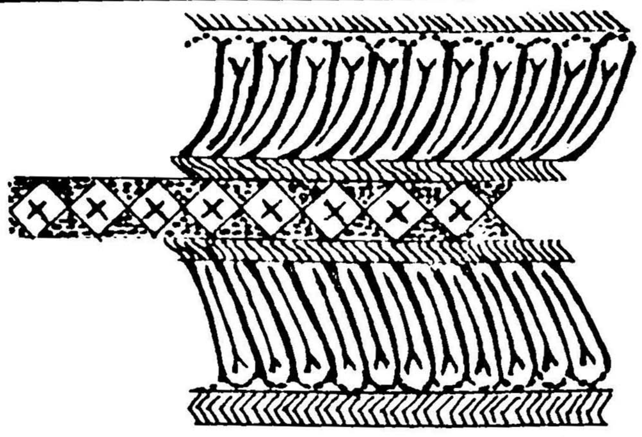
شكل (٤ . أبيات الشعر على متن نصل السيف السوداني



شكل (٥) زخرفة الحيوان على نصل السيف السوداني

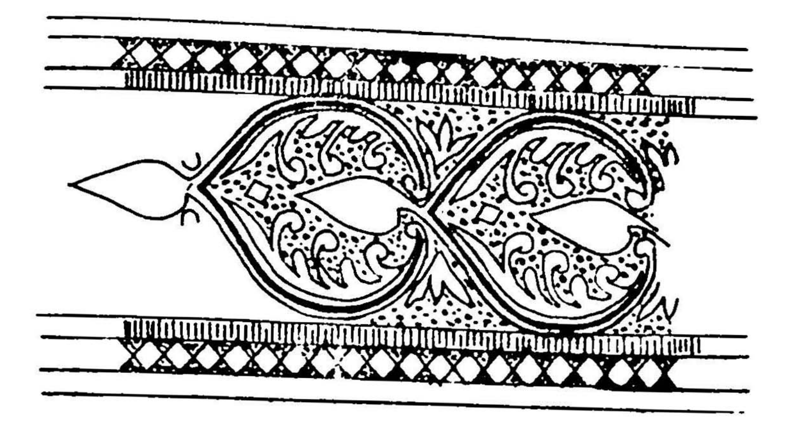


شكل (٦) زخارف واقية السيف اليماني رقم (١)

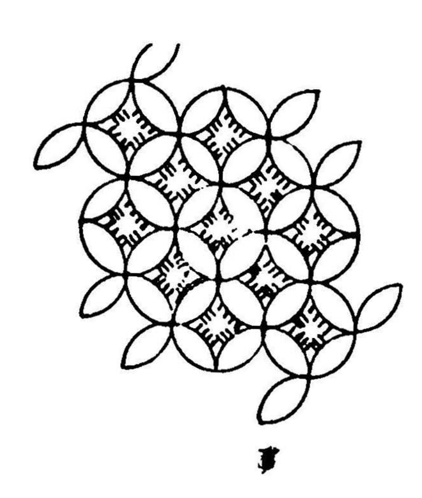


شكل (٧) جزء من زخرفة مقبض السيف اليماني رقم (٢)

شكل (٨) زخرفة واقية السيف اليماني رقم (٢)

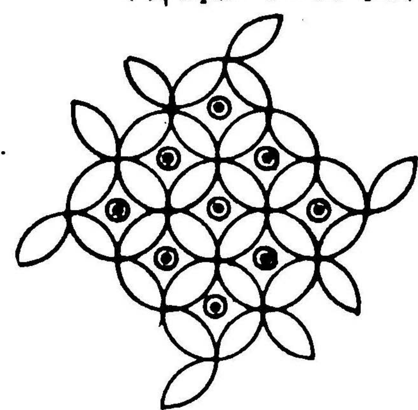


شكل (٩) زخارف وجه غلاف السيف اليماني رقم (٢)

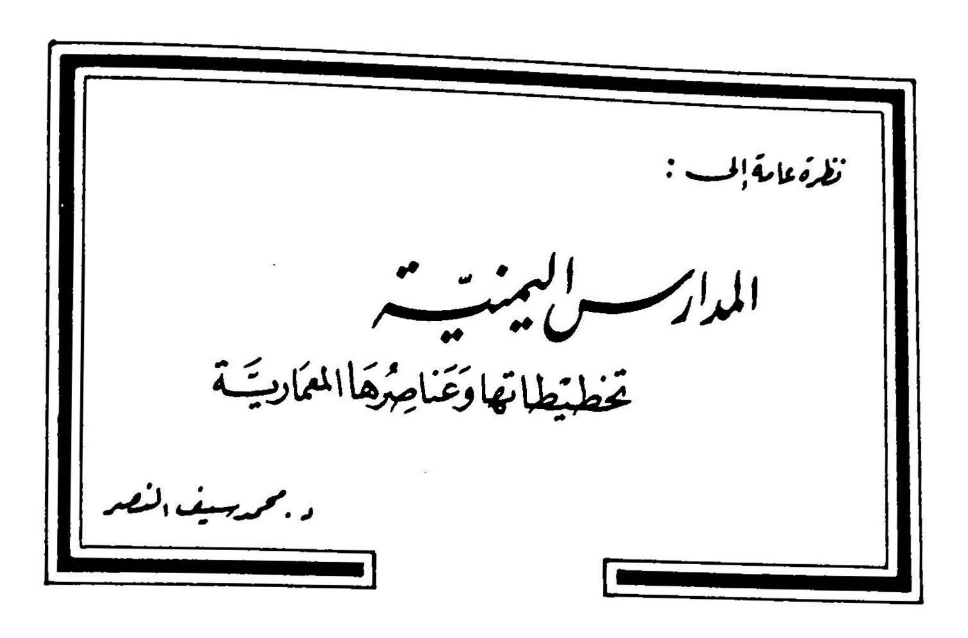


شكل (١٠) زخرفة مقبض السـيف اليماني رقم (٣)

شكل (١١) زخرفة واقية السيف اليماني رقم (٣)



شكل (١٢) الزخرفة على غلاف السيف اليماني رقم (٣)



حظيت المدارس في الدول الاسلامية المختلفة بالكثير من الاهتمام والدراسة وتعددت آراء علماء الآثار حول نشأتها وتطورها وأصولها، وشارك المستشرقون منهم والعرب في هذه المناقشات المطولة.

والحقيقة أن المدارس قد أثارت انتباه المؤرخين المسلمين منذ فترة طويلة كظاهرة حضارية أثرت في المجتمع الاسلامي علمياً واجتماعياً بل إن بعض المؤرخين قد أدرك الأبعاد السياسية وراء نشأتها وانتشارها.

ورغم تعدد هذه الدراسات وشمولها لأقطار العالم الإسلامي في محاولة البحث عن موطنها الذي ولدت فيه وتتبع تطورها المعماري عبر الأزمنة والبقاع، فإن هذه الدراسات المطولة لم تشر للمدارس اليمنية من قريب أو بعيد (١)، هذا مع وفرة المدارس في اليمن خاصةً في مناطق سهول تهامة والمدن الجنوبية.

وقد وفدت المدارس إلى اليمن مع مجيء الأيوبيين اليها عام ٥٦٩ ـ هـ ـ ١١٧٤ م(٢) ولسنا بصدد البحث عن نشأة المدارس الاسلامية وطُرُزها الأولى فهو موضوع تناوله كثيرون بالبحث والدراسة(٣)، ولكن لا بد من إشارة موجزة إلى هذه النشأة لتساعد في تحديد مفهوم المدرسة كمنشأة اجتماعية تعليمية لها مقومات ثابتة فرقت بين دورها والدور الذي أداه المسجد في التعليم والتثقيف منذ بداية الاسلام، والذي بلغ أوج ازدهاره فيما بين بداية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري، وهي الفترة التي انجبت كبار أئمة المسلمين وفقهائهم كالامام مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي وغيرهم(٤). ويرى كثير من الباحثين أن السياسة والصراع المذهبي كان لهما دور في نشأة المدارس وانتشارها، وهو بداية التدخل الرسمي أو الحكومي في توجيه التعليم والاشراف عليه من قبل السلطة الحاكمة(٥).

وبنظرة شاملة على الدولة الاسلامية منذ القرن الثالث الهجري نرى أن المذهب الشيعي أخذ في الانتشار السريع بخطى ثابته في المغرب

ووصل إلى مصر حيث قامت الخلافة الفاطمية وظهرت الدعوة للمذهب الشيعي علانية في بغداد اثناء حكم الاسرة البويهية وبلغت المذاهب الشيعية أوج قوتها خلال القرن الخامس الهجري.

ولم تكن اليمن بمعزل عن هذا التيار، بل كانت الدعوة الشيعية بها أكثر نشاطاً وسبقاً، فقامت الدعوة الزيدية (الهادوية) في شمال اليمن على يد الامام الهادي إلى الحق أبي الحسين يحيى بن الحسين الرسي منذ عام (٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م) وتبعه خلفاؤه من بعده[٦]. كما قامت دعوات أخرى لفرق متعددة من الشيعة حيث وفد اليها دعاة الاسماعيلية منذ وقت مبكر في حوالي عام (٢٦٨ هـ - ٨٨١ م). وخرج الدعاة من اليمن إلى كل مكان في السند والهند ومصر والمغرب وتكونت في اليمن دول شيعية قوية استطاع بعضها أن يسيطر على مناطق واسعة كان أهمها وأكثرها قوة الدولة الصليحية التي دعت إلى المذهب الاسماعيلي واستطاعت أن تسيطر على اليمن كله سهله وجبله، بره وبحره قرابة قرن من الزمان (٤٣٩ هـ - ٥٣٢ هـ - ١٠٤٧ - ١٠٣٨ م). والتي كانت على علاقة وثيقة بالخلافة الفاطمية في مصر[٧].

ثم توالت الاحداث سريعاً وانتهت بانحسار ذلك المد الشيعي حيث تولى الوزراء السلاجقة مقاليد الحكم في مقر الخلافة في بغداد، فأعادوا المذهب السني وعملوا على نشره وسرعان ما استولوا على دمشق التي كانت في أيدي الفاطميين وواكب ذلك ضعف الدولة الصليحية في اليمن على اثر وفاة السيدة بنت أحمد ثم انهيار الدولة وسقوطها[٨] وتلاها سقوط الخلافة الفاطمية في مصر واستيلاء صلاح الدين على السلطان وارسال الحملة إلى اليمن بقيادة أخيه توران شاه لاقامة الدولة الأيوبية بها عام (٥٦٩هـ - ١١٧٤م)[٩].

وكان أن توجه السلاجقة نحو التعليم كأداة رئيسية لوقف التيار الكاسح للمذهب الشيعي، إذ كان في حكم المستحيل منع ذلك التيار الشيعي المنتشر بين عامة الناس الا بواسطة نشر المدارس التي قدمت التعليم والاقامة والطعام مجاناً بالاضافة إلى الرواتب التي مثلت جهاز الدعاية الفعال لصالحهم. وسار على نفس النهج نور الدين محمود في الشام وخلفاؤه الايوبيون وبذلك انتشرت المدارس وعمت في كثير من الدول الاسلامية.

وتجدر الاشارة إلى أن تسمية مدرسة لم تطلق إلا على المكان الذي يضم بيوتاً للطلبة ورواتب وجرايات دارة عليهم وعلى من يقوم بالتدريس فيها[١٠]، وقد وردت أول اشارة إلى المدارس عام (٣٧٥ هـ - ٩٨٥م) في كتاب المقدسي (أحسن التقاسيم) حيث ذكر في مقدمته أنه اختلف إلى المدارس[١١]، وقيل إن الامير شجاع الدولة صادر بن عبد الله انشأ المدرسة الصادرية في دمشق عام (٣٩١هـ - ١٠٠١م) وبنيت في نياسابور مدرسة لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك المتوفى عام (٤٠٦هـ - ١٠١٥م)[١٢]، كما انشئت في نياسابور عدة مدارس أخرى هي مدرسة الاسترابادي التي أنشأها أبو اسماعيل بن علي المثنى الواعظ الصوفي، ومدرسة الاسفرائيني المتوفى عام (٤١٨هـ - ١٠٢٧م)[١٣] ومدرسة أبي بكر البستي المتوفى عام (٤٢٩ - ١٠٣٧م)[١٤].

ويذكر السلجوقي المشهور الذي توفي عام (٤٨٥ هـ - ١٠٩٢م) في انشاء المدارس منذ توليه الوزارة عام (٤٥٥هـ - ١٠٦٣م) «فبنى ببغداد مدرسة ورباطاً وبنى مدرسة ببلخ ومدرسة بنياسبور ومدرسة بهراة ومدرسة باصبهان وأخرى بالبصرة ومدرسة بمرو ومدرسة بآمل طبرستان ومدرسة بالموصل» وقيل إنه «كان له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة[١٥]»، وقد شاع انشاء

المدارس في كثير من انحاء العالم الاسلامي حيث يذكر ابن جبير انه شاهد في رحلته أوائل عام (٥٨٠هـ ١١٨٤م) - ٨٥م) في دمشق عشرين مدرسة وفي حلب ست مدارس وفي الموصل ست مدارس وفي بغداد ثلاثين مدرسة(١٦).

أما مصر فقد انشىء بها أربع مدارس في العصر الفاطمي اثنتان بالاسكندرية واثنتان بالقاهرة. وفي العصر الايوبي بلغت المدارس في كل من الفسطاط والقاهرة أربعاً وعشرين مدرسة، كما انشئت مدرستان بالفيوم(١٧).

وقد انشئت المدارس في اليمن مع مجيء الايوبيين اليها في عام (٥٦٩ - ١١٧٣م) حيث قام الملوك الايوبيون بانشائها وتبعهم في ذلك قادتهم وأمراؤهم واتباعهم الذين جاءوا معهم وغيرهم من أصحاب اليسار وأهل العلم، وقد ورد في ثنايا المراجع التاريخية ما يزيد على ثلاث عشرة مدرسة في أنحاء اليمن قام على انشائها ملوك الايوبيين واتباعهم، ومن هذه المدارس: المدرسة المعزية في زبيد ومدرسة الميلين التي كانت تقع شرق الدار الناصري الكبير في زبيد أيضاً وقد بناها الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب عام ٥٩٤ هـ - ١١٩٨م، وجدد بناءها الملك المسعود ابن الملك الكامل وكانت مخصصة لفقهاء الشافعية، وقد ذكر الخزرجي أن اسماعيل بن طغتكين اول من أقام المدارس في اليمن(١٨).

أقام المعز اسماعيل مدرسة أخرى في تعز عرفت بالمدرسة السيفية وكانت داراً للأتابك سيف الدين سنقر اشتراها منه المعز وحولها إلى مدرسة ونقل اليها رفات والده سيف الاسلام طغتكين من منصورة جنوه وجعل سبعة من القراء على تربة ابيه، وأوقف وادي الضباب على مصالح تلك المدرسة(١٩).

ومن اشتهر من قادة الايوبيين بانشاء المدارس الأتابك سنقر ابن عبد الله الايوبي وكان من مماليك طغتكين بن أيوب توفى عام (٦٠٨هـ - ١٢١١م) فقد اقام خمس مدارس في ارجاء اليمن هي: المدرسة الاتابكية في المنطقة المعروفة الآن بهزيم في جنوب غرب مدينة تعز، والمدرسة الاتابكية في أبين كما انشأ مدرسة في مغربة تعز ومدرستين في زبيد هما الدحمانية والعاصمية(٢٠).

ومن اتباع الايوبيين الذين اقاموا المدارس فاتن بن عبد الله المعزي كان خادماً حبشياً من موالي المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب الذي أقام مدرسة في قرية المسانيف شمال غرب ذي جبلة عرفت بالمدرسة الفاتنية ووقف على مصالح المدرسة وقفاً جيداً، كما بنى جمال الدين ياقوت الجمالي الذي كان والياً على حصن تعز في أيام طغتكين ابن أيوب مدرستين احداهما عرفت بالاشرفية في مغربة تعز والاخرى في ذي السفال وعرفت بالياقوتية(٢١).

كما كان للعلماء الذين وفدوا بصحبة ملوك بني أيوب اسهام أيضاً في بناء المدارس ومنهم القاضي الرشيد ذو النون بن محمد بن ذي النون المصري الأخميمي المتوفى عام (٦٦٣هـ - ١٢٦٣م). الذي قدم إلى اليمن صحبة الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب. وقد بنى مدرسة بذي عدينة أحد أحياء مدينة تعز عرفت بالمدرسة الرشيدية وأوقف عليها وقفاً جيداً وعدداً كبيراً من الكتب(٢٢).

كما انشأ شمس الدين أبو محمد ميكائيل بن أبي بكر بن محمد الموصلي التركماني الذي قدم إلى اليمن مع الملك المسعود فولاه الجند مدرسة بها عرفت بمدرسة ميكائيل وأوقف على مصالحها وقفاً جيداً، وممن بنى المدارس من

الذين وفدوا بصحبة ملوك بني أيوب مجير الدين كافور التقوي، من أتباع سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وكان شيخاً في الحديث بنى مدرسة في غرب مدينة تعز عرفت المجيرية ودرس بها وقبر في فنائها(٢٣). ومن المؤسف أنه لا يوجد من المدارس الايوبية ما يمكن أن نتعرف منه على النماذج الاولى للمدارس اليمنية.

وقامت الدولة الرسولية لترث ملك بني أيوب في اليمن (٢٤)، وقد نهجت نهجهم في انشاء المدارس والاهتمام بها والايقاف عليها، ولم يكن انشاء المدارس قاصراً على السلاطين الرسوليين بل تبعهم في ذلك أمراؤهم وكبار رجال دولتهم واتباعهم، كما اسهمت نساؤهم من الأميرات وزوجات السلاطين وشقيقاتهم وامهاتهم في اقامة العديد من المدارس...

فقد أقام السلطان المنصور نور الدين عمر بن رسول مدارس عدة منها: المنصورية العليا في زبيد وجعلها لتدريس الفقه الشافعي والمدرسة المنصورية السفلى في زبيد أيضاً وجعلها لتدريس الفقه الحنفي والحديث ومدرسة ثالثة في زبيد في حد المنسكية، كما أنشأ مدرسة في الجند عرفت بالمنصورية ومدرستين في تعز هما المدرسة العوزيرية والمدرسة الغرابية كما أقام مدرسة في عدن (٢٥)، وأخرى في مكة المكرمة(٢٦).

ثم توالى انشاء المدارس في عصر الدولة الرسولية في كل انحاء اليمن فأنشأ محمد بن يوسف العلوي المتوفى عام (٦٥٠هـ - ١٢٥٢م) مدرسة في زبيد وجعلها لتدريس النحو(٢٧). وفي زبيد أيضاً أقام تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري المتوفى عام (٦٥٤هـ - ١٣٥٦م) المدرسة التاجية وخصصها لتدريس فقه الامام الشافعي ورتب بها مدرساً ومعيداً وعشرة من الطلبة وأوقف عليها وقفاً جيداً كما أقام مدرسة اخرى في زبيد وخانقاه(٢٨).

وانشا الأمير أسد الدين محمد بن الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول المتوفى عام ٦٧٧هـ - ١٢٧٨ - ٧٩م) مدرستين احداهما في مدينة إب وهي المدرسة الاسدية والاخرى بقرية الخبالي من عزلة وارف من أعمال ذي جبلة وانشا الامير شمس الدين أبوبكر بن فيروز أحد كبار امراء السلطان المظفر الرسولي المدرسة الشمسية في إب أيضاً (٢٩).

هذا كما حولت بعض الدور إلى مدارس مثلما فعل محمد بن الامير شجاع الدين عباس بن عبد الجليل بن عبد الرحمن التغلبي حيث حول دار أبيه بعد وفاته عام ٦٦٤هـ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ م). وجعلها مدرسة باسم ابيه عباس وأوقف عليها وقفاً حسناً(٣٠). وانشا أبو حفص عمر بن علي بن محمد بن ابي بكر العلوي المدرسة العمرية عام ٦٩٣هـ - ١٢٨٤م) - في زبيد وخصصها لتدريس المذهب الحنفي(٣١).

وأقام السلطان الملك المؤيد داود بن المظفر يوسف بن عمر بن علي الرسولي مدارس عدة منها المدرسة المؤيدية في مغربة تعز عام ٦٧٢هـ - ١٢٧٣ - ٧٤ م) وأوقف عليها اوقافاً جليلة وأقام بها مكتبة عامرة، كما أقام أيضاً مدرسة في حي المحاريب في الطرف الشرقي لمدينة تعز عرفت بالمدرسة المظفرية حيث أنشاها بطلب من ابنه المظفر حسن الذي توفي في حياة أبيه عام (٧١٢هـ - ١٣١٢م) ودفن بهذه المدرسة (٣٢) وأقام مدرسة ثالثة في سوق الأحد بحي ذي عدينة في مدينة تعز عرفت بمدرسة دار العدل أو دار الوعد وضمت خانقاه ووقف عليها وقفاً جيداً، كما اقام السلطان المجاهد علي ابن المؤيد داوود بن المظفر المدرسة المجاهدية في تعز عام (٧٣١هـ - ١٣٣١م) وكانت تضم خانقاه وايتاما

يتعلمون القرآن الكريم (كتّاب) ووقف عليها وقفاً جيداً وانشأ العباس بن علي بن رسول المدرسة العباسية بتعز وانشأ الطواشي أبو الدر جوهر الرضواني المتوفى عام (٧٥٥هـ - ١٣٥٤م) مدرسة جوهر بمغربة تعز، كما أنشأ مدرسة أخرى في زبيد وانشأ السلطان الاشرف المدرسة الاشرفية الكبرى عام (٨٠٠هـ - ١٣٩٨م) وأنشأ السلطان الطاهر يحيى بن الملك الأشرف اسماعيل بن الأفضل مدرسة بتعز (٣٤).

ومن رجال الدولة الرسولية الذين اقاموا المدارس الشيخ اسماعيل بن عبد الصمد الجبرتي ومدرسته شهيرة بالمدرسة الجبرتية في زبيد وهي مدرسة خانقاه أي أن طلبتها كانوا من المتصوفين فالشيخ اسماعيل كان من كبار الصوفية المعتقدين وعاصر حكم اربعة من سلاطين بني رسول هم السلطان المجاهد والسلطان الافضل والسلطان الاشرف والسلطان الناصر وهو آخر سلاطين بني رسول، وقد جدّد عمارة هذه المدرسة السلطان عامر بن عبد الوهاب عام (٩٠٩هـ - ١٥٠٣ - ١٥٠٤م)(٣٥).

ولم يكن انشاء المدارس قاصراً على الرجال فقط في الدولة الرسولية ولكن اسهمت النساء من أميرات الاسرة الرسولية في ذلك أيضاً فأقامت الحرة مريم زوج السلطان المظفر يوسف مدرسة في زبيد عرفت بالمدرسة السابقية أو العفيفية وأوقفت عيها، كما انشأت مدرسة أخرى في ذي عقيب من عزلة وارف شمال غرب جبلة وأقامت إلى جوارها دار للضيافة وأقامت مدرسة ثالثة في مغربة تعز عرفت بالمدرسة الجديدة(٣٦).

كما أنشأت آمنة ابنة اسماعيل والدة السلطان الملك المجاهد الرسولي المدرسة والخانقاه الصلاحية في زبيد عام (٧٣٠ هـ - ١٣٣٠م) ورتبت بها مدرساً ومعيداً للفقه الشافعي والنحو والحديث ومع كل منهم عشرة طلبة ومعلمين للقرآن الكريم وعشرة من الأيتام ووقفت على المدرسة وقفاً يقوم بكفايتها كما انشأت مدرستين احداهما في قرية المسلب في وادي زبيد ومدرسة أخرى في قرية السلامة (٣٧).

وأقامت ابنة السلطان الملك المؤيد المتوفاة عام ٧٦٨هـ - ١٣٦٨م) المدرسة الفاتنية بزبيد وانشأت الحرة سلامة ابنة الملك المجاهد على بن المؤيد المتوفاة عام (٨٠٤هـ - ١٤٠٢م) مدرسة بمغربة تعز عرفت بمدرسة سلامة، كما اطلق عليها اسم المدرسة المؤيدية. وأوقفت وقفاً جيداً على مصالحها (٣٨)، وفي زبيد أيضاً انشأت زوج السلطان الملك الاشرف اسماعيل بن الأفضل وأم ولده الملك الظاهر يحيى المتوفاة عام (٨٣٦هـ - ١٤٣٣م) مدرسة عرفت بالفرحانية أو مدرسة أم السلطان، وانشأت زوج الملك الظاهر يحيى بن الملك الاشرف الرسولي جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت المدرسة الياقوتية برباط البريهي بذي السفال وأشرف على انشائها الفقيه جمال الدين محمد بن أبي السرور البريهي وظل ناظراً على أوقافها حتى وفاته (٣٩).

وأقامت أميرات الاسرة الرسولية في مدينة ذي جبلة عدداً من المدارس منها المدرسة العومانية التي أنشأتها الحرة لؤلؤة زوج الامير علي بن رسول والمدرسة النجمية التي انشأتها الدار النجمي ابنة علي بن رسول اخت الملك المنصور عمر بن علي ابن رسول كما انشأت المدرسة الشهابية أيضاً ونسبتها إلى أخيها شهاب الدين محمد بن علي بن رسول كما اقامت المدرسة الشرفية ونسبتها إلى اخيها الأمير شرف الدين موسغ بن علي (٤٠)وغيرها. وما زال الكثير من هذه المدارس قائماً عامراً حتى اليوم محتفظاً

بعناصره المعمارية الاصيلة.

ولم يتوقف الاهتمام بانشاء المدارس بسقوط دولة بني رسول إذ كان للدولة الطاهرية التي قامت على انقاض الدولة الرسولية[41] نفس الاهتمام بانشاء المدارس ورعايتها والايقاف على مصالحها. فشيدوا المدارس في زبيد وجبن ورداع وغيرها من المدن اليمنية ومن اشهر مدارسهم المدرسة المنصورية في جبن والتي اقامها السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر عام (٨٨٧هـ - ١٤٨٢م) والمدرسة العامرية في رداع التي انشأها السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بنت طاهر عام (٨٩٤هـ - ١٤٨٩م) وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل. كما أقام السلطان عامر المدرسة الظافرية في زبيد عام (٩٠٠هـ - ١٤٩٥م) وكذا المدرسة العامرية في تعز وأقام شقيقه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب (المتوفى عام ٩٣٢هـ - ١٥٢٦م) مدرسة في رداع.

وانشئت في الدولة الطاهرية أيضاً المدرسة النظارية (المشنة) في إب والتي اقامها الامير جمال الدين محمد بن معان النظاري وكان من أعيان دولة عامر بن عبد الوهاب توفي عام (٩٢١-١٥١٥م) [42].

وقد استمر انشاء المدارس حتى بعد الفتح العثماني لليمن [43] ومن أهم المدارس التي اقامها الولاة العثمانيون المدرسة الكمالية في مدينة زبيد التي أنشأها كمال بك[44] ومدرسة مصطفى باشا في زبيد أيضاً والتي انشأها في بداية النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، والمدرسة السكندرية التي اقامها الوالي العثماني اسكندر موز، والمدرسة العادلية التي اقامها الوالي مراد باشا عام (٩٨٤ هـ - ١٥٧٦م) وخصصها لتدريس الفقه الحنفي وهي ما زالت قائمة داخل قصر السلاح بصنعاء وانشئت بصنعاء أيضاً المدرسة البكيرية التي بناها الوزير حسن باشا عام (١٠٠٥هـ - ١٩٩٦ - ١٩٩٧م) وسوف نفصل الحديث عنها[45].

ومما تجدر الاشارة إليه أن المدارس بمفهومها ووظيفتها كانت انتشارها قاصراً على المناطق الجنوبية في اليمن وقد خلت منها المناطق الشمالية، ولكن هذا لم يمنع من أن يطلق اسم مدرسة على بعض المنشآت التي أقامها الأئمة، لانتشار هذه التسمية على الألسن وان لم تكن في حقيقتها غير مساجد فقط ولم تدخل في نطاق المدارس من الناحية الوظيفية. ومثال ذلك المساجد التي اقامها الامام شرف الدين المتوفى عام (٩٦٥هـ - ١٥٥٨م) والتي اطلق عليها اسم مدرسة في كوكبان وثلا وصنعاء والمدرسة الشمسية التي أنشأها في ذمار عام (٩٥٠هـ - ١٥٤٣م)[46].

العناصر المعمارية للمدارس اليمنية:

تميزت المدارس اليمنية ببساطة تكوينها المعماري في معظم الامثلة التي ما زالت قائمة حتى الآن، فرغم اشتمالها على كل مكونات المدارس الاسلامية التي تؤهلها لاداء وظيفتها في إقامة الشعائر واداء الفرائض وتوفير اماكن للدراسة والتعليم وكذا إيواء الدارسين وارتفاقهم واعاشتهم بالاضافة إلى مصدر لخزن الماء وتوفيره وهي البرك مع الحمامات والمطاهر. كما وجدت ايضاً المنارات لكثير من المدارس واشتمل بعضها على منارتين.

ونبدأ باستعراض العناصر المعمارية الرئيسية المكونة للمدارس اليمنية عامة. فنرى أن العنصر المعماري الرئيسي الذي يجمع المدارس اليمنية في كل العصور والاقاليم هو بيت الصلاة.

وان كانت بيـوت الصـلاة عنصـراً هامـاً اشتملت عليه المدارس الاسلامية في كل الاقطار إلاّ انـه في المـدارس اليمنيـة هو اكثـر العنـاصـر المعـمارية اهميـة واوسعها مساحة وقد وجدت له عدة نماذج وهي لا تختلف عن بيـوت الصـلاة بالمساجد اليمنية . ، وأول هذه النماذج هي تغطية مسـاحـة بيت الصلاة المربعة أو المستطيلة بقباب متعددة بطريقتين :

الأولى : أن تغطى بلاطـة المحـراب قبة كبرى ويغطي الجنـاحـين على جانبيهـا قبتـان من كل ناحيـة أو أربـع قبـاب من كل ناحيـة كما نرى في المدرسـة الاشـرفيـة الكـبرى وكـما كانت عليـه المدرسـة الظاهرية في تعز[٤٧]، وكما كانت عليه ايضـاً مدرسـة جوهـر بمغـربـة تعـز [٤٨]، وكذا المدرسة الكمالية والمدرسة السكندرية في زبيد .

أمـا الطريقة الثانية : فهي تغطية بيت الصلاة بعـــدد من القبـــاب حيث ينقسم إلى بائكتـين أوثـلاث تغطيها القباب التي يختلف عددها طبقاً لاختـلاف المسـاحة كما يرى في المدرسة المظفرية في تعز ولكن ليست كل قبـابهـا متساوية ، أما في المـدرسـة العتبيـة في تعـز والعـامـريـة في رداع والعـامـريـة في جبن فان قبـابها متساوية الحجم على بائكتين .

والنمـوذج الثاني : هي أن يغطى بيت الصلاة بقبـة واحـدة وغـالبـاً ما يكـون ذلك في المدارس الصغـيرة ـ باستثنـاء المدرسة البكيرية ـ ويكون بيت الصـلاة (بنيــة) ذا مسـاحـة مربعـة كما في المدرسـة الـدعـاسيـة والمدرسـة الوهابية بزبيد ومدرسـة الشيـخ عبـد الملك بن عبـد الـوهـاب برداع . أمـا المـدرسـة البكـيريـة في صنعاء فهي تنـتـمي إلى المـدارس الكـبرى ويغطي بيت الصلاة فيها قبة كبرى على الطراز العثماني .

والنمـوذج الثالث : هو أن يكون بيت الصلاة على شكـل إيـوان أو رُواق مستطيل تسقفه أقباء عمـوديــة على جدار القبلة أو تغطيـه قبتـان متجـاورتـان فـنرى في المـدرسـة العلويـة العليـا (المنصورية) بيت الصلاة إيواناً تغطيه أربعة أقباء عمـوديـة على جدار القبلة . أما المدرسة العلوية السفلى (المنصـورية) فيغطى بيت الصلاة قبتان متجـاورتـان ، وفي المـدرسـة الجـبرتية نرى بيت الصـلاة إيـوانـاً تغطيـه ثلاثـة أقباء عمودية على جدار القبلة وترتكز على عقدين وكذا في المدرسة الفـرحـانيـة في زبيـد . وغيرها كثير من المدارس الصغرى ولا تخرج عن الاشكال السابق الاشارة إليها .

والعنصـــر الثـــاني : من العنـاصـر المكـونـة للمـدارس اليمنيـة فهـو الفنـاء (الصـرح) وهـو عنصـر مشـترك في كل المـدارس وهي في ذلـك تشـابـه كل المـدارس الاسـلاميـة وربـما اختلف الفنـاء (الصـرح) في المـدارس اليمنية قليلاً طبقاً لموقعه والتكوين المعماري للمدرسة ، فهو في عديد من الامثلة مربـع أو مستطيل يتقدم بيت الصلاة وتحيـط به أروقـة من جهاته الاربع كل منها بائكه واحـدة تفتـح عليه بعقود محمولة على أعمدة ، أو دعـامـات ، نرى ذلـك في المـدرسـة العتبيـة وكما كانت المـدرسـة الظـاهرية في تعز ، ونراه ايضاً في المـدرسـة العـامـريـة في رداع والعـامرية في جبن ومـدرسـة الشيـخ عبد الملك ابن عبد الوهاب في رداع والمـدرسة السكندرية في زبيد وربما نستطيع أن نضم اليها ايضاً المدرسة المظفرية في تعز فرغم التغـيرات المتعـددة التي جرت عليهـا ما زال بها الفنـاء (الصـرح) يتقـدم بيت الصـلاة وتحيط به الأروقة من ثلاث جهات فقط ، لوحة (١) .

أمـا الفنـاء في المـدرسـة الاشرفية الكبرى

فقد استعمل جبانه لدفن الموتى وهو يتوسط منشآت المدرسة فيفتح عليه من الناحية الشمالية بيت الصلاة ومن الناحية الجنوبية الخانقاه وتكتنفه من الشرق والغرب قاعتا الدرس. وقد أقيمت في وقت لاحق ثلاث قباب فوق المقابر بهذا الفناء.

وفي المدارس ذات الرواقين أو الإيوانين فان الفناء (الصرح) يتوسطهما كما في المدرسة المنصورية العليا والمنصورية السفلى والمدرسة الدعاسية والفرحانية والجبرتية والوهابية في زبيد والمدرسة النظارية (المشنة) والمدرسة الأسدية في إب.

والعنصر الثالث: من عناصر التكوين المعماري للمدارس اليمنية: فهو مساكن الطلبة أو مكان ايوائهم وهو من اهم العناصر المميزة للمدارس وقد عرف في الغالبية العظمى من مدارس العراق والشام ومصر على شكل حجرات صغيرة في طابق واحد أو اكثر تنتظم ضلعين أو اكثر من اضلاع المبنى وتطل على الفناء كما في المدرسة المستنصرية في بغداد (٦٣١ هـ - ١٢٣٤م) (شكل١) (٤٩)، وغيرها كثير من الامثلة وقد تكون في طبقات متعددة تشغل اركان البناء الاربعة فيما بين الايوانات الاربعة وذلك في المدارس ذات التخطيط المتعامد كما نرى في مدرسة السلطان حسن بالقاهرة (٧٥٧ هـ - ١٣٥٦م) شكل (٢) (٥٠)، وقد تكون في طباق منفصلة تمثل كتلة بنائية مستقلة تجاور المدرسة كما في مدرسة السلطان برقوق بالقاهرة وغيرها.

وكما تميزت المدارس اليمنية بروح خاصة في عمارتها تميزت أيضاً بروح خاصة في عناصرها فليس لدينا سوى أمثلة قليلة خصصت بها قاعات لايواء الطلبة فقط دون القيام بوظيفة أخرى، وهي تختلف عن المساكن في المدارس الاسلامية في العراق والشام ومصر وغيرها.

ونرى المدرسة العامرية في رداع أن الطابق الأرضي قد خصص لاسكان الطلبة والحقت به الحمامات والمطاهر (شكل ٤) وهي ليست حجرات منفصلة لكل طالب كما هو شائع في الاقطار الاخرى ولكنها قاعات متسعة تفصل بينها الجدران السميكة والدعامات الحاملة للمبنى العلوي وهي تشغل الجزء الداخلي في حين فتحت في ثلاثة من الاضلاع الخارجية جوانيت تفتح على الشارع كانت تستغل لصالح المدرسة وربما كانت مساكن الطلبة بمدرسة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب برداع بنفس الشكل إذ أنها تشغل الطابق الارضي من المدرسة ولكن لم تتح لنا الفرصة لمشاهدتها.

وفي معظم المدارس اليمنية نرى القاعات المخصصة للدرس قد استعملت أيضاً لارتفاق الطلاب واقامتهم ليلاً ونهاراً وقد نص على ذلك صراحة في كتب الوقف، إذ ورد بكتاب وقف المدرسة الاشرفية الكبرى بتعز ما نصه «والمقصورة من الجمنون الشرقي لقراء الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وسماعه واسماعه وما ينشر من العلوم الشريفة المقربة إلى الله تعالى وللمشتغلين بذلك من المرتبين وسواهم من أمثالهم الارتفاق بالمقصورة المذكورة ليلاً ونهاراً بالنوم ونحوه»(٥١)، وكذلك الامر بالنسبة للخانقاه التي تضمها المدرسة وهي قاعة تتكون من إيوانين صغيرين بينهما دور قاعة تعلوها قبة حيث جاء بالوثيقة «والخانقاه المذكورة دار حنيف للصادر والوارد من الفقراء والمساكين وابناء السبيل وطائفة الصوفية المتوسمين بالخير المنقطعين إلى الله المتزيين بزي أهل

الطرق»(٥٢)، كما ورد أيضاً بكتاب وقف المدرسة الظاهرية بتعز مانصه «والمجلس الشرقي المستطيل شاماً ويمنا لقراء الحديث النبوي وسماعه واستماعه وما تيسر من العلوم الشريفة المقربة إلى الله تعالى وللمشتغلين بذلك من المرتبين وسواهم من أشالهم الارتفاق بالمجلس المذكور ليلاً ونهاراً بالنوم ونحوه، والمجلس الغربي المستطيل شاما ويمنا لقراء العلم الشريف الفقهي فروعاً واصولا على مذهب الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي وللمشتغلين بذلك من المرتبين وسواهم من أمثالهم الارتفاق بالمجلس المذكور ليلاً ونهاراً بالنوم ونحوه»(٥٣)، أما في المدارس الصغرى والمكونة من ايوانين أو رواقين متقابلين فانه غالباً ما كان يستخدم الرواق أو الايوان المقابل لبيت الصلاة للدرس وأيضاً للارتفاق والنوم وما زلنا نرى ذلك في العديد من مدارس زبيد التي ظلت عامرة حتى اليوم، وربما يؤكد ذلك تلك الدخلات في الجدار الجنوبي للرواق المقابل لبيت الصلاة في المدرسة المنصورية العليا في زبيد والتي استخدمت كصوانات جدارية لحفظ حاجيات الطلبة وما زالت الأرفف بها حتى اليوم.

والعنصر الرابع: في المكونات المعمارية للمدارس اليمنية هو قبر المنشىء الذي يقام عليه ضريح أو قد تضم المدرسة جبانة للمنشىء واسرته واتباعه وقد تستخدم القاعات علو هذه المقابر لاغراض أخرى كجلوس القراء او الدارسين أو مخازن، فقد ورد بكتاب وقف المدرسة الظاهرية ضمن الوثيقة الغسانية عند حديثه عن المجلس الشرقي (قاعة الدرس الشرقية) المخصصة لتدريس الحديث واقامة طلبة الحديث وعن المجلس الغربي المستطيل (قاعة الدرس الغربية) والمخصصة لتدريس الفقه على المذهب الشافعي واقامة طلبته مانصه «وسفل هذا المجلس المذكور الغربي وسفل المجلس الشرقي أيضاً موقوفان مدفن للموتى وظاهرهما لتشخيص علامات القبور عند الحاجة إلى ذلك» (٥٤)، كما ورد بكتاب وقف المدرسة العباسية بنجد راحة الشريف بمدينة تعز وهي أيضاً ضمن الوثيقة الغسانية بعد الحديث عن المجلسين الشرقي والغربي الحديث عن قاعة تتوسطهما بما نصه «والتربة المباركة التي هي بطن القاعة المذكورة موقوفة مدفناً للموتى والقاعة ظاهرها لتشخيص القبور عن الحاجة إلى ذلك ولعقود القراء على الترب ونحو ذلك» (٥٥)، أما المدرسة الاشرفية الكبرى بتعز فقد خصصت بها ثلاثة أماكن لدفن الموتى أولاها الساحة المحصورة بين قاعتي الدرس الشرقية والغربية (الجمنون الشرقي والمجلس الغربي) والتي اشارت اليها الوثيقة بلفظ «القاعة المذكورة» أما الموقعان الأخران للدفن فهما القاعتان اللتان تكتنفان المدخل الجنوبي للمدرسة من شرقه وغربه (المجلسان). وقد ورد بكتاب الوقف ما نصه «والمجلسان المذكوران بازاء الباب اليماني» (الجنوبي) موقوفان للبسط والفرش والحصر وما يعود نفقه على مهمات المدرسة المذكورة وسفلى باقي المجلسين الشرقي والغربي موقوف مدفناً للموتى وظاهرها لتشخيص علامة القبور عند الحاجة إلى ذلك ولعقود القراء لقراءة القرآن على الترب المقدسة وباقي القاعة المذكورة موقوف مدفناً للموتى»(٥٧).

هذا وقد أشارت المصادر التاريخية إلى العديد من المدارس التي قبر بها منشئوها أو التي ربما كان الهدف الأول من انشائها ان تشتمل على مقبرة تضم رفات السلطان أو احد أقاربه

الاعـزاء، ومن المـدارس التي ضمت مقابـر أو اضرحـة المدرسـة السيفيـة بتعـز والتي أنشأهـا السلطـان المعـز اسـاعيـل بن طغتكين بن ايوب لينقـل اليهـا رفـات والـده الـذي كان قد توفي بمنصـورة جنوه، والمدرسة المجيرية التي دفن بها منشؤهـا مجير الـدين كافـور التقـوي أحد اتباع طغتكـين بن ايـوب، والمـدرسة الاتابكية جنوب غرب مدينـة تعـز ودفن بها السلطـان المنصور نور الـدين عمر بن رسـول ومـدرسـة الامـير اسد الدين محمـد بن الامـير بدر الدين بن الحسن بن رسول في قريـة الخبـالي من عزلـة وارف من أعـمال ذي جبـلة ودفـن بها عام (٦٧٧هـ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩م)، كما دفنت الحـرة مريم زوج السلطان المظفـر يوسف بن عمر بن رسول بمدرستها بذي عقيب شمال غرب جبلة، ودفـن السلطـان المؤيد بالمـدرسة المظفرية في حي المحاريب بتعز، ودفن بالمـدرسـة الشرفية بجبلة منشئتها الدار النجمي لبـنت على بن رسـول، كما دفـن علي بن يحيى العنسي في مدرستـه بقـرية المكنة بعد أن مات في سجـن المـلك المظفـر الـرسـولي عام (٦٨١ هـ -١٢٨٢م)، وقد انشأ الوزير العثماني حسن باشا مدرسة ليدفن بها مملوكه بكير بمدينة صنعاء عام ١٠٠٥م واطلق عليها اسمه تخليداً لذكراه.

ومن المـلاحـظ انـه لم يحدد موقع ثابت من المـدرسـة لاقـامـة هذه الاضرحة أوللجبانة فهي تختلف من مدرسة إلى أخرى طبقاً لتخطيطها.

أمـا العنصـر الخـامس: من عنـاصـر عمارة المـدرسـة فهـو الكتّـاب أو (المعـلامة) وربما كان الكتّـاب يشكـل جزءاً وظيفيـاً مما كانت تؤديه المـدارس اكثـر من كونه عنصراً معمارياً يشارك في التكوين العام للمدرسة فهو بطبيعته لايحتاج الى مكـان متسـع له شروط خاصـة، فقـد كان عدد الطلبـة في هذه الكتـاتيب (المعـلامات) قليلاً لا يزيد على عشرة أطفال من الايتام وكثيراً ما كان يشغـل الإيـوانـين الصغـير ين بدركاة المدخل او أحد المداخل إذا كان للمدرسة اكثر من مدخل.

التخطيطات العامة للمدارس اليمنية:

بعد استعراضنا للعناصر الرئيسية المشاركة في التكوين المعماري للمدارس اليمنية نحاول أن نوجـد تقسيماً يشمل المدارس اليمية في خطوطها وتكـويناتها المعمارية الرئيسية مع الاعتبار لبعض الاختـلافات الفرعية بين كل مدرسة وأخرى من نفس النوع.

وهـي محاولـة لايجـاد تقسيم نوعي على أساس وحدة الخطوط الرئيسية لكل مجموعة من المدارس.

وبـدايـة يمكن القول إن المدارس اليمنية تنقسم إلى نوعـين رئيسين هما المدارس الكبرى والمـدارس الصغـرى، وفي كل من النـوعـين اختـلافـات وتفصيـلات سنحـاول أن نورد من الامثلة لكل نوع منها ما يوضح تلك التخطيطات وما بينها من اختلاف.

وأول المـدارس التي تنتمـي إلـى طراز المدارس الكبرى في اليمن هي المدرسة الاشرفية بتعز والتي أنشأها السلطان الاشرف اسماعيل بن الافضـل ابن المجـاهـد الرسـولي وافتتحها عام (٨٠١ هـ - ١٣٩٩م) (شـكـل ٣) وهـي اكثـر المـدارس اليمنيـة تفـرداً في تخطيطهـا وغنى بعناصـرهـا المعماريـة والزخرفية ولا غرو أن تكون من أول الآثـار التي نالت رعـاية الدولة بالترميم والحفاظ عليها، اللوحات: (٢، ٣، ٤، ٥).

وتتكـون المـدرسـة الاشرفية في تخطيطها العـام من بيت الصـلاة الـذي تعلو فيـه بلاطة المحـراب قبـة كبيرة يحف بها جناحان من الشرق والغـرب يعلو كل جنـاح أربـع قبـاب صغيرة، على امتـدادهـا جنوبياً قاعتان للدرس بينهما فناء

للدفن ثم خانقاه من قاعة ذات إيوانين تتوسطها دور قاعة ويحيط بهذه الكتلة البنائية ثلاثة دهاليز من جهات ثلاث، هذا بالاضافة إلى الملحقات من برك وحمامات ومطاهر، وهو تخطيط فريد ليس له ما يماثله من المدارس اليمنية القائمة.

أما النموذج الثاني للمدارس الكبرى في اليمن فهو: بيت الصلاة الذي تغطيه القباب ويتقدمه فناء (صرح) مكشوف تحيط به أربعة أروقة وقد يكتنف بيت الصلاة دهليزان أو ثلاثة وتشتمل بعض الامثلة على قاعات للدرس تختلف مواقعها، وينتظم ذلك النموذج عدداً من المدارس بينها بعض الاختلاف واشهر نماذجه وان لم يكن اقدمها تاريخاً المدرسة العامرية التي شيدها السلطان عامر بن عبد الوهاب في رداع عام (٨٩٤ هـ - ١٤٨٩م) (شكل ٤، ٥) وهي تختلف عن بقية النماذج المشابهة لتخطيطها في عدة نقاط هي:

اللوحات (٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١).

أولاً: وجود دهليز في الناحية الشمالية يمتد خلف جدار القبلة بالاضافة إلى الدهليزين الشرقي والغربي اللذين يكتنفان بيت الصلاة.

ثانياً: اشتمالها على طابق ارضي استخدم حوانيت وسكناً للطلبة.

ثالثاً: تتميز بوجود قاعة ومقصورة تعلو المدخل والدركاه يمكن اعتبارها طابقاً ثالثاً.

وتشبهها المدرسة المنصورية في جبن والتي اقامها السلطان عامر بن عبد الوهاب عام (٨٨٧هـ - ١٤٨٢م) وهي أسبق منها في تاريخ الانشاء ولكنها في حالة سيئة.

وتنتمي إلى نفس التخطيط المدرسة المعتبية في تعز (شكل ٦) وهي أسبق تاريخاً من العامرية، ولكنها تختلف عنها في موضع قاعات الدرس، فالقاعة الغربية في نفس الموقع تمتد بامتداد الرواق الغربي، أما القاعة الشرقية فقد حل محلها البرك والمطاهر وربما استعيضت بالقاعة التي تقع في الطرف الشرقي للضلع الجنوبي، والى نفس المجموعة أيضاً تستطيع أن تضم المدرسة السكندرية في زبيد (شكل ٧)، وهي ترجع إلى الفتح العثماني الأول وقد أنشأها الوالي العثماني اسكندر موز وهي تختلف في نقطتين:

أولاً: بيت الصلاة تغطية قبة كبرى فوق بلاطة المحراب ويغطي الجناحين اللذين يكتنفانه قبتان (زالت قبتا الجناح الغربي واستبدلتا بسقف مسطح).

ثانياً: لا يوجد بالمدرسة قاعتا الدرس اللتين تحفان بالرواقين الشرقي والغربي كما في العامرية والمعتبية.

وربما كانت المدرسة الظاهرية بتعز التي أنشأها الملك الظاهر يحيى ابن الملك الاشرف اسماعيل المتوفى عام (٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ م) تنتمي إلى هذه المجموعة وذلك بناء على الوصف الوثائقي لها [٥٨].

والى هذا النموذج من التخطيط تنتمي ايضاً مدرستان هما المدرسة الاسدية في إب والتي انشأها الامير اسد الدين محمد بن الامير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول المتوفى عام (٦٧٧هـ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩م)، ومدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب المتوفى عام (٨٥٠ هـ - ١٤٤٦م) وهما تختلفان في أن بيت الصلاة تغطيه قبة واحدة كبرى، ولا نرى في كل منهما قاعتي الدرس وتشبهها المدرسة البكيرية في صنعاء لوحة (١٣) وتختلف في أنه يفتح على الفناء رواق واحد فقط ناحية بيت الصلاة تغطيه قباب (شكل ٨).

النوع الثاني ـ المدارس الصغرى:

وهي أصغر مساحة وابسط تخطيطاً من النماذج السابقة وما زالت مدينة زبيد تحفل بعديد من هذه المدارس الصغرى.

ويتكون غالبية هذه المدارس من بيت الصلاة (البنية) يقابلها رواق أو إيوان يفصل بينهما فناء وتشتمل أيضاً على (برك) حوض كبير لتخزين المياه وحمامات ومطاهر ويكثير منها مآذن قصيرة ذات شكل متميز إذ تتكون من بدن مربع يضيق من أعلى وتتوجه قبة صغيرة تحيط بها شرفات في الأركان وتفتح به طاقات معقودة في كل ضلع.

ومن الامثلة القائمة لهذا التخطيط المدرسة المنصورية العليا في زبيد (شكل ٩) لوحة (١٤) حيث يقابل بيت الصلاة رواق وكل منهما ذو سقف مسطح، والمدرسة المنصورية السفلى لوحة (١٥) وتتكون من رواقين ايضاً يفصل بينهما فناء ويغطي كل منهما قبتان والمدرستان من انشاء السلطان المنصور عمر بن رسول المتوفى عام (٦٤٧هـ ـ ١٢٤٩م) وإلى نفس التخطيط تنتسب المدرسة الدعاسية التي أنشأها الفقيه أبو بكر محمد بن عمر بن دعاس بزبيد في أيام السلطان المظفر والمدرسة الفرحانية والمدرسة الجبرتية (شكل ١٠) لوحات (١٦، ١٧، ١٨) ويغطي بيت الصلاة بها ثلاثة أقباء عمودية على جدار القبلة.

أما المدرسة الوهابية في زبيد وهي من انشاء السلطان عامر بن عبد الوهاب فهي تتكون من بيت الصلاة تغطيه قبة ويقابله رواق ذو سقف مسطح. (شكل ١١).

وإلى نفس التخطيط تنتمي المدرسة النظارية (المشنه) في إب وقد أنشأها محمد ابن محمد النظاري المتوفى عام (٩٢١هـ ـ ١٥١٥م) والمدرسة الكمالية في زبيد والتي أنشأها الوالي العثماني كمال بك.

كما وجد بين مدارس زبيد الصغرى تخطيط آخر ابسط تكويناً فهويتكون من بيت الصلاة (البنية) فقط يتقدمه فناء مكشوف (صرح) ولا يقابله رواق أو إيوان مع وجود الملحقات كالمطاهر والحمامات والبرك ومنها المدرسة الياقوتية (شكل ١٢) التي انشأتها زوج الملك الظاهر يحيى بن الملك الاشرف الرسولي المتوفاة بعد سنة (٨٤٠ هـ ـ ١٤٣٦ ـ ١٤٣٧) وبيت الصلاة (بنية) من باتكتين تغطيه سقف مسطح يرتكز على أربعة أعمدة ويتقدمه فناء، تشغل المطاهر والبرك والركن الجنوبي الشرقي منه.

ومما تقدم ربما نستطيع القول إنه كان لزبيد كعاصمة ومركز من المراكز العلمية الهامة طرازها الخاص في المدارس، إذ أن عدداً كبيراً من المدارس التي أطلقنا عليها اسم المدارس الصغرى تضمها هذه المدينة فلا غرو أن تكون صاحبة هذا الطراز ومنها انتقل إلى المدن اليمنية الاخرى.

ونورد فيما يلي وصفاً تفصيلياً لمجموعة من المدارس اليمنية كنماذج توضح التخطيطات السابق الحديث عنها والتي تمثل المدارس بنوعيها الكبرى والصغرى.

الوصف المعماري

المدرسة الاشرفية الكبرى بتعز

شكل ٣ لوحة.

هذه المدرسة عامرة حتى اليوم، أنشأها السلطان الملك الاشرف اسماعيل ابن الملك الافضل بن الملك المجاهد الرسولي سنة ٨٠٠ هـ

وعين بها قيِّما وإماما ومدرسين وطلاباً وأيتاماً يتعلمون القرآن الحديث وأوقف عليها أوقافاً جليلة.

وتشتمل المدرسة على منشآت عدة هي : المجسد والمدرسة والمدافن والخانقاه ومكتب لتعليم الايتام.

المسجد (بيت الصلاة) :

يتكون من مستطيل طول جدار القبلة فيه حوالي ٢٥ م وعمقه ٧,٥٠ م، تعلو بلاطة المحراب قبة كبيرة ويحف بها من الشرق والغرب جناحان سقف كل منهما أربع قباب صغيرة، أو ترتكز القباب جميعاً على أربع دعامات تحمل اثني عشر عقداً من ذات الاربعة مراكز وتقوم القباب على حَنْيات ركنية.

يفتح في الجناح الشرقي بابان على الدهليز الشرقي وباب في الجدار الجنوبي إلى قاعة الدرس الشرقية التي تطلق عليها الوثيقة اسم (جنون) كما يفتح باب آخر في منتصف الجدار الجنوبي لبيت الصلاة يؤدي إلى ساحة الدفن، أما الجناح الغربي لبيت الصلاة فيفتح به بابان في الجدار الغربي وباب ثالث في الجدار الجنوبي يؤدي إلى قاعة الدرس الغربية التي تطلق عليها الوثيقة (المجلس الغربي).

ومن الجدير بالذكر أن بيت الصلاة غني بالزخارف المحفورة على الجِصّ والملونة على وجوه العقود بواطنها وكوشاتها ومناطق انتقال القبال حنايا ركنية في ثلاث حطات من المقرنص في الصف العلوي ثلاث طاقات تليها اثنتان ثم واحدة وتزينها الزخارف المحفورة وتمتلىء داخل القباب باشرطة الكتابة القرآنية والزخارف النباتية والهندسية المنفّذة بالألوان.

قاعة الدفن (ساحة المدفن) :

جنوب بيت الصلاة يفتح عليها بالباب الاوسط في مواجهة المحراب وهي مربعة المساحة تقريباً يبلغ طول ضلعها من الشمال إلى الجنوب ١٠,٩٧ م ومن الشرق إلى الغرب ١٠ م وقد كانت ساحة مكشوفة ثم أقيمت بها اربعة اضرحة يعلو كل منها قبة شغلتها ولم تترك سوى ممرات صغيرة أزيل الضريح والقبة التي كانت تشغل الركن الجنوبي الغربي. ويكتنف هذه التربة (القاعة) وعلى امتدادها من الناحيتين الشرقية والغربية قاعتا الدرس.

قاعة الدرس الشرقية :

مستطيلة امتدادها ١٠,٩٧ وعمقها . . ,٦م (تسميها الوثيقة جنون ربما تحريفاً لكلمة جالون خلطاً بينه وبين العقد المدبب الذي يغطي هذه القاعة) يدخل إليها من ثلاثة أبواب أحدها من بيت الصلاة والثاني في الجدار الغربي يفتح على قاعة الدفن أما الثالث فكان يؤدي إلى الدهليز الشرقي وهو الآن مسدود. وقد استعملت القاعة في وقت لاحق للدفن إذ يوجد في ركنها الشمالي الغربي ثلاثة تراكيب قبور.

قاعة الدرس الغربية (المجلس الغربي) :

تقع إلى الغرب من قاعة الدفن في مواجهة القاعة الشرقية وهي تقاربها في المساحة ويغطيها أيضاً قبو مدبب ويؤدي إلى هذه القاعة مدخل في منتصف الجدار الغربي إلى دهليز المدرسة الغربي ومدخل في الجدار الجنوبي لبيت الصلاة.

الخانقاه :

تقع إلى الجنوب من ساحة الدفن وهي قاعة ذات ايوانين متقابلين شرقي وغربي بينهما

دور قاعة بسقف كل من الايوانين قبو مدبب وتعلو الدور قاعة قبة وكانت تتوسطها فسقية. واتساع فتحة الايوان الشرقي ٢,٩٣م وعمقه ٣,٣٨م أما الغربي فهو أقل عمقاً ٢,٤٤ م والدور قاعة مربعة طول ضلعها حوالي ٣,٠٠م ويدخل إلى الخانقاه من باب في منتصف جدارها الجنوبي يفتح على دهليز المدرسة الجنوبي.

مئذنتا المدرسة:

لهذه المدرسة مئذنتا شرق وغرب الخانقاه وهما متشابهتان لكل منها قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن بكل ضلع من اضلاعه حنية مقعرة وتدور به شرفة على مقرنصات يعلوه بدن آخر مثمن أقل طولاً تدور به شرفة على مقرنصات أيضاً. ثم بدن ثالث قصير تتوجه قبة صغيرة.

الدهاليز:

تحيط بالكتلة البنائية الوسطى للمدرسة ثلاثة دهاليز متصلة من جهاتها الشرقية والغربية والجنوبية ويفتح في منتصف كل منها مدخل من مداخل المدرسة. فالدهليز الغربي يمتد بطول المدرسة من طرفها الشمالي حتى الطرف الجنوبي ويعلو طرفه الشمالي قبة وينتهي في طرفه الجنوبي إلى المجاز الجنوبي حيث يشغل هذا الركن مخزن تعلوه قبة ايضاً ويطل هذا المجاز على الشارع بسبع فتحات معقودة كبيرة منها واحدة في الجدار الشمالي واربعة شمال المدخل الغربي وعقدان جنوبه وهذه العقود مقامة على دعامات مربعة وهي في مجموعها تشكل واجهة المدرسة الغربية أما المجاز الشرقي فهو يشبه الغربي حيث يتوسطه المدخل الشرقي للمدرسة ويتوج طرفه الشمالي قبة، ويطل على الشارع بخمسة عقود أحدها في الواجهة الشمالية والباقي في الضلع الشرقي ثلاثة منها شمال المدخل وعقد واحد جنوب، ويوجد بهذا المجاز فسقية صغيرة مستطيلة، ويؤدي في طرفه الجنوبي إلى البرك والمطاهر والحمامات (أزيلت البركة وحلت محلها رجية مسطحة).

ويلتقي هذا المجاز في طرفه الجنوبي بالمجاز الجنوبي حيث يوجد مخزن تغطيه قبة. والمجاز الجنوبي للمدرسة يمتد بطول الضلع الجنوبي ويفتح في منتصفه المدخل الجنوبي للمدرسة وهو المدخل الرئيسي وليس لهذا المجاز فتحات معقودة كسابقيه ولكن تفتح عليه قاعتان مستطيلتان على امتداد المدخل بالاضافة إلى المخزنية السابقة الاشارة اليها.

المدخل الجنوبي:

هو المدخل الرئيسي للمدرسة وهو ذو حجر بارز من الحجر المشهر بالاخضر والاحمر وامتداده من الشرق إلى الغرب ٥,٢٥م وبروزه من الواجهة ٣,٢٨ ويتوج فتحته عقد مدبب يعلوه عقد زخرفي مفصص ويكتنف جانبي كتلة المدخل عمودان مختلفان في كل ناحية بطول وجه المدخل، على جانبي الحجر مكسلتان من الحجر يعلو كل منها نافذة معقودة. يغطي الحجر قبة حجرية ضحلة ويتوسط صدر المدخل لوحة من الحجر عليها نص تأسيس، يفتح باب الدخول الذي يعلوه عتب من الحجر مسجل عليه تاريخ افتتاح المدرسة عام ٨٠١هـ - ١٣٩٧ - ٩٨م).

يفتح الباب على دركاه صغيرة مربعة تقريباً تغطيها قبة ضحلة من الآجر يحف بها من الشرق والغرب إيوانان صغيران عمق كل منهما ٢,٤٠. استخدما (لعلامة) كتاب لجلوس الأيتام وتعلم القرآن الكريم.

المدخل الشرقي والمدخل الغربي:

أقل أهمية من الجنوبي وهما متشابهان وكل منهما ذو حجر بارز يتوج فتحته عقد مفصص واتساع كتلة حجر المدخل ٢,٧٤ وعمقه ٣,٠٠م على جانبي كل منهما مكسلتان وتغطي كل منهما قبة صغيرة من الأجر غير متقنة البناء. يتقدم كل منهما عدد من الدرج نظراً لأنّ المدرسة بنيت على تل صغير غير مستوفهي في ضلعها الجهة الجنوبية مع مستوى الشارع وتزداد ارتفاعاً كلما اتجهنا شمالاً.

الملحقات:

البرك والحمامات والمطاهر... والبرك عادة يطلق على خزان كبير محفور مبطن جوانبه وتخزن فيه مياه الامطار ولا يكاد مسجد أو مدرسة يخلو منه وقد ردم هذا الخزان واصبح مكانه مساحة مسطحة ويحف به من الشرق والغرب والجنوب دورات المياه والمغتسلات وتغطيها قباب صغيرة ويفصل بينها وبين البرك جدار وهي تشكل جزءاً بارزاً عن المدرسة في زاويتها الجنوبية الشرقية.

المدرسة العامرية في رداع

(شكل ٤، ٥) لوحة.

من المدارس الكبرى في اليمن أنشأها السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود (بن طاهر عام ٨٩٤هـ - ١٤٨٩م) واشرف على بنائها وزيره الامير علي بن محمد البَغدادي وتقوم هيئة الاثار اليمنية الآن بجهود طيبة في سبيل ترميمها واصلاحها. ولأقدم وصفاً مفصلاً لتخطيطها وعناصرها المعمارية لابد من القول انها تميزت لتكون مثالاً لمجموعة من المدارس التي تنتمي إلى نفس التخطيط، ولما تميزت به من ميزات اضافية تفردت بها سوف نشير اليها.

والتخطيط العام للمدرسة: هو بيت الصلاة (البنية) يتقدمها فناء (صرح) تحطيط به أربعة أروقة وقاعات للدرس.

والمثال السابق لهذا التخطيط من المدارس القائمة هو المدرسة المعتبية في تعز (شكل ٦) والمدرسة المنصورة في جبن التي أنشأها عامر بن عبد الوهاب عام (٨٨٧هـ - ١٤٨٢م) وقد تلاها مع قليل من التحوير مدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع والمدرسة السكندرية في زبيد.

وتميزت المدرسة العامرية بوجود طابق ارضي خصصت به أماكن لايواء طلبة المدرسة (شكل ٥) بالاضافة إلى وجود مقصورة وقاعة تعلو المدخل في الطابق الثالث من المرجح أنها كانت مخصصة للسلطان ليقضي بها بعض أوقاته.

الوصف المعماري للمدرسة:

نبدأ بالطابق الثاني وهو المشتمل على أهم عناصر التكوين المعماري لها ويتكون من بيت الصلاة (البنية) وهو مستطيل عمقه ٨,٠٠ م وطوله ١٢,٤٠ م وتغطيه ست قباب قطاعها عقد منكسر تقوم على عقود مدببة يحملها عمودان، وتغطي الجدران وأوجه العقود وبواطنها الزخارف المحفورة في الجص والملونة ذات العناصر النباتية والهندسية بالاضافة إلى الكتابات.

وكان يدور بالجدران أشرطة من الكتابة الملونة تضم العديد من الالقاب الفخرية للسلطان عامر بن عبد الوهاب وقد زال معظمها، كما يزين بواطن القباب زخارف نباتية وهندسية محصورة داخل جامات ودوائر ويملأ أقطاب القباب الكتابات القرآنية بخط الثُلث،

كما نلحظ كثيراً من الزخارف الملونة بالأحمر والأبيض والأسود والأخضر في مساحات هندسية تشبه الزخارف المعتادة على الكليم، وهي في مجملها تذكرنا بتلك التي تزين بيت الصلاة في المدرسة المعتبية.

المحراب:

يتوسط جدار القبلة ومن الواضح أنه كان على درجة عالية من الغنى بزخارفه الجصية وأشرطة الكتابة التي طمست معالمها تحت طبقات كثيفة من الدهانات، يفتح بيت الصلاة بثلاثة أبواب على الرواق الشمالي من الأروقة المحيطة بالفناء.

الدهاليز المحيطة ببيت الصلاة:

يحيط ببيت الصلاة ثلاثة دهاليز من الجهات الشرقية والغربية والشمالية ولانجد في الأمثلة السابقة سوى دهليزين فقط يكتنفان بيت الصلاة من الشرق والغرب ويغطي الطرف الجنوبي للدهليز الشرقي قبة مفصصة وهويطل على الشارع بأربعة عقود وسقفه مسطح، وينتهي طرفه الشمالي بحجرة صغيرة تغطيها قبة مفصصة أيضاً ويقع الدهليز الشمالي خلف جدار القبلة ويطل على الشارع بأربعة عقود وفي منتصف هذا الدهليز توجد فسقية مثمنة غائرة، كما يمتد على الجدار شريط من الكتابة القرآنية الجصية البارزة وينتهي الطرف الغربي لهذا الدهليز بحجرة صغيرة تغطيها قبة مضلعة عند التقائه بالطرف الشمالي للدهليز الغربي ويطل على الشارع أيضاً بأربعة عقود وينتهي طرفه الجنوبي بقبة مضلعة .

الفناء والاروقة:

الفناء (الصرح) مستطيل من الشمال إلى الجنوب حوالي ٩,٣٠ م وعرضه من الشرق إلى الغرب حوالي ٨,٤٥ م وتحيط به أربعة أروقة كل منها باثكة واحدة سقفها مسطح ويفتح كل رواق على الفناء بثلاثة عقود مدببة ترتكز على دعامات في الأركان وأعمدة رخامية رشيقة في الوسط ويمتد بطول الرواق الشرقي قاعة للدرس، طولها ١١,٥ م تقريباً وعرضها ٢,٣٠ م وتفتح على الرواق بأربعة أبواب كما تفتح بباب واحد على الدهليز الشرقي، ويمتد على طول الرواق الغربي قاعة للدرس تشبه القاعة الشرقية ولها امتداد آخر بعرض الساحة الخارجية .

يفتح في منتصف الجدار الجنوبي باب الدخول وتتقدمه ساحة مستطيلة مكشوفة في متصفها سلم ذو طرفين كل منها اثنتا عشرة درجة تتوسطها بسطة وهذا الدرج يهبط إلى الطابق الأرضي . تنتهي هذه الساحة في طرفها الشرقي بكتلة المدخل الرئيسي للمدرسة وتعلوها المقصورة في الطابق الثالث.

المدخل:

يقع مدخل المدرسة في نهاية الطرف الجنوبي للواجهة الشرقية وهوذو حجر بارز عن الواجهة الشرقية بحوالي ٣,٥٠ م وتمتد كتلة الحجر ٤,٨٠ م وهو في مستوى الطابق الثاني ولذا يصعد إليه بتسع عشرة درجة من الشارع (مع الاخذ في الاعتبار ارتفاع مستوى أرض الشارع بحوالي متر).

يفتح حجر المدخل بعقد مدبب (يبطنه عقد نصف دائري أقيم لتصدع العقد الاصلي) والحجر مربع تقريباً يفتح بصدره باب الدخول الذي يقود إلى دركاه مستطيلة ويعلوكتلة المدخل والدركاه مقصورة كانت مخصصة للسلطان يتوصل إليها من سلم يصعد إلى سطح المدرسة يقع في الطرف الغربي للرواق الجنوبي، وتشكل هذه المقصورة طابقاً ثالثاً لهذه المدرسة

وهي من الظواهر التي تتفرد بها.

الطابق الارضي : (شكل ٥):

تميزت العامرية بوجود هذا الطابق الذي استخدم لسكنى الطلبة وربما شابهها في ذلك مدرسة شقيقة الشيخ عبد الملك برداع والتي لم نتمكن من رؤية طابقها السفلي لتعذر فتحه ورغم وجود طابق سفلي تحت بيت الصلاة فقط بالمدرسة الاشرفية بتعز وذلك لانشائها فوق تل غير مستو إلاّ أنه استخدم مخازن وقد نصت الوثيقة صراحة على اقامة الطلبة في قاعات الدرس بها.

وقد استخدمت الواجهات الثلاث الشمالية والشرقية والغربية لتفتح بها حوانيت على الشارع استغلت لصالح المدرسة، أما الداخل فقط استخدم على شكل قاعات تفصل بينها الجدران السميكة والاكتاف الضخمة الحاملة لهذا البنية وقد أقيم جدار في المنتصف حوله إلى قسمين ويتوسطه محراب ومن الواضح أن هذا الجدار إضافة متأخرة، يفتح بالجدار الغربي بابين وبالجدار الشرقي باب واحد وبالجدار الجنوبي باب وجميعها تؤدي إلى هذه القاعات ويشغل الركن الجنوبي الغربي دورة مياه تشتمل على حمامات ومطاهر خاص بالطلبة تتصل بها مجاري كانت تنتقل إليها الماء. وهذه القاعات السفلية قليلة الإضاءة مما يستبعد معه فكرة احتمال أن تكون ضمنها قاعات استخدمت للدرس.

وتشمل المدرسة على حوض كبير لخزن مياه الأمطار (برك) جنوب المدرسة يجاوره من الناحية الغربية حمامات ومطاهر وليس لهذه المدرسة مئذنة.

المدرسة البكيرية (الوزيرية) بصنعاء

(شكل ٨) لوحة.

تنتمي هذه المدرسة إلى مجموعة المدارس الكبرى وقد أنشأها الوزير العثماني حسن باشا سنة (١٠٠٥ هـ - ١٥٩٦م) تخليداً لذكرى مملوكه بكير آغا الذي لقي حتفه على إثر سقوطه من فوق فرسه. وقد أقيمت على موقع مقبرة قديمة رفعت منها عظام الموتى، وأقيم إلى جوار القبة حمام وبيوت وقفت على مصالح المدرسة.

وتختلف هذه المدرسة في تخطيطها إلى حد ما عن مجموعة المدارس السابق الحديث عنها فتخطيطها : بيت صلاة (بنية) تغطيه قبة كبرى يتقدمه رواق واحد يفتح على فناء (صرح) وربما كان مرجع اختلافها هو تأثرها إلى حد ما بالاساليب المعمارية العثمانية من حيث التغطية. بقبة كبيرة تطفو فوق المبنى لتحقيق وحدة المساحة.

بيت الصلاة (البنية) :

قاعة مربعة طول ضلعها ١٧,٢٥م تعلوها قبة ضخمة اقيمت على حَنْيات ركنية متسعة كما هو شائع في القباب التركية، قطاعها نصف كروي ترتكز على قبة مثمنة من الخارج واسطوانية من الداخل تفتح بها ست عشرة نافذة والقبة مغطاة بالجص من الداخل والخارج ويتوسط الحنايا الركنية مجموعة من المقرنصات الزخرفية في سبع حطات مزينة بالالوان والتذهيب.

يفتح بالجدار الغربي نافذتان وبجدار القبلة (الشمالي) نافذتان وبالجدار الجنوبي أربع نوافذ وبالجدار الشرقي نافذتان وجميع النوافذ متساوية اتساع فتحتها ١,٢٥م وارتفاعها

... ۲,۰م ويتوج كل منها عقد مصمت يؤطره إفريز جصي من الزخارف البنائية والهندسية والكتابية المحفورة ويغشي النوافذ مصبغات جديدة.

الرواق الداخلي:

يقع في النصف الجنوبي من الجدار الشرقي رواق عمقه ٥,٨٥ م ويفتح على بيت الصلاة بعقدين ذوي اربعة مراكز يرتكزان على دعامة مثمنة وينقسم الرواق إلى قسمين بواسطة عقد مستعرض يغطي كل منهما قبة مقامة على مثلثات كروية.

المحراب:

حنية مجوفة تتوجها طاقية قمتها على شكل نصف قبة صغيرة مشرخة اسفلها خمس حطات من المقرنصات تزداد اتساعاً وعمقاً كلما اتجهت إلى اسفل وتنتهي هذه المقرنصات بأرجل على شكل أعمدة صغيرة تحصر بينها عقود ويكتنف المحراب عمودان من الرخام وتزين باطنه ابيات من الشعر تؤرخ بحساب الجُمَّل للاصلاح الذي قام به السلطان عبد الحميد عام (١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م)، كما رسمت في النصف السفلي منه ستارة ذات طيات طبيعية باللون الاحمر.

دكة المبلغ:

تقع بين البابين الشرقي والغربي اللذين يؤديان إلى بيت الصلاة وهي ملاصقة للجدار الجنوبي وترتكز على ثلاثة أعمدة رخامية ويصعد اليها بسلم من داخل الشباك يقع في سمك الجدار ويحيط بها من أسفل درابزين من أعمدة خشبية (برامق) مخروطة ومن أعلى سياج من الجص بأشكال هندسية.

وللمدرسة منبر رخامي على الطراز التركي تزين جانبه الزخارف الهندسية والبنائية المفرغة، وتعلوه قمة مخروطية تشبه اطراف المآذن التركية.

يفتح بيت الصلاة على الرواق الذي يتقدمه ببابين معقودين، يعلو الباب الشرقي لوح من الرخام عليه طغراء السلطان عبد الحميد، كما يعلو الباب الغربي لوح من الرخام عليه أبيات من الشعر تؤرخ لهذا الترميم بحساب الجُمَّل عام ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م .. وهو الترميم الذي زينت فيه القبة بتلك الزخارف التي تنتمي إلى طراز الباروك كما أضيف المنبر الرخامي.

الرواق الذي يتقدم المحراب:

اتساع هذا الرواق ١٩,٥٠م وعمقه ٦,٥٠ م يفتح على الصحن بثلاثة عقود ذات اربعة مراكز ترتكز على عمودين من البازلت الاسفنجي لهما تاجان كأسيان، يغطي الرواق ثلاث قباب نصف كروية تغطيها من الداخل زخارف جصية من العناصر البنائية والكتابات والزخارف الهندسية.

الفناء المكشوف (الصرح):

يمتد أمام الرواق في اتجاه الجنوب طوله ٢٥,٥٠م وعرضه ١٩,٥٠م وقد فرشت أرضيته ببلاطات من أحجار البازلت الاسفنجي (الحَبَش) ويقال انه كانت تتوسطه نافورة أو ميضأة أزيلت في الترميمات الاخيرة وينتهي الفناء في الجهة الجنوبية بالمطاهر والحمامات وهي على امتداد الجدار الجنوبي وعددها اثنا عشر ولها مدخلان أحدهما في الطرف الشرقي والآخر في الطرف الغربي وتغطيها ثلاث قباب، أما الجانب الشرقي من الفناء فيمتد بطوله دهليز يتصل طرفه الجنوبي بالحمامات وينتهي طرفه الشمالي إلى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة وفي

منتصفه باب المئذنة.

مدخل المدرسة:

يتوسط الجدار الغربي وهو حجر بارز ويتكون من كتلة مربعة ترتكز على أربعة اكتاف قصيرة تحمل عقود (مخموسة) ذات أربعة مراكز تعلوها قبة ضحلة على مثلثات كروية وتحيط بالقبة من أعلى الأضلاع الأربع شرافات نباتية ثلاثية، يقطع الجدار الغربي للمدرسة كتلة القبة إلى نصفين فيبرز المدخل بنصف قبة عن الواجهة الغربية من الخارج ونصف قبة من الداخل ويفتح في الجهة الشمالية عقدان مدببان احدهما من داخل المدرسة والآخر خارجها، وقد بنيت الاكتاف من الحجر وزينت اوجه العقود بالحجر المشهر الابيض والاسود.

المئذنة:

تقع المئذنة في منتصف الضلع الشرقي للمدرسة وهي ذات قاعدة مربعة من الحجر يعلوها بدن قصير مثمن من الآجر ثم بدن آخر اكثر منه طولاً من ستة عشر ضلعاً ينتهي بشرفة (دورة) ثم بدن آخر من ستة عشر ضلعاً أقل حجماً تتوجه قبة مضلعة (خوذة) وكلها عدا القاعدة مبنية من الأجر عدا القاعدة وقد زينت بزخارف من الجص وهي على الطراز اليمني الصنعائي ولم تتأثر بالطراز التركي.

ويوجد خارج المدرسة ضريحان يلتصقان بجدارها الغربي عند طرفيه الشمالي والجنوبي يغطي كل منها قبة احدهما هو الذي دفن به بكير الذي سميت المدرسة باسمه.

ونورد فيما يلي وصفا لمثالين من المدارس الصغرى باليمن وهما المدرسة المنصورية العليا (العلوية) والمدرسة الدعاسية وكلاهما في مدينة زبيد.

المدرسة المنصورية العليا (العلوية)

شكل ٩ لوحة.

من المدارس الصغرى انشأها السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول في حوالي منتصف ق ٧هـ - ١٣م.

وهي تتكون من (بنية) بيت الصلاة يقابله رواق بينهما فناء (صرح) وفي جهة الشرق من الصرح توجد المطاهر. أما مدخل المدرسة الوحيد فيفتح في الجدار الشرقي أمام الرواق.

وبيت الصلاة مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب ١٥,٥٠ م وعمقه ٣,٩٣م ويغطيه سقف مسطح يرتكز على ثلاثة عقود ذات أربعة مراكز محمولة على ستة أكتاف ملتصقة بالجدارين الشمالي والجنوبي، ويزين حافة العقود فصوص زخرفية ويتوسط المحراب الجدار الشمالي وعلى جانبيه خزانتان، أما الجداران الشرقي والغربي لبيت الصلاة فيفتح فيهما دخلتان متقابلتان ويفتح في الجدار الجنوبي ثلاثة ابواب إلى الصرح ويتوج هذه الابواب عقود زخرفية مفصصة، أما الرواق الجنوبي فيتكون من بائكة واحدة اتساعه ١٥,٤٣م حيث يطل على الصرح بأربع دعامات تحمل ثلاثة عقود ذات أربع مراكز تفتح ناحية الشمال ويفتح عقد رابع في الضلع الشرقي، وفي الجدار الجنوبي للرواق توجد أربع دخلات تتوجها عقود وبها أرفف حيث كانت تستخدم لحفظ حاجيات الطلبة والصرح مستطيل يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ١٥,٩١م وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٧,٥٠م.

المدرسة الدعاسية

من المدارس الصغرى وتقع إلى الجنوب من جامع الاشاعر بزبيد وقد أنشأها الفقيه سراح

الدين ابوبكر بن عمر بن ابراهيم بن دعاس الفارسي . وتتكون من (بنية) بيت الصلاة يفتح بابها في الجدار الغربي ويقابله ايوان مستطيل ذو عقدين يفصل بينها فناء ممتد، وإلى الجنوب من (البنية) بيت الصلاة يوجد سبيل صغير عليه بناء مستطيل يشبه المآذن الصغيرة بتلك المدارس وإلى جواره ميضأة يفصلها جدار من ضلعين ومدخل المدرسة في الجدار الشرقي ويؤدي إلى مجاز صغير يمتد غرباً حتى الفناء.

ويغطي البنية المربعة قبة نصف كروية مقامة على حَنيات ركنية، أما الإيوان المقابل من الجهة الغربية فسقفه مسطح يفتح على الصحن بعقدين ذوي أربعة مراكز يحملها دعامة في الوسط وكتفين على جانبي فتحة الايوان.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا في عجالة المدارس اليمنية بتقسيماتها وعناصرها المعمارية واشكالها المختلفة نستطيع ان نوجز السمات الرئيسية لها فيما يلي : -

أولاً - انتشرت المدارس في اليمن بعد الفتح الايوبي.

ثانياً - كانت المدرسة اليمنية غالباً ما تخصص لتدريس مذهب واحد من المذاهب الفقهية إلى جانب علم الحديث وأحياناً علوم اللغة وان كانت قد وجدت قليل من الامثلة التي جمعت.

ثالثاً - لم يثبت وجود مدارس يمنية جمعت بين تدريس المذاهب الاربعة.

رابعاً - وجد في تخطيطات المدارس اليمنية ما يمكن أن نطلق عليه اسم المجموعة المعمارية او المؤسسة التي تشتمل على عدد من المنشآت وتؤدي عدة وظائف حيث اشتملت على مسجد للصلاة وإقامة الشعائر وقاعات للدرس والإقامة وخانقاه لإقامة الصوفية واستقبال أبناء السبيل وجبانة لدفن المنشيء وأسرته كما اشتملت على كتُاب (معلامة) وغالباً ما كان يشغل الإيوانين الصغيرين على جانبي دركاه المدخل الرئيسي.

خامساً - كان المصدر للانفاق على المدارس اليمنية هو نظام الوقف شأنها في ذلك شأن بقية المدارس في انحاء العالم الاسلامي وقد حددت كتب الوقف (بصائر الوقف) للمدارس اليمنية بالاضافة إلى وصفها المعماري وما أوقف على مصالحها من عمائر واراضي زراعية وغيرها أوجه الصرف لريع هذه الاوقاف كما حددت عدد الطلبة والتخصصات العلمية لكل مدرسة وعدد الاساتذة وبقية الوظائف ورواتبهم وطعامهم، وقد أصاب الأوقاف في اليمن ما أصاب بقية الاوقاف في العالم الاسلامي من جشع نظار الوقف وطمع الحكام في الاستيلاء على اموال الوقف وممتلكاته وغير ذلك.

سادساً - كان المسجد أو بيت الصلاة هو العنصر المعماري الرئيسي للمدارس اليمنية ولم يختلف في تخطيطه وشكله المعماري عن تخطيطات المساجد اليمنية الشائعة.

سابعاً - تميزت وحدات الاقامة في المدارس ببساطة التكوين فلم توجد الغرف المستقلة لإقامة كل طالب والتي عرفتها معظم مدارس العالم الاسلامي ولكن خُصِّصَتْ في بعض المدارس قاعاتٌ متسعة بالطابق الأرضي لاقامة الطلبة كما كانت في معظم المدارس قاعات الدرس هي ذاتها أماكن الارتفاق والاقامة وهي اما قاعات اوعلى شكل رواق اوإيوان مقابل بيت الصلاة.

ثامناً - لم تعرف المدارس اليمنية التخطيط المتعامد ذا الاربعة أواوين الذي تطور اليه نظام المدارس في مصر والشام.

تاسعــاً ـ استغلت قاعــات الـدفن في المـدارس اليمنيـة احياناً لجلوس القراء او كقاعات للدرس كما استعملت احياناً كمخازن لحفظ حاجيات المدرسة.

عاشراً ـ استطاع معمار المدارس اليمنية ان يحقق الاستغـلال الامثـل للمسـاحـات. . المتـاحـة بتوظيفها لاكثر من عمل واحد.

حادي عشـر ـ يمكننـا القول أنه على الرغم من أن فكرة المدرسة قد وفدت إلى اليمن مع مجيء الايوبيين اليها، إلا أن المعمار اليمني استطاع أن يؤلف صيغـة معـمارية جمعت كل العناصر التي تؤدي وظائف المدرسة بأسلوب يمني محلي تميز بالبساطة.

الهوامش ومراجعها

(١) صدر كتـاب المـدارس الاسـلامية في اليمن عام ١٩٨٠ من تأليف القـاضي اسماعيل الاكوع وهو دراسة تاريخية تناولت من قاموا بانشاء المدارس وتتبع من درس في كل مدرسة منها ومؤلفاتهم من خلال المصادر التاريخية وكتب التراجم ونذكر له بالحمد انه أورد بعض مقتطفات من وثائق الوقف الخاصة ببعض مدارس تعز بنصها دون تعليق أو شرح. والكتـاب من منشـورات جامعة صنعاء عام ١٩٨٠م.

(٢) ارسـل صلاح الـدين الايوبي أخاه توران شاه على رأس جيش لفتـح اليمن سنـة ٥٦٩ هـ ـ ١١٧٤م وقـد أورد المؤرخـون أسبـاباً متعددة كدوافع وراء إرسال هذه الحملة، وقد كانت الدوافع الحقيقية لها هي القضاء على دولة ابن مهدي الخارجي في زبيد والسيطرة على المدخل الجنـوبي للبحـر الأحمر تأميناً للأراضي المقـدسـة من الاعتداء عليها من الصليبيين.

ـ عبـد العـال (د. محـمد عبـد العـال أحمد) ـ «الايـوبيـون في اليمن». ص ٧٧ ـ ٨٠ ـ الهيئـة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٠.

(٣) حول هذا الموضوع راجع:

- Encyclopedia of Islam; Architecture. Vol. I Leyden, 1913.
- CRESWELL (K.C.) Muslim Architecture of Egypt, 2 vols, Clarendon Press, Oxford, 1952, 1959.

فكـري (أحمـد فكـري). مسـاجـد القاهرة ومدارسها ـ الجزء الثاني ـ العصر الايوبي دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩

(٤) تشـابي (هشام تشابي) المؤسسات التعليمية ـ فصل ضمن كتـاب المـدينة الاسلامية ص ٧٣، نشر اليونسكو باشـراف ر. ب سرجنت ـ ترجـمة أحمد محمد تعلب. اليونسكو ـ ١٩٨٣.

(٥) المرجع نفسه ـ ص ٧٦.

(٦) العبـاس (علي بن محمـد العبـاس ق ٣ هـ) سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسن ج ١ ص ١٧ تحقيق د. سهيل زكار ـ بيروت ١٩٧٢.

★ الهمـداني (حسين بن فيض الله الهمداني) والدكتور حسين سليمان الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٤٩، ٢٣٢.

وزارة الثاقفة والاعلام اليمنية ـ السلسلة التاريخة ٤/٣.

(٧) ماجـد (د. عبـد المنعم ماجـد) ظهـور خلافـة الفـاطميين وسقـوطها في مصـر التاريخ السياسي ص ١٩٢ : ٢١٠.

دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

د. عصـام الـدين عبـد الـرؤوف ـ اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ص ١٤٥ ـ ٤٨ دار الفكر العربي ١٩٨٢.

(٨) الهمداني ـ المرجع نفسه ص ٢٠٧.

(٩) د. عبد العال ـ المرجع نفسه ص ٨٠.

(١٠) معروف (ناجي معروف) تاريخ علماء المستنصرية

ج ١/ ص ١١٠/ حاشية ١٥، حزيران بغداد - ١٩٦٥.

(١١) فكري - المرجع السابق ص ١٥١.

(١٢) معروف (ناجي معروف) المدارس المستقلة في الاسلام / ص ٩.

مطبعة الازهر بغداد ١٩٦٦ - فكري المرجع السابق / ١٥١/.

(١٣) السبكي (أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١١١ (٦ أجزاء / طبع المطبعة الحسينية القاهرة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م)

(١٤) فكري - المرجع السابق ص ٣٣.

(١٥) السبكي - المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٧.

(١٦) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني ت ٦١٤ هـ) رحلة ابن جبير ص ١٨٣ : ٢٠٥ (نشرة. حسين نصار - مكتبة مصر - ١٩٥٥).

(١٧) فكري المرجع السابق ص ١٥٣.

(١٨) ابن عبد المجيد - (تاج الدين عبد الباقي ت ٧٤٣ هـ) «تاريخ اليمن» المسمى بهجة الزمن. في تاريخ اليمن ص ٨٠ - تحقيق مصطفى حجازي. القاهرة ١٩٦٥.

- با مخرمة (أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد ت ٩٤٧هـ) «تاريخ ثغر عدن» ج ٢ ص ١٩ نشرة أوسكارلو فقرين.

- ابن حاتم، بدر الدين محمد (ت بعد سنة ٧٠٢ هـ) السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ورقة ٤٣، ٨٣. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤١١ تاريخ.

- الخزرجي (أبو الحسن علي بن الحسن ت ٨١٢هـ) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج ١ ص ٢٩ (جزءان القاهرة ١٩١١).

- ابن الديبع (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمرت ٩٤٤ هـ) - قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ج ١ ص ٤٠٠ - ٤٠٣ تحقيق الأكوع القاهرة ١٣٩١ والجزء الأول، ١٣٩٧ والجزء الثاني.

- باغرمة المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٤. ابن الديبع المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٠.

(١٩) ابن حاتم المرجع السابق ورقة ٨٤، ١٤٧ - ابن عبد المجيد المرجع السابق ص ٨٠. الخزرجي - طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن ص ١٢٧ (جزءان في مجلد) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٦٥٧ تاريخ.

- ابن الديبع المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٩.

(٢٠) الجندي (أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب ت ٧٣٢هـ) السلوك في طبقات العلماء والملوك لوحة ٢٢٤ (٣ أجزاء) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٦ تاريخ - الخزرجي - طراز الزمن ص ١٧٦.

(٢١) باغرمه المرجع السابق ج ٢ ص ٧١٠

(٢٢) الخزرجي العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٧٤

(٢٣) ورثت الدولة الرسولية ملك الايوبيين في اليمن ومؤسسها هو السلطان الملك المنصور نور الدين أبو الفتح عمر بن علي بن رسول الذي كان نائباً للملك المسعود الايوبي آخر ملوك الأيوبيين في اليمن وبعد وفاته سنة ٦٢٦هـ / ١١٢٩م ظل نور الدين يحكم نيابة عن الأيوبيين حتى مكنّ لنفسه وأعلن سلطته وقيام دولته عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١م وضرب العملة باسمه وخطب له على المنابر وتلقب بالملك المنصور.

راجع : الخزرجي. المسجد ص ٢٢٢، ٢٧، ٢٩/ العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣ ٤٨، ٥١ / ابن الديبع قرة العيون ص ١٢٠، ١٢٣/ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٥٤) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٢٣٧.

نشر د. محمد مصطفى زياده، ظهر منه جزءان في ٦ أقسام لجنة التأليف والترجمه والنشر ١٩٤٣. ١٩٥٨).

- باغرمه : ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦.

- ابن علي (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ت سنة ١١٠٥) أنباء الزمن في تاريخ اليمن ص ٧١ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ.

(٢٤) ابن حاتم السمط الغالي ص ٢٢١، الخزرجي العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٤، ١٥٥ / باغرمه : ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٤، ابن الديبع : قرة العيون ج ٢ ص ٢١.

(٢٥) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٣ هـ) الضوء اللامع في أهل القرن التاسع ج ٧ ص ١٨٢ القاهرة ١٣٥٤.
(٢٦) با مخرمه المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤.
(٢٧) الخزرجي طراز الزمن ج ٢ ص ٢١١، / العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٢٠، ٢٧٦/ ابن الديبع - قرة العيون ج ٢ ص ٤٩.
(٢٨) ابن حاتم المرجع نفسه ص ٣٤٤/ الخزرجي العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٠٤ ص ٨٣/ ابن الديبع - قرة العيون ج ٢ ص ٣٧.
(٢٩) الخزرجي - العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٥٣. بامخرمه المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٥
(٣٠) السخاوي المرجع السابق ج ٥ ص ٢٥.
(٣١) الخزرجي - العقود اللؤلؤيه ج ١ ص ٧٤، ٢٨٣/ ابن الديبع قرة العيون ج ٢ ص ٥٠.
(٣٢) الخزرجي - طراز الزمن ص ٢٢٧، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٠٣
(٣٣) الخزرجي العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ١٢٦ ابن الديبع. المرجع السابق ج ٢ ص ٩٤
(٣٤) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٨٣٣ هـ /صبح الاعشى في صناعة الانشاء. ج ٥ ص ٣١ / با مخرمه ثغر عدن ج ٢ ص ١٣٩/ ابن الديبع قرة العيون ج ٢ ص ٦٧، ٩٤.
(٣٥) ابن الديبع - قرة العيون ج ٢ ص ٢٣٣/ عبد الله الجبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن ص ٤٨، ٤٩ (مكتبه الجيل الجديد صنعاء ١٩٧٦).
(٣٦) الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ١١٧.
(٣٧) المرجع نفسه ج ٢ ص ١١٨. الاكوع. المدارس ص ١٦٦.
(٣٨) ورد جزء من وثيقة الوقف الخاصة بهذه المدرسة يشمل الوصف المعماري بنصه دون تعليق وهو جزء من الوقفيه الغسانية كما أشار إلى ذلك القاضي اسماعيل الاكوع = راجع المدارس ص١٩١، ١٩٢.
(٣٩) ابن الديبع. المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٥، ١٣٤
(٤٠) الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٨، ٣٩٥.
(٤١) قامت الدولة الطاهرية على أنقاض الدولة الرسولية اذ استولى الملك المجاهد شمس الدين علي بن داود وأخيه الملك الظافر صلاح الدين عامر على مدينة عدن في سنة ٨٥٨هـ وانطلقا منها الى زبيد حيث خلع الملك المسعود آخر ملوك بني رسول نفسه.
وفي ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ قتل الملك الظافر عامر في محاولته للاستيلاء على صنعاء واستمرت الدولة الطاهرية قائمة حتى سنة ٩٢٣هـ حيث قتل آخر ملوكها السلطان عامر بن عبد الوهاب بعد غزو الجراكسه لليمن.
- ابن الديبع. «الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» ص١٢١، ٢٠٠ تحقيق د. يوسف شلحد نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء.
(٤٢) المرجع نفسه ص ١٩٤، ٢٠٠، قرة العيون ج ٢ ص١٧٩، ٢٣٥.
(٤٣) أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني قواته عام (٨٤٥هـ-١٥٣٨-١٥٣٩م) الى جزيرة كمران بقيادة سليمان باشا فاستولت عليها وزحفت منها الى زبيد ثم تعز وغيرها وبدأت في سلسلة من الحروب مع الامام شرف الدين وأبنائه. راجع: ابن علي (يحى ابن الحسين) غاية الاماني في أخبار القطر اليماني. قسم ٢ ص٦٨٤ تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور (دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٨)
(٤٤) النهر والى (محمد بن أحمد النهر والي ت سنة ٩٨٨) البرق اليماني في الفتح العثماني ص٣٥، ٣٦، ٩٤، ١٠٧، ١٢١ تحقيق حمد الجاسر بيروت ١٩٦٧.
(٤٥) ابن المطهر (عيسى بن لطف الله بن المطهر) روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ص٣٥ نسخة مصورة من المخطوط - نشر وزارة الاعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية رقم ٧/ ١/ ١٩٨١. الحجري (محمد بن أحمد الحجري ت ١٣٨هـ) مساجد صنعاء ص١٧، ١١٣ مطبعة وزارة المعارف اليمنية.
(٤٦) ابن على - المرجع السابق ص٦٢٢.
(٤٧) هدمت المدرسة الظاهرية ولم يتبق منها سوى أجزاء قليلة، ورد جزء من وصفها المعماري بنصه دون تعليق راجع الاكوع المدارس ص٢١٩، ٢٢٠.
(٤٨) هدمت المدرسة: راجع النص الوثائقي: المرجع نفسه ص١٨٠.

(٤٩) المدرسة المستنصرية في بغداد أنشأها الخليفة العباس المستنصر بالله، بدأ العمل بها سنة ٦٢٥هـ ـ ١٢٢٨م وأفتتحها سنة ٦٣١هـ وهي أول مدرسة في العالم الاسلامي تخصص لتدريس المذاهب الاربعة كما كان يدرس بها الطب والحساب، رتب بها مدرسين ومعيدين وأجرى عليهم الجراية الوافدة . راجع ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل الشيباني ت٧٢٣هـ) الحوادث الجامعة ص٥٥، ٥٨ نشر مصطفى جواد بغداد ١٣٥١هـ (معروف ناجي معروف) تاريخ علماء المستنصريه ج١ ص١١٠ ومابعدها (جزءان) بغداد ١٩٥٦ د. فكري المرجع السابق ج٢ شكل ٤٤، ٤٥.

(٥٠) عبد الوهاب (حسن عبد الوهاب) تاريخ المساجد الاثرية ج١ ص١٦٦ (جزءان) القاهرة ١٩٤٦.

(٥١) راجع الجزء المنشور من الوثيقة. الاكوع ـ المرجع السابق ص١٩٧ : ٢٠٢ والجمنون الشرقي هو قاعة الدرس الشرقية وهي قاعة مستطيلة يغضيها قبو مدبب أطلقت عليها الوثيقة اسم (جشون) من المرجح أنه تحريف لتسمية (جمالون) وقد اخطىء الموثق في ذلك اذ يختلف الجمالون عن القبو المدبب، ويبدو أنه كان موجوداً جزءاً محجوزاً عن هذه القاعة بساتر من الخشب أو نحوه وهو ماأطلق عليه اسم المقصورة ولاوجود له الآن، وقد اقيمت بهذه القاعة فيما بعد تراكيب لعدد من القبور.

(٥٢) المرجع نفسه ص٢٠٠

(٥٣) المرجع نفسه ص٢٢٢ وشاما ويمنا المقصود بها شمالا وجنوبا

(٥٤) المرجع نفسه ص٢٢٣

(٥٥) المرجع نفسه ص١٧٨

(٥٦) المرجع نفسه ص١٩٩

(٥٧) المرجع نفسه ص٢٠٠

(٥٨) المرجع نفسه ص٢٢١، ٢٢٣

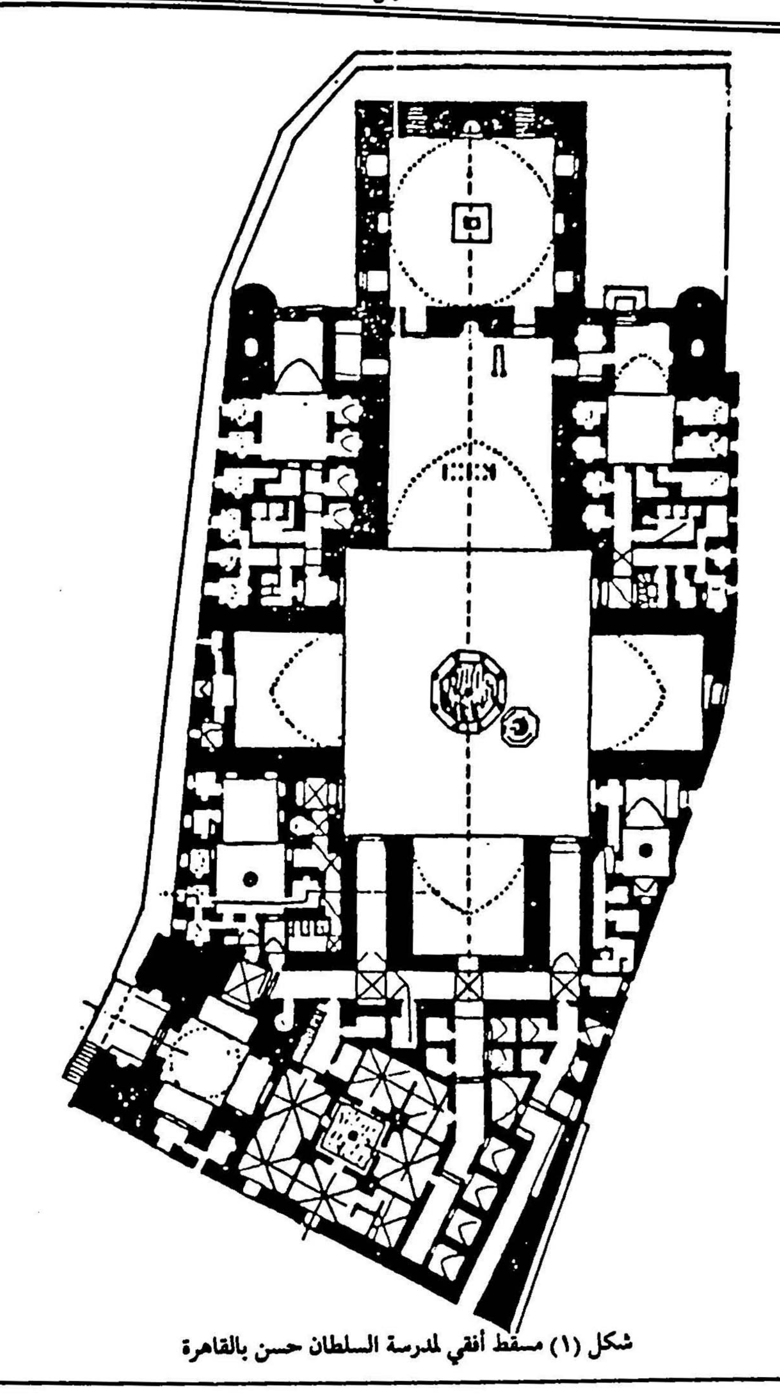
(٥٩) ابن المطهر: المرجع السابق ص٤

(٦٠) المرجع نفسه ص٥٠

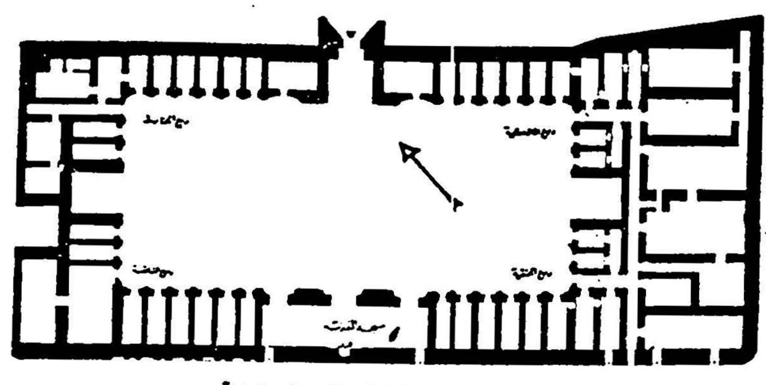
(٦١) المرجع نفسه والصفحة.

(٦٢) الحجري. المرجع نفسه ص١٧

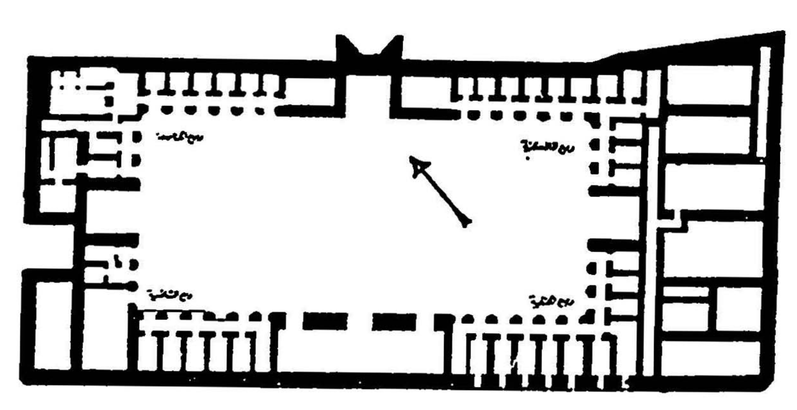
(٦٣) Scott, H. In the high Yemen, P. 125 (London 1942)



شكل (١) مسقط أفقي لمدرسة السلطان حسن بالقاهرة

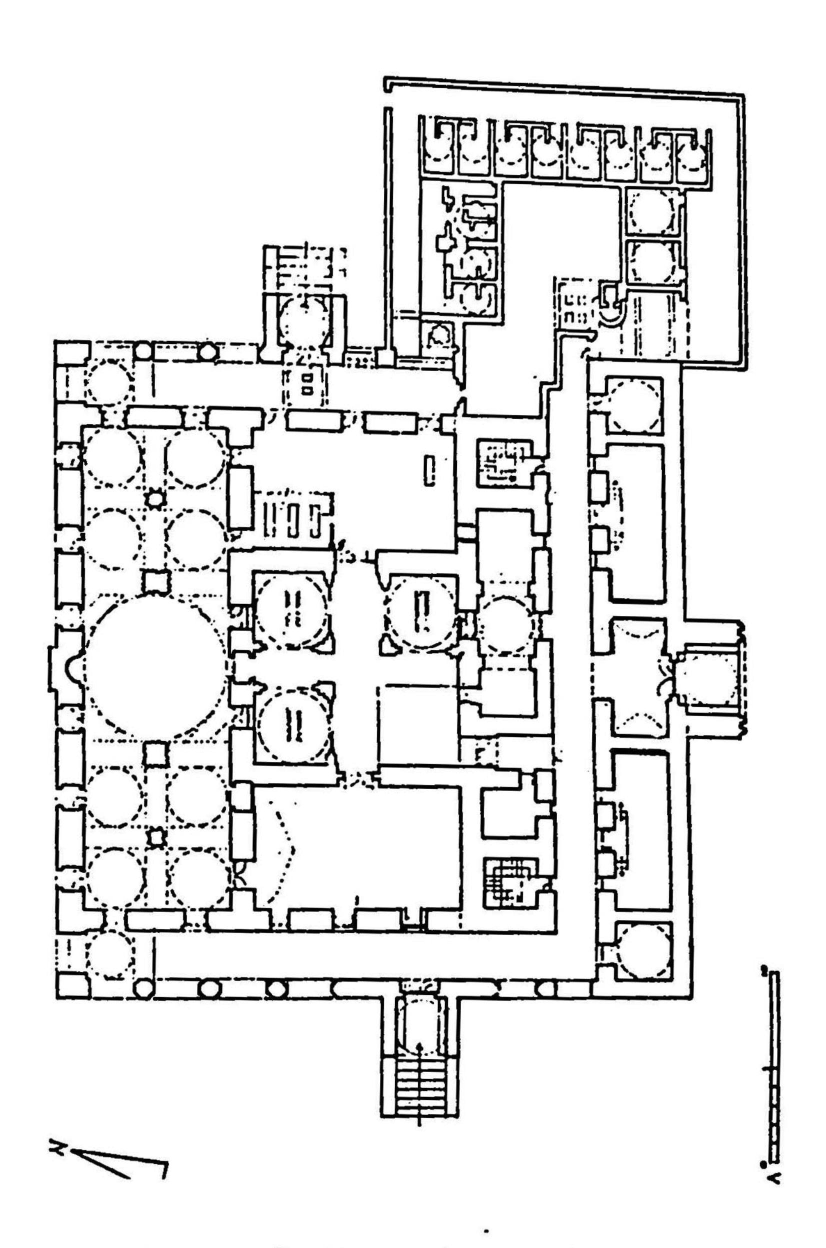


الطابق الاول

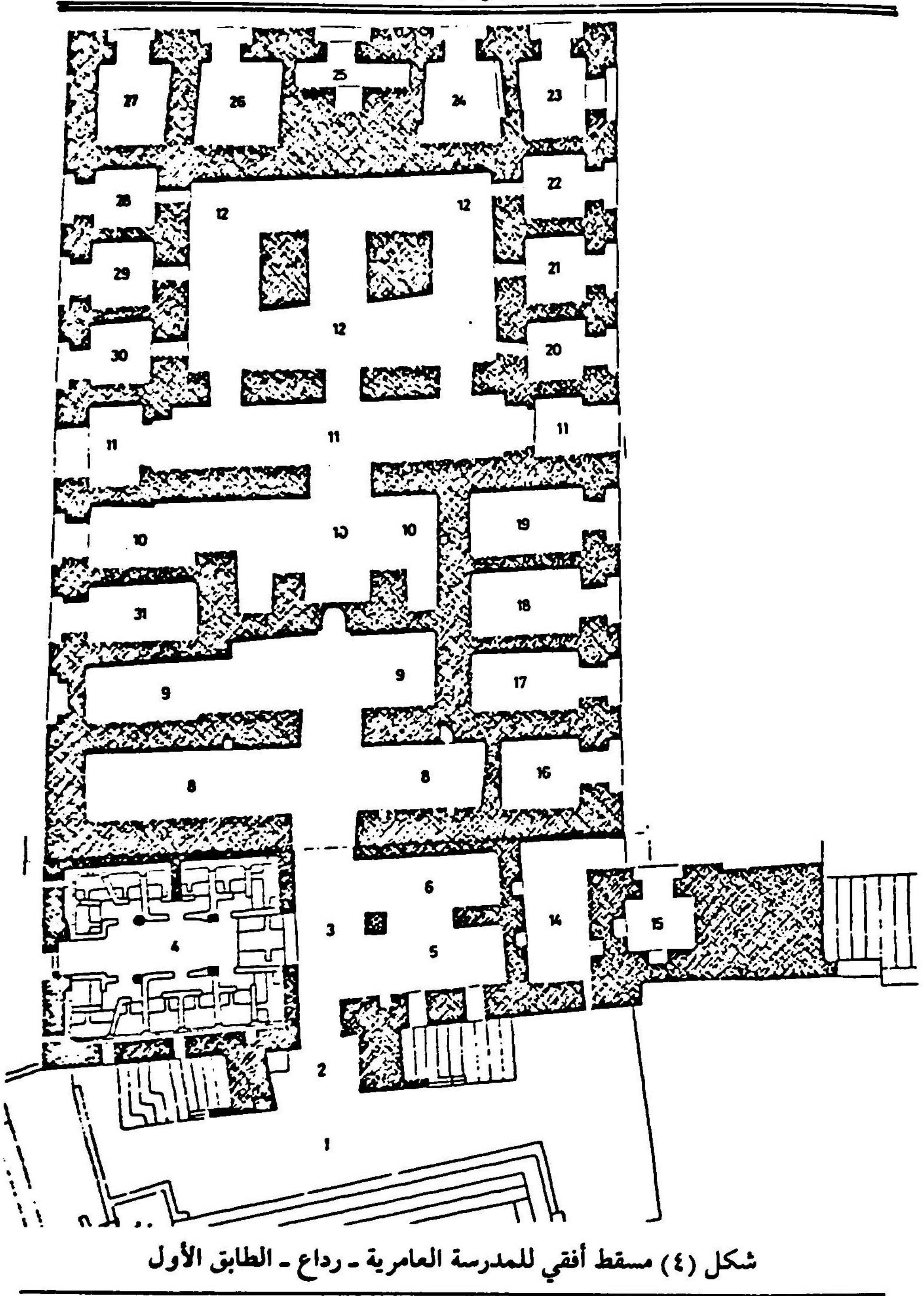


الطابق الثاني

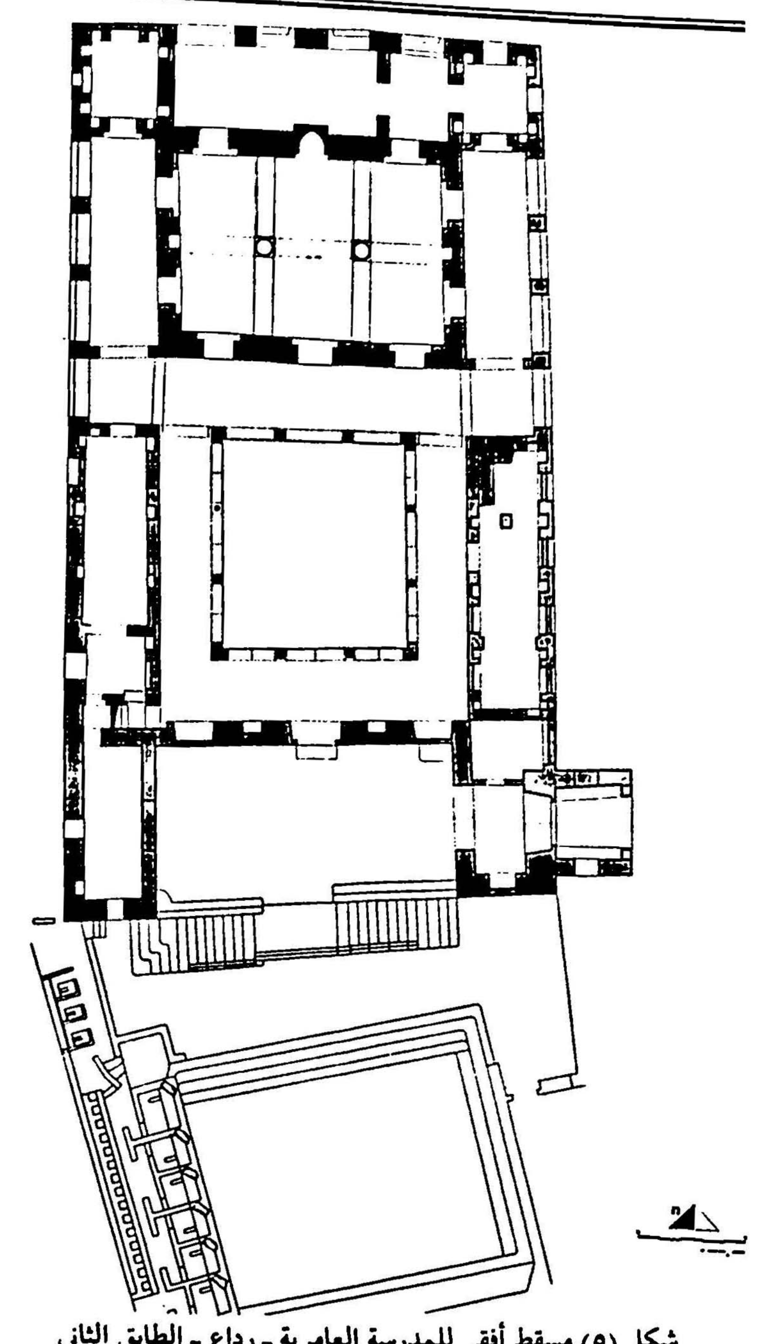
شكل (٢) مسقط أفقي لمدرسة المستنصرية ببغداد



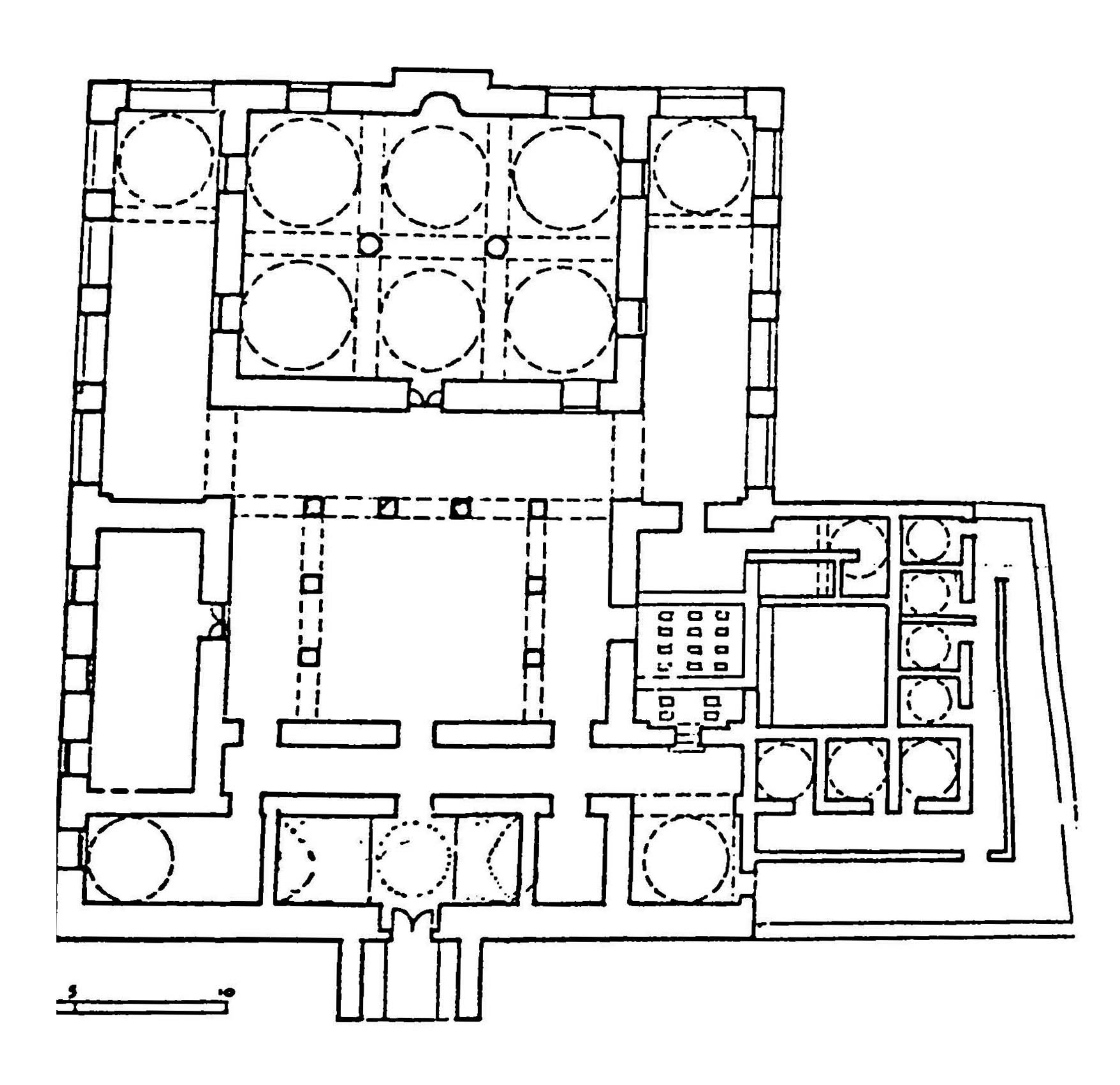
شكل (٣) مسقط أفقي للمدرسة الأشرفية ـ تعز الطابق الأول ـ الطابق الثاني



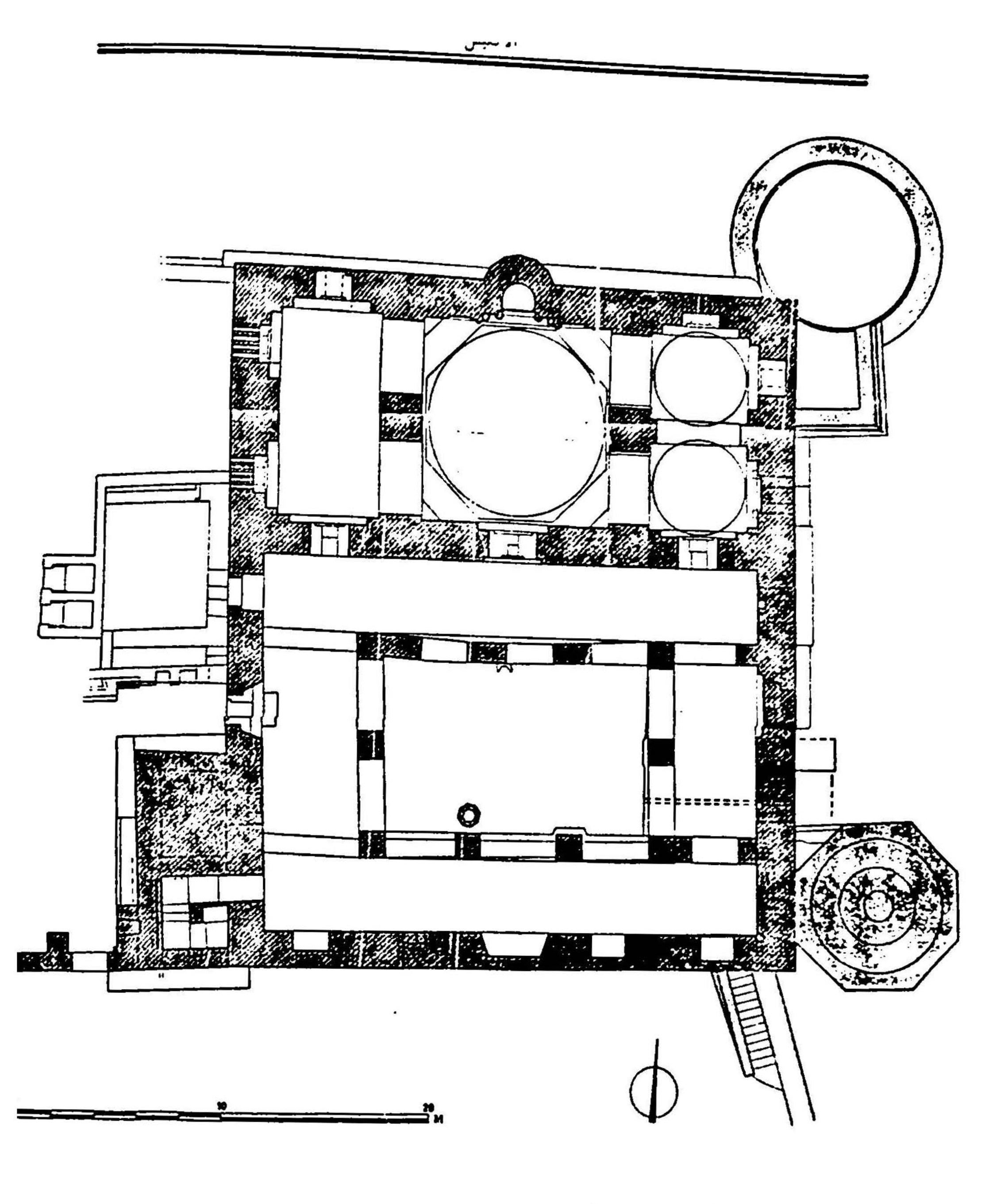
شكل (٤) مسقط أفقي للمدرسة العامرية ـ رداع ـ الطابق الأول



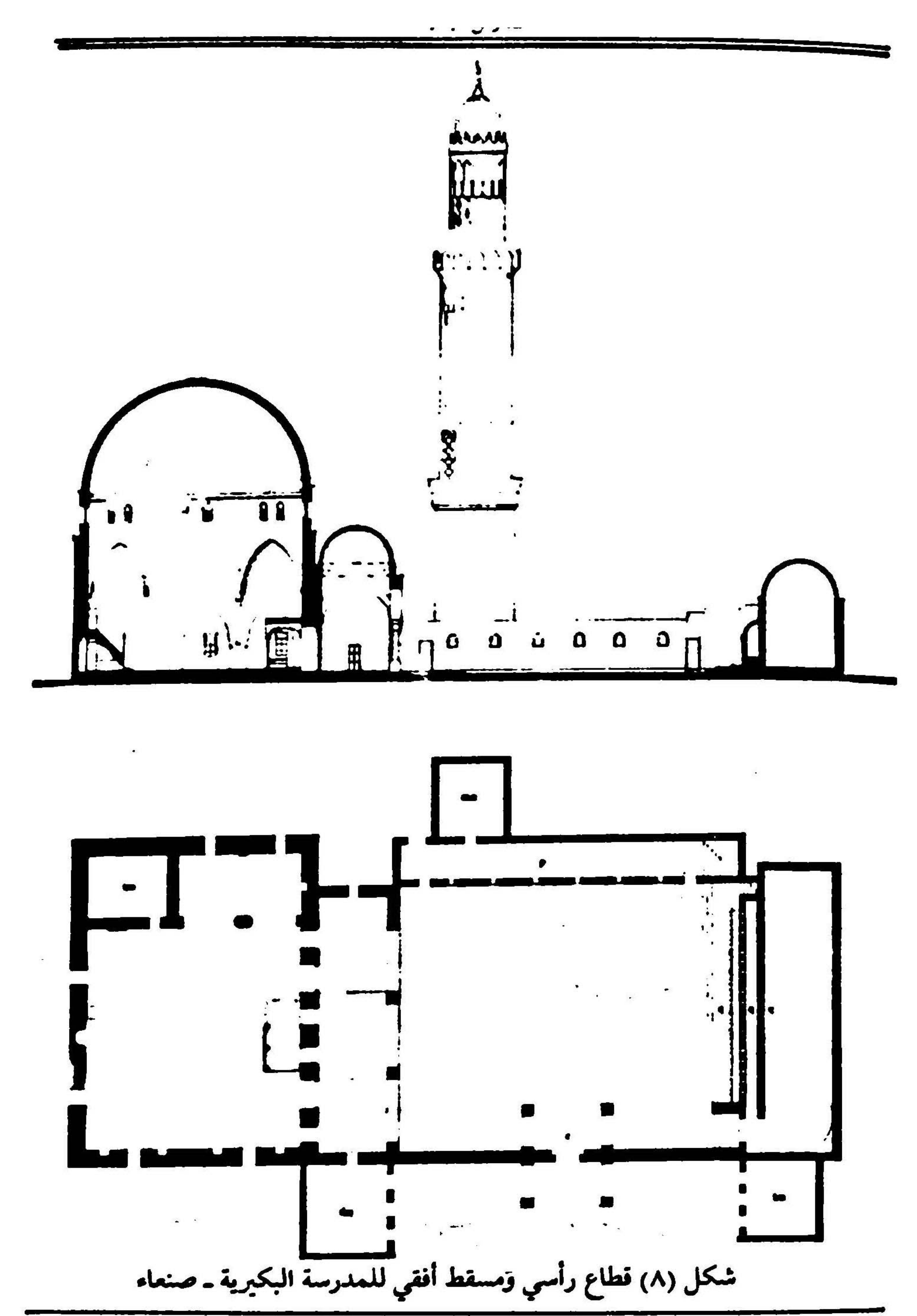
شكل (٥) مسقط أفقي للمدرسة العامرية ـ رداع ـ الطابق الثاني



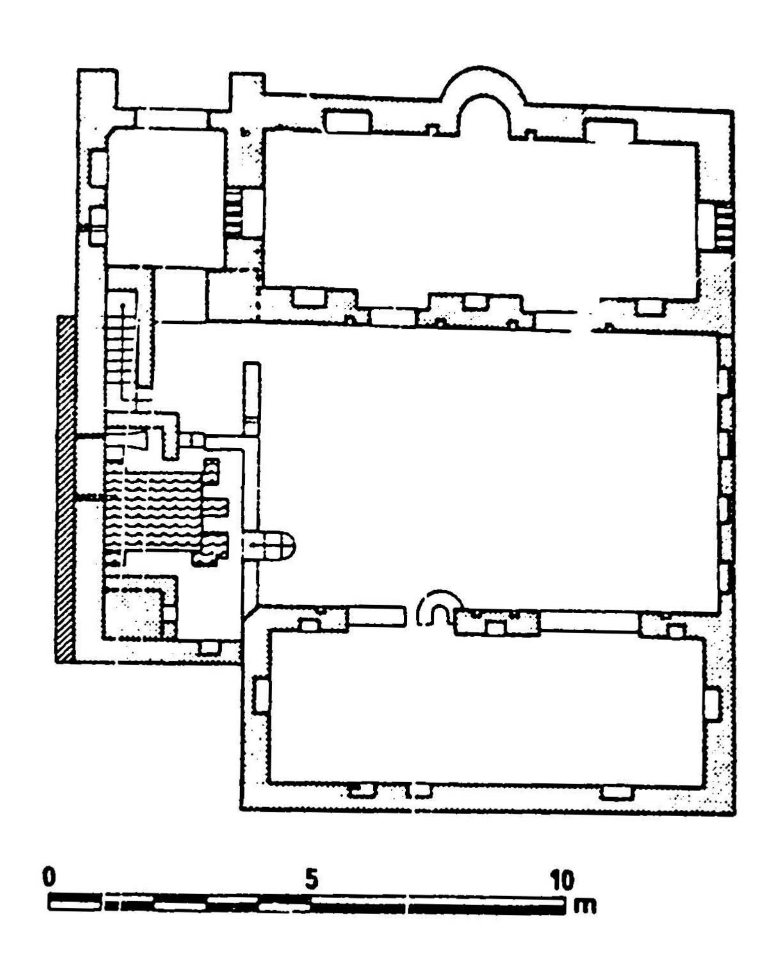
شكل (٦) مسقط أفقي للمدرسة المعتبية ـ تعز



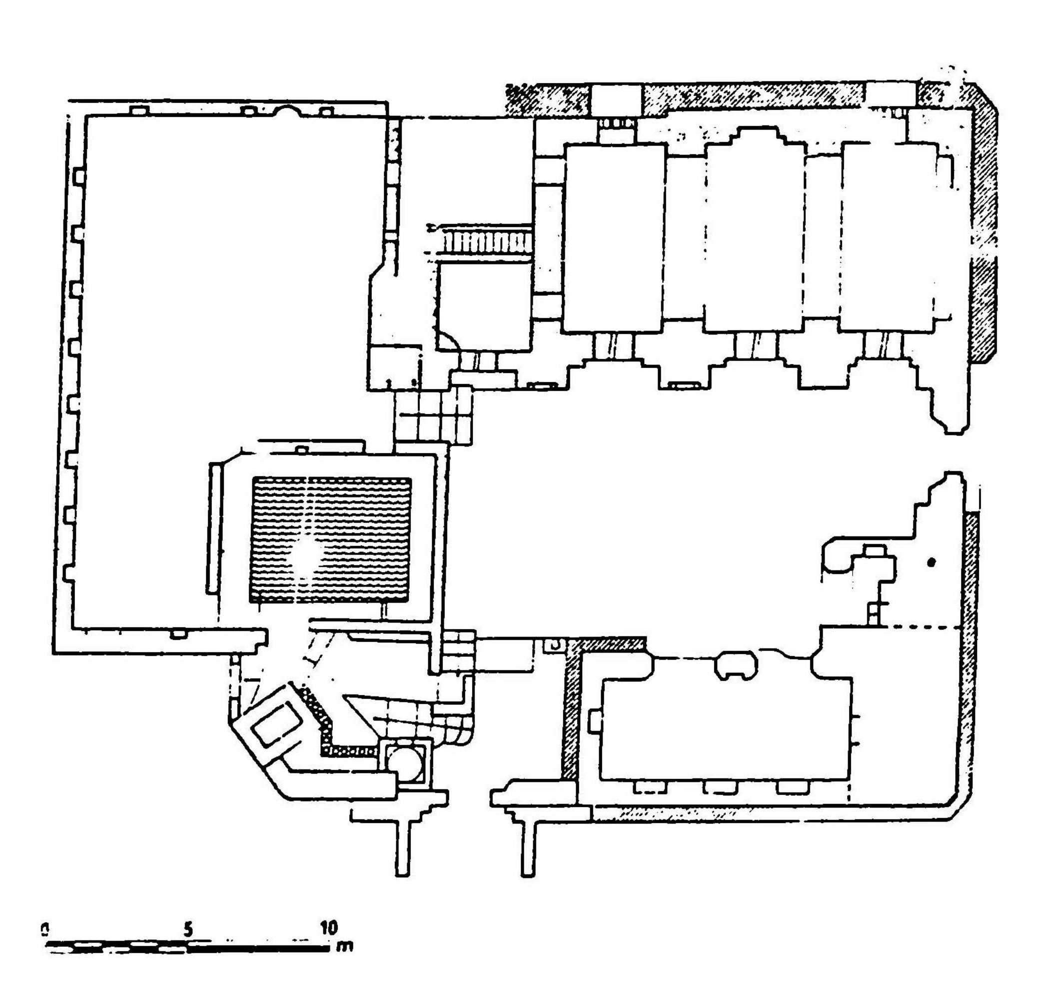
شكل (٧) مسقط أفقي للمدرسة السكندرية ـ زبيد



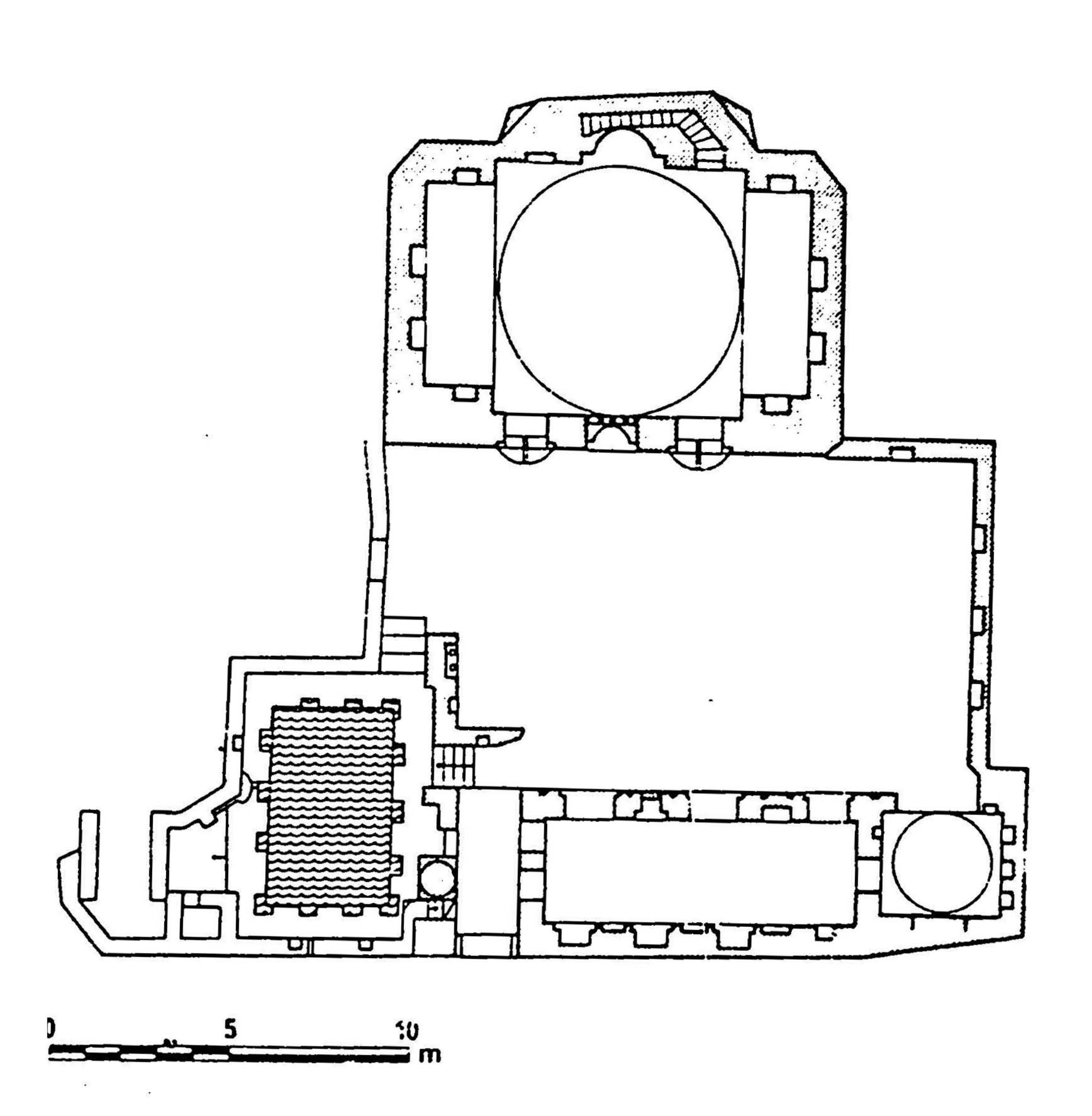
شكل (٨) قطاع رأسي ومسقط أفقي للمدرسة البكيرية ـ صنعاء



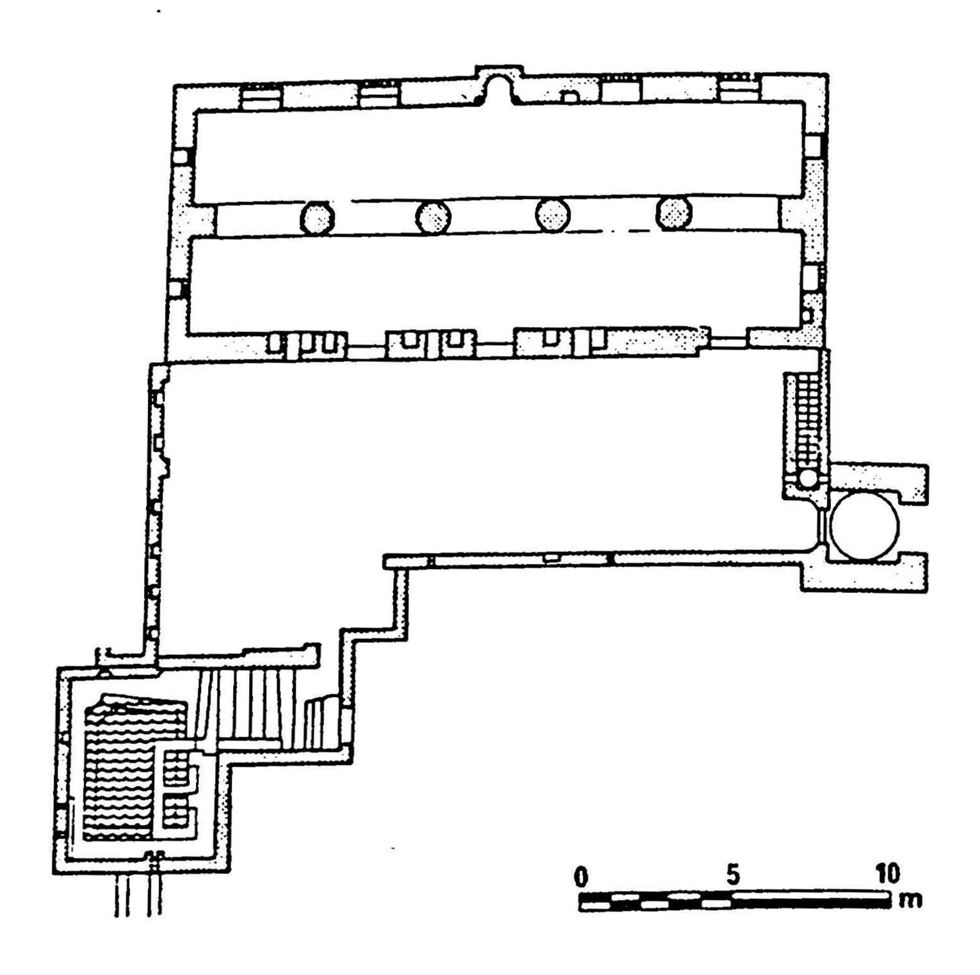
شكل (٩) مسقط أفقي للمدرسة المنصورية العليا ـ زبيد



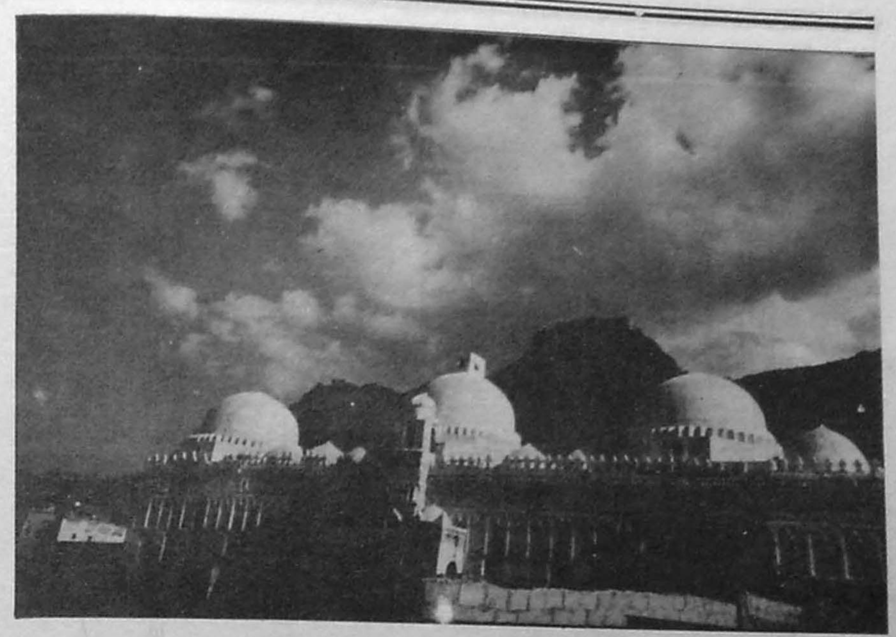
شكل (١٠) مسقط أفقي للمدرسة الجبرتية ـ زبيد



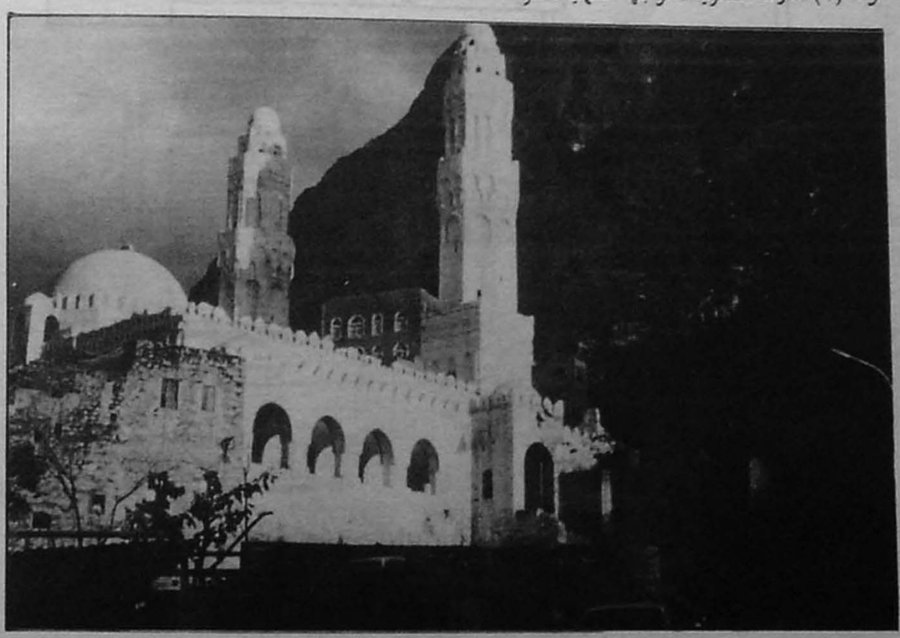
شكل (١١) مسقط أفقي للمدرسة الوهابية ـ زبيد*



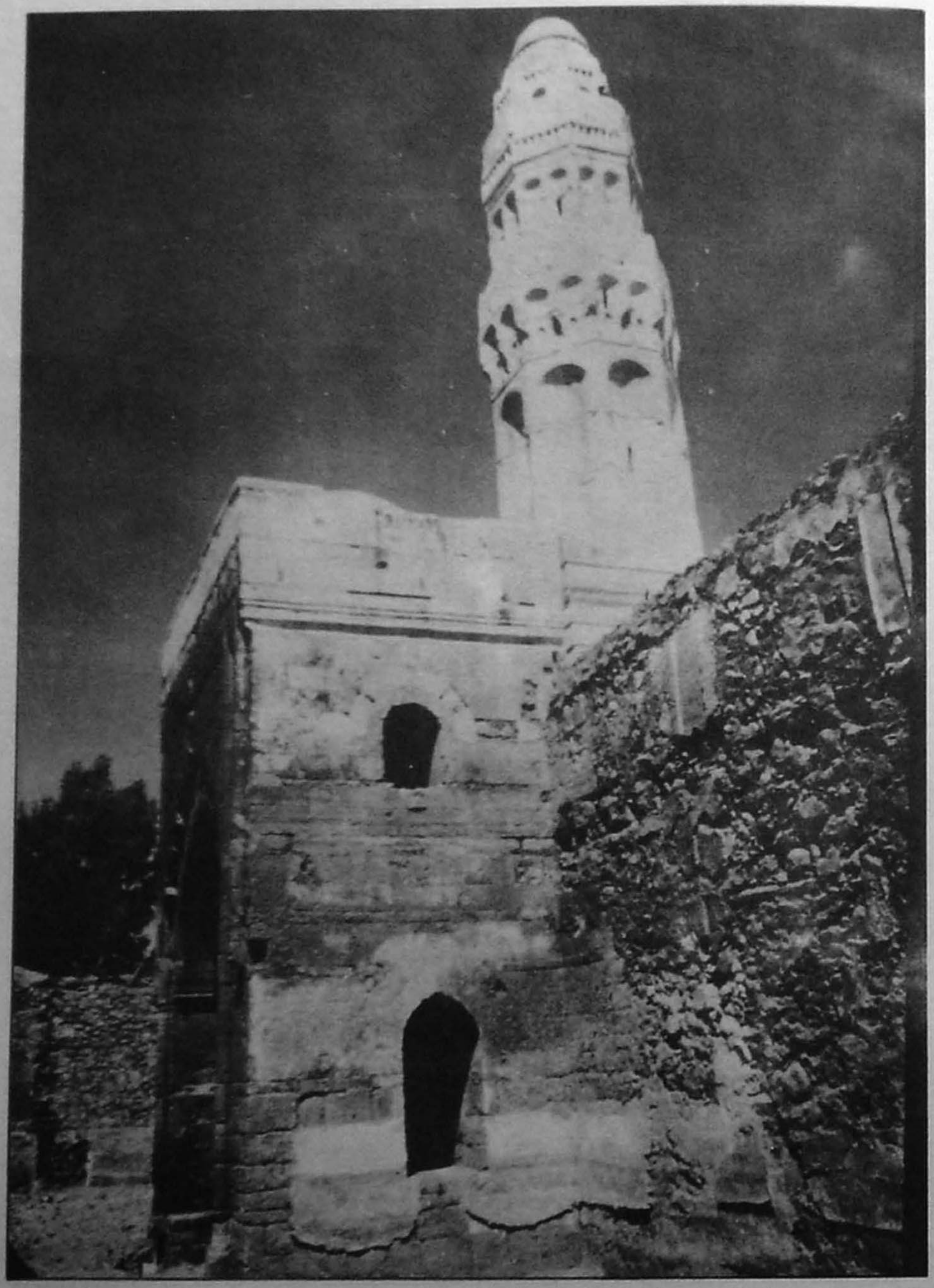
شكل (١٢) مسقط أفقي للمدرسة الياقوتية ـ زبيد



لوحة (١) المدرسة المظفرية ـ الواجهة الشمالية ـ تعز



لوحة (٢) المدرسة الأشرفية ـ الواجهة الغربية ـ تعز

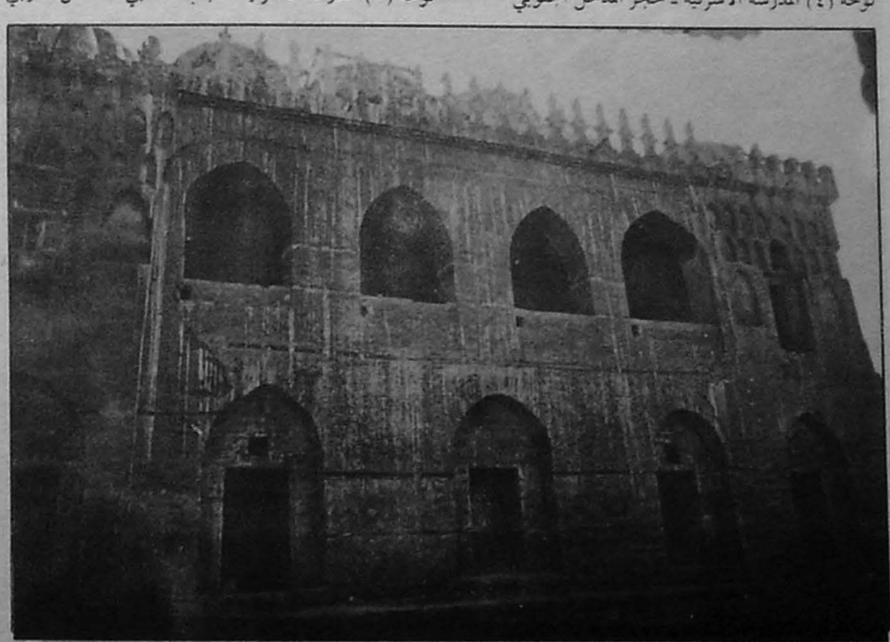


لوحة (٣) المدرسة الأشرفية - المدخل الجنوبي

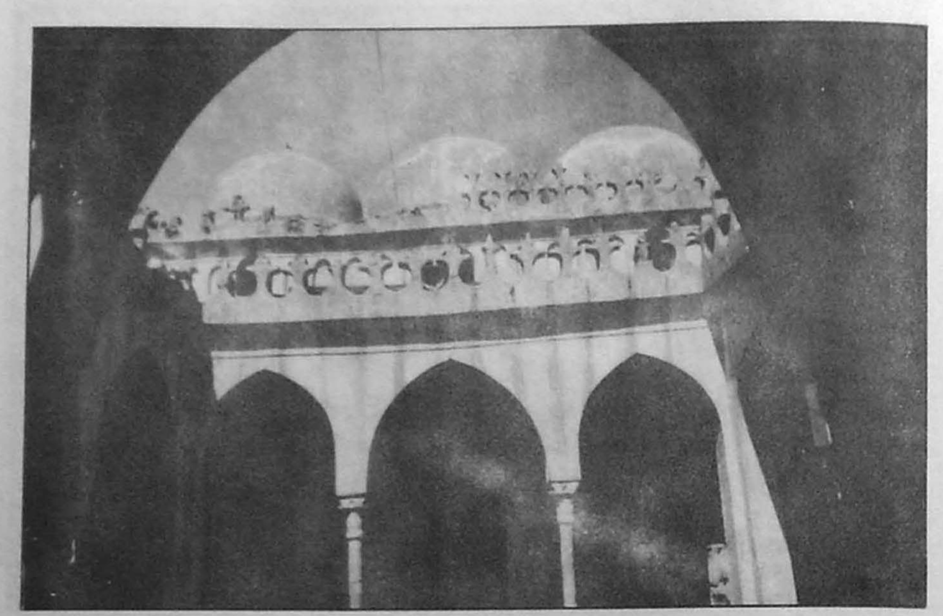
لوحة (٤) المدرسة الأشرفية ـ حجر المدخل الجنوبي



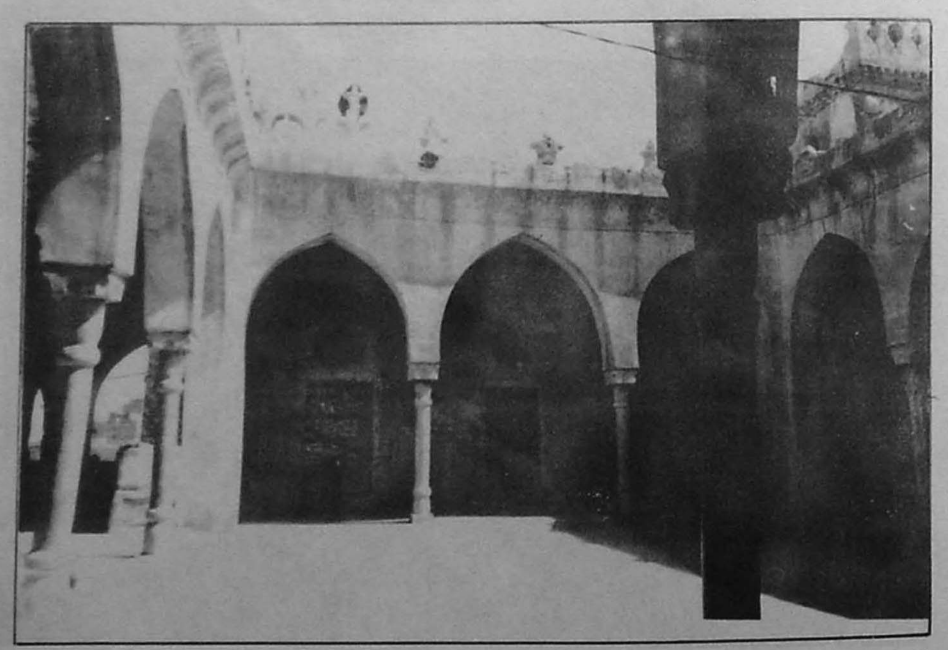
لوحة (٥) المدرسة الأشرفية ـ الباب الخشبي للمدخل الغربي



لوحة (٦) المدرسة العامرية ـ الواجهة الشمالية



لوحة (٧) المدرسة العامرية ـ بيت الصلاة



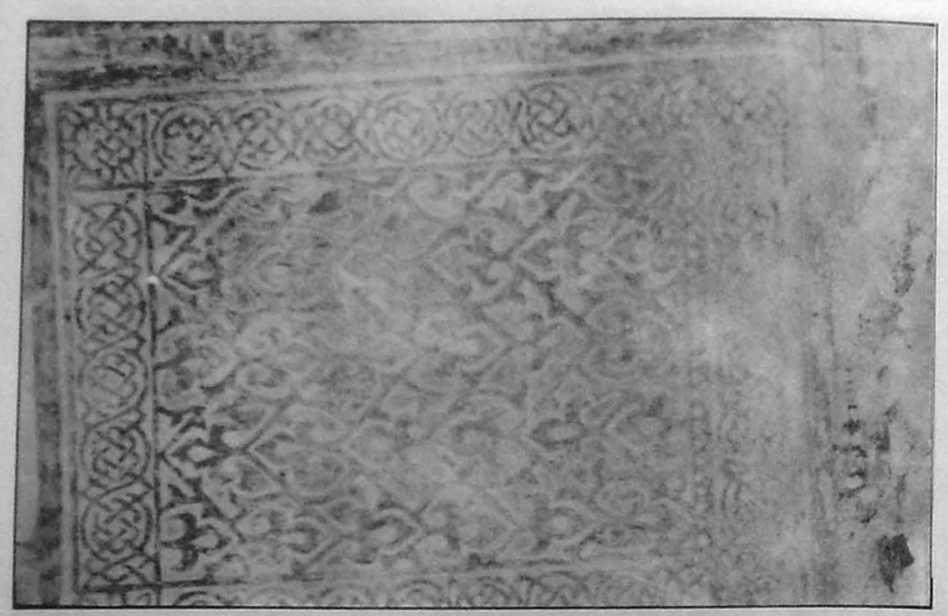
لوحة (٨) المدرسة العامرية ـ الرواق الغربي ـ رداع



لوحة (٩) المدرسة العامرية ـ زخارف القباب والعقود ببيت الصلاة

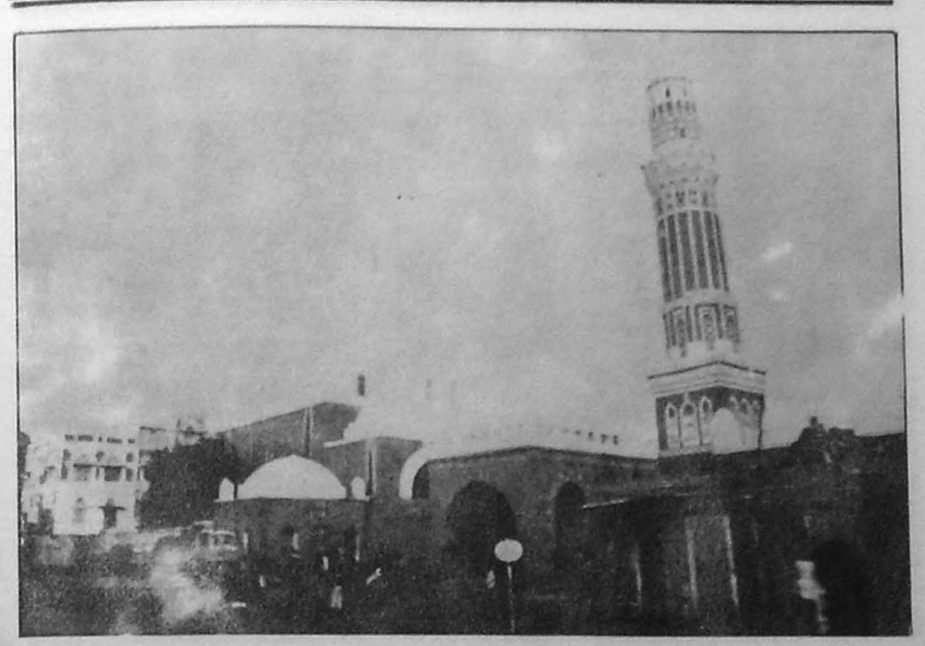


لوحة (١٠) المدرسة العامرية ـ زخارف كتابية بالدهليز الشمالي ـ رداع



لوحة (١١) المدرسة العامرية - زخارف جصية بالطابق الأول

لوحة (١٢) المدرسة السكندرية - زبيد

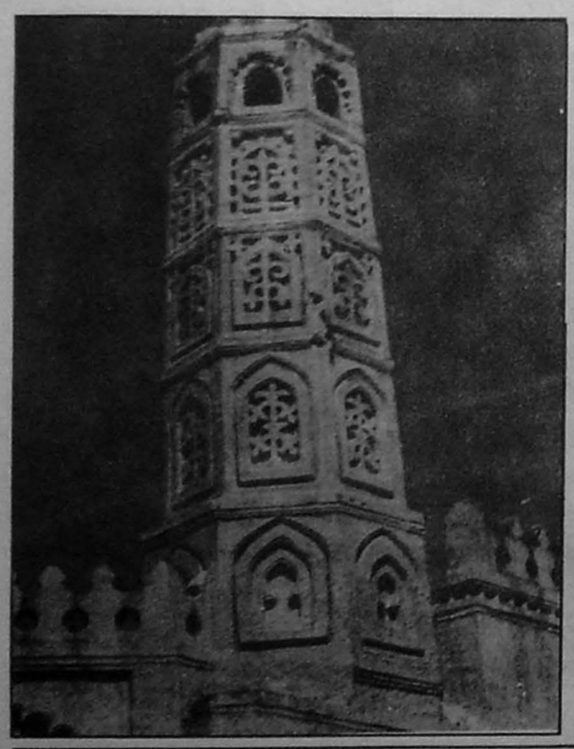


لوحة (١٣) المدرسة البكيرية - صنعاء

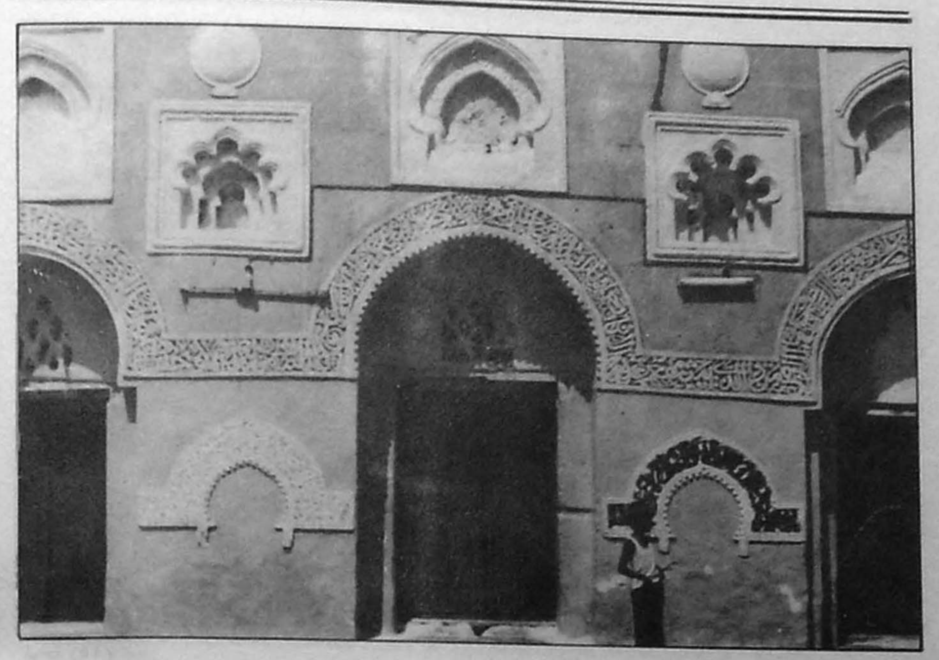


لوحة (١٤) المدرسة المنصورية العليا - الرواق المقابل لبيت الصلاة - زبيد

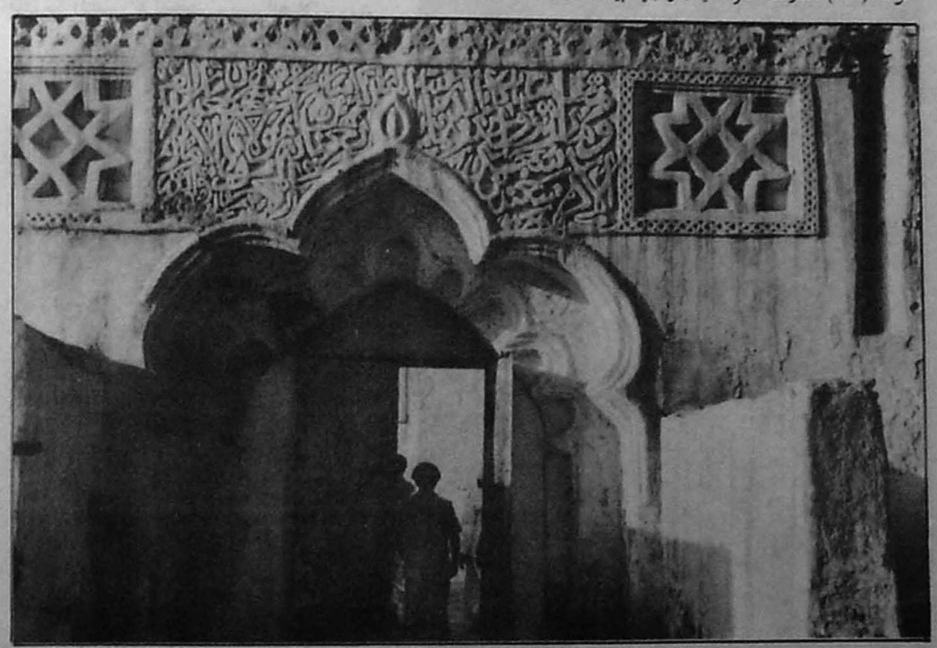
لوحة (١٥)
المدرسة المنصورية السفلى - بيت الصلاة - زبيد



لوحة (١٦) المدرسة الفرحانية - المئذنة



لوحة (١٧) المدرسة الفرحانية ـ واجهة بيت الصلاة



لوحة (١٨) مدخل المدرسة الجبرتية ـ زبيد

خمسة أعوام من البحث في اليمن

(تقرير البعثة الأثرية الفرنسية)

يعود أول اتصال رسمي بين اليمن وفرنسا الى شهر شباط عام ١٧١٢ حيث قام السيد دولاغريلوديير بزيارة للامام المهدي محمد بن أحمد في مواهب (على مقربة من ذمار) . ومنذ ذلك الحين تطورت العلاقات بين البلدين ، وحظيت فرنسا بشكل ملحوظ بتنفيذ مشاريع اقتصادية مختلفة وكانت مساهمتها في المجال العلمي هي المتميزة . وقد لعب عدد من الفرنسيين دوراً فعالاً في دراسة نبات البلاد منهم : بريون (١٨٢٣) ، بوفيه في الحديدة (١٨٣١) ، بوتا في تهامة وتعز (١٨٣٧) ، باساما في تهامة (١٨٤٢) ودفلر على طريق الحديدة - صنعاء - تعز - الحديدة (١٨٨٧) ، كما ساهم آخرون في التعرف بشكل أفضل على النواحي الجغرافية والجيولوجية .

ومع ذلك فان موضوع الآثار هو الذي لقي الاهتمام الاكبر من فرنسا ، إذ أن ج . ث . ارنو هو أول من قام عام ١٨٤٣ بزيارة ووصف مأرب ، عاصمة مملكة سبأ القديمة حيث نقل ٥٦ لوحة منقوشة التي زادت من عدد النقوش المكشوف عنها في هذا العصر . وفي عام ١٨٧٠ أرسل جوزيف هالفي بمهمة علمية من قبل أكاديمية النقوش الكتابية والاداب في باريس لجمع أكبر عدد ممكن من النصوص ، ويعود له فضل اكشاف مواقع الجوف ووادي رغوان ، كما قام بزيادة المدينتين اليمنيين التاريخيتين نجران ومأرب . ومن هذه الزيارة قام بنقل ٦٨٦ لوحة كتابية . كما أنه علينا أن ننوه إلى أن الاكاديمية قد كلفت النمساوي ادوار غلاسر باتمام التوثيق الكتابي حيث قام بالبحث في اقليم صنعاء عام ١٨٨٢ - ١٨٨٤ .

وقد كان من الطبيعي أن يوكل المهتمون الاوربيون بالدراسات السامية إلى أكاديمية النقوش الكتابية والاداب أمر نشر المجموعات الكبيرة من الكتابات اليمنية القديمة : « مجموعة النقوش الكتابية الحميرية والسبأية » (باريس ١٨٨٩ - ١٩٣٢) و« دليل الكتابة السامية » (باريس ١٩٠٠ - ١٩٥٠)

و» مجموعة النقوش الكتابية والعاديات في جنوب الجزيرة العربية* » باريس ١٩٧٧ .

ولا يزال في أيامنا هذه البحث الفرنسي في الطليعة من حيث عدد باحثيه وفرقه الأثرية منذ عام ١٩٧٨ وهم يتعاونون مع هيئة الأثار. وان البعثة الفرنسية إذ تعبر لاعضاء هذه الهيئة، وتخص بالذكر القاضي اسماعيل بن علي الاكوع الذي يضطلع بمهام رئاستها والذي عمل على تطويرها خلال السنوات الاخيرة، عن جزيل امتنانها للمساعدة المقدمة لها خلال حملاتها الاربع الاولى وللتسهيلات التي قدمت في سبيل اعداد هذا العرض الموجز.

ولم يكن لهذه الابحاث ان تصير ممكنة لولا المساندة الدائمة التي حظيت بها.

/ البحث عن الآثار ما قبل الاسلامية/

على اثر عقد بين الحكومتين كلفت البعثة الفرنسية بالقيام بعمليات مسح في الجوف ومحافظة البيضاء لاعداد كشف أثري مفصل لهاتين المنطقتين. وتتعلق النتائج الرئيسية للبحوث الجارية خلال الحملات الاربع الاولى بالمجالات التالية:

العمارة العسكرية:

لقد تمت دراسة أسوار مجموعة كاملة من المدن، إذ يعود أقدمها الى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وهذه المدن هي: الاساحل (المسماة قديماً عرارة)، وخربة سعود (المسماة قديماً كتل) في وادي رغوان والتي تم بناؤ ها بأمر من ملك سبأ كربئيل وتر بن ذمر علي. وتتألف هذه الاسوار من جدار سميك من الحجر مزدوج الوجه عرضه ٤م وسطياً وارتفاع حوالي ٥م. وأما الابواب فهي عبارة عن فتحات بسيطة في الجدار. وأما سور البيضاء (المسماة قديماً نشق) في الجوف فانه من الخارج عبارة عن جدار عادي بسيط ذي واجهة منسقة بشكل متقن ومن الداخل فهو مدعم بكتلة قوية من القرميد الغض، وأما الابواب فهي محصنة بأبراج مجهزة بفتحات دفاعية، ويبلغ ارتفاع السور الذي بناه الملك يدعئيل بين بن يثعامر وتر (القرن الرابع قبل الميلاد) حوالي ٤م الامر الذي يجعله لايؤمن سوى حماية ضئيلة، ويعتبر هذا السور الذي هو بشكل دائري ويرتفع عليه ٥٨ برجا ويمتد على طول ١٥٠٠ م تقريباً من أجمل المعالم الاثرية في اليمن بالنسبة لجودة بنائه وحالته الجيدة المحتفظ بها حتى الان.

وفي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد أخذت تحصينات المدن تقوى بشكل ملحوظ، وقد بلغ ارتفاع الاسوار ٨ م (معين، المسماة قديماً قرنو) ثم الى ١٤ م (براقش، قديماً يثل).

وأصبحت الابواب تزود شيئاً فشيئاً بتجهيزات جديدة: ففي براقش نجد أن الباب الرئيسي محمياً ببرج قائم الى الامام ومرتبط بالسور بجدار. وبالرغم من ارتفاع الحائط وقوته الدفاعية فقد تم الاستيلاء على براقش بكل سهولة من قبل الروماني اليوس غالوس قبل الميلاد وفي عهد اغسطس.

وان السور الاكثر حداثة الذي قامت البعثة بدراسته يوجد في معسال (قديماً وَعْلان) في محافظة البيضاء والعائد للقرن الثاني الميلادي. وهذا الموقع الذي بداخله حلقة حجرية قاسية بعرض ٧٠٠ م وطول ٣٠٠ م يحيط به جدار من الحجر الصلب متتابع تقريباً والذي يسد بعض نقاط المرور ويدعم

* تلفت الاكليل عناية المسؤولين اليمنين الى ضرورة توفير هذه المطبوعات المهمة ووضعها في متناول الباحثين اليمنيين.

الانحدارات الصخرية .

مقاييس الاسوار المكتشفة :

ـ مأرب (قديما مريب)	١٤٣٠م/ ١٠٧٠
ـ خربة سعود (قديما كتل)	٢٠٠م/ ١٧٠
ـ الاساحل (قديما عرارة)	٢٥٠م/ ١٧٠
ـ معين (قديما قرنو)	٣٢٠م/ ٣١٠
ـ براقش (قديما يثل)	٣٥٠م/ ٢٣٠
ـ كمنا (قديما كمنهو)	٣٩٠م/ ١٨٠
ـ السوداء (قديما نشن)	٣٣٠م/ ٣٠٠
ـ البيضاء (قديما نشق)	٥٠٠م/ ٤٠٠
ـ انبه	٢٣٠م/ ٢٠٠
ـ جدفر (قديما كهل)	١٨٠م/ ١٥٠
ـ المعسال (قديما وعلان)	٣٠٠ م / ٧٠٠ تقريباً

العمارة الدينية والمدنية :

يحتوي اليمن القديم على معابد وقصور ودور للسكن . ولا شك ان هناك معابد داخل الاسوار الا انه في المدن المحيطة بالصحراء فان المعبد الرئيسي يقع خارج الاسوار على بضعة مئات من الامتار شرقي المدينة . وهذا ما نجده في السوداء وكمنا وخربة همدان (قديما هرم) وفي معين وكذلك في مأرب . وبذلك تكون هذه المعابد سهلة الوصول بالنسبة للجميع وبشكل مستمر ولم تكن محمية الا بحرمتها الامر المعترف به لدى كل انسان . ويتم الدخول الى هذه المعابد من خلال رواق ضخم مؤلف من جسور حجرية مثال ذلك رواق معين الذي لايزال يحتفظ برونقه أكثر من غيره ويبلغ ارتفاعه ٤ م (أنظر الشكل رقم ١) .

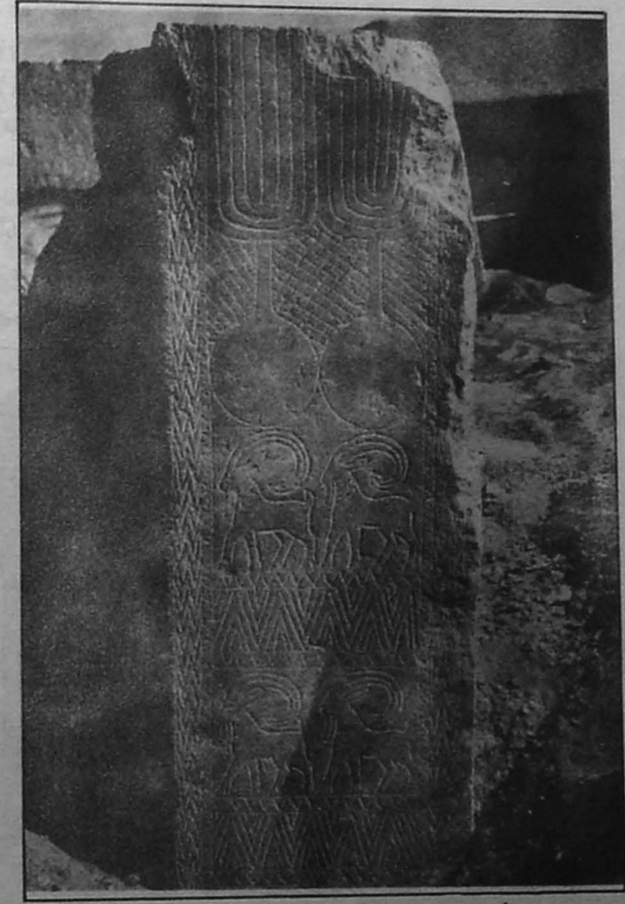
والمعبد الذي يمكن بكل معنى الكلمة التكلم عنه هو ذلك الذي يحتوي على قاعات ذات قياسات لابأس بها ومغطاة ببلاطات حجرية كبيرة مستندة على دعائم حجرية أيضاً، ونجد أحياناً بعض النقوش التزينية على دعائم الرواق أو القاعات ، ويضم جدول الايقونات أشكالا مختلفة منها الماعز البري ورؤوس الثيران



رسم ١ : رواق المدخل في معبد معين

والافاعي والنعامات وغصون نخيل نقرت الطيور عناقيد تمرها، وفتيات واقفات على قاعدة (وهذا الشكل يعطي المذابح الاسم التقليدي «بنات عاد» وأشكال هندسية وغيرها (أنظر الشكل رقم ٢). كما وجدت البعثة أيضاً في معين مشهدي طواف في المعبد. وهذه المعابد كلها عبارة عن مزارات قبلية.

وهناك معابد أخرى ذات طابع مختلف كما هو الامر بالنسبة لدرب الصبي بالقرب من براقش، وهو عبارة عن هضبة مقدسة يذهب اليها المرضى والنساء الراغبات بانجاب الاطفال ليحجوا الى نكرح إله الشفاء بالنسبة للمعينيين. ونجد في معبد اللوذ الى الشمال الشرقي من الجوف مجمعين واسعين للشعائر أحدهما عند سفح الجبل والاخر في القمة يتصلان بمسعى طوله حوالي ٦ كم، وهناك تقدم الولائم الشعائرية على شرف عثتر، كما أن هناك آلهة أخرى في جنوب العربية يتم اقامة الشعائر لها بشكل يبدو معه الجبل الذي يقوم عليه المعبد معاً للقاء كافة الآلهة والقبائل التي تقدسها.



رسم ٢ : زخرفة محززة على دعام من معبد السودا

كما يوجد في مدن جنوب الجزيرة العربية قصور ومنازل مبنية عادة من التراب، وقد كانت تؤمن متانة هذه المساكن بواسطة تدعيمها بالعوارض الخشبية، وفوق ذلك فان بعض القصور قد بني على قواعد حجرية. ويبدو أن هذه القصور والمنازل كانت تضم عدة طوابق واستخدمت كنموذج للعمارة التقليدية في اليمن، وهذه المساكن الزائدة في الارتفاع كان كل منها مستقلاً عن الاخر، وان توزيعها شبه العشوائي لايسمح بتحديد شوارع صحيحة كما هو الحال بالنسبة للعديد من مدن اليمن الحالية.

الاساليب الفنية القديمة:

قامت البعثة الفرنسية بدراسة منهجية لاساليب الري، فقد كشفت عن عدد من السدود في نهم وفي اقليم رداع. وان أهم هذه السدود هو سد هجر صباح المحافظ عليه بشكل واضح والذي تكمن أصالته في كيفية التفريغ التي تسمح بالتخلص من الطمي وقد بناه بنو قولان في عهد الملك الحميري المسمى كربئيل.

أما في الجوف ببراقش فقد قامت البعثة بدراسة عبارتين تدل النقوش الكتابية الموجودة عليهما على أن تاريخهما يعود الى القرنين السادس والخامس والى القرن الثاني لما قبل الميلاد. وهذه هي الدلائل الاولى التي يمكن الاعتماد عليها في تحديد تاريخ المنطقة المروية.

وأخيراً، اسهمت البعثة في «نهم» مع الجيولوجين الفرنسيين العاملين في مكتب البحوث الجيولوجية والمناجم وجيولوجيي مكتب المناجم اليمني لتحديد موضع منجم الفضة في الرضراض. ويقع هذا المنجم، حسب ما جاء عن العالم اليمني الذي عاش في القرن العاشر الميلادي الحسن الهمداني، والذي كان قد استثمر قبل الاسلام، على السفح الشمالي لجبل صلب في شعب المجنى، وسوف يساعد هذا المنجم على التعرف بشكل أفضل على الوسائل الفنية المستخدمة في استخراج وتصفية المعدن خلال العصور القديمة والمتوسطة.

التاريخ:

ان أهم نتيجة توصلت اليها البعثة هي تفكيك أو الكشف عن كافة مجموعة الكتابات العائدة للمعال وتحدد هذه النصوص التسلسل التاريخي لممالك جنوب الجزيرة العربية في القرن الثاني والثالث للميلاد. كما ساعدت هذه الكتابات على تحديد تاريخ نهاية مملكة قتبان حوالي عام ٢٠٠، ونهاية مملكة سبأ حوالي عام ٢٧٠، ومملكة حضرموت حوالي عام ٢٩٠. وقد الحقت هذه الاراضي بالتدريج بحمير، وبفضل هذه النصوص يمكن ايضا تحديد تاريخ تاسيس صنعاء في عهد ملك سبأ كربئيل وتريهنعم الذي حكم حوالي عام ٥٠ للميلاد.

كما يمكن استخلاص العديد من المعطيات التاريخية من مئات اللوحات الكتابية المكتشفة في اماكن متفرقة اخرى من قبل البعثة الفرنسية.

١ - وهبئيل يحوز بن معاهر وذو خولان، قيل ردمان

٢ - وخولان بن عميد ع يحمد بن معاهر وذو خولان.

٣ - بني بثرة تي شعب في وادية سارع.

٤ - على ارض مدينة وعلان بعد الحرب عام اثنين وسبعين

ويمثل هذا النص اهمية كبيرة بالنسبة للتسلسل التاريخي، اذ يقابل العام ٧٢ من ردمان العام ١٤١ - ١٤٢ للميلادوهذا هو التاريخ الوحيد الذي استطعنا الحصول عليه بالنسبة للقرن الثاني، وفوق ذلك فاننا عرفنا بأن وهبئيل يحوز الذي سبق أن تعرفنا عليه في نصوص أخرى قد

عاصر ملوك سبأ سعد شمس وملك قبطان نبط. اذن فان هذا النص يعطينا علامة ذات قيمة تفيد في تحديد أحداث تاريخ سبأ وقبطان (كنا) .

دراسة الآثار التاريخية الاسلامية

ان آثار العهد الاسلامي في اليمن، قد تجاهلها الباحثون والمنقبون زمناً طويلاً، لانهم اقبلوا على هذا البلد سعياً الى اكتشاف بقايا الممالك القديمة الدارسة .

غير ان الهيئة العامة للآثار ودور الكتب، وعياً منها لهذا الواقع، ترغب اليوم في ان تنقذ هذا التراث من النسيان. لذلك قد كلّفت البعثة الفرنسية بان تعكف على دراسة صرحين رائعين، يعود عهد كل منهما الى القرن الثالث عشر، والقرن السادس عشر، وذلك على اثر ابرام اتفاق بين البلدين.

- جامع ظفار، حيث يوجد ضريح المنصور بالله عبد الله بن حمزه، الذي ملك من سنة ٥٩٣ حتى ٦١٤ هجرية /١١٩٧ حتى ١٢١٧ ميلادية.

- المدرسة العامرية، وقد أمر بتشييدها في رداع الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب. وقد ملك من سنة ٨٩٤ حتى ٩٢٣ هجرية /١٤٨٩ حتى ١٥١٧ ميلادية.

والدراسة المذكورة، التي بوشر بها سنة ١٩٧٨، كان لها ان تشمل أيضاً ابحاثاً واثرية، تتناول مجمل النواحي المعاصرة من هذين الصرحين.

ظفار، عاصمة الامام المنصور

ان شغاف ظفار المحصنة المنيعة، وقد باتت اليوم خراباً يباباً، وهي احدى اهم بقايا الآثار التاريخية في اليمن. يعود عهدها الى القرون الوسطى، وتقع على مسافة خمسة وسبعين كم شمالي صنعاء، بالقرب من قرية ذي بين الحالية.

ينتصب في قلب هذا الموقع الفاتن مشهد الامام المنصور انه وبالحق يقال احد روائع الفن الاسلامي لقد ابتني خلال القرن الثالث عشر / اي السابع الهجري . وينم تزويقه عن فن مرهف طريف . وفريد من نوعه في الهندسة باليمن .

يؤخذ من المصادر التاريخية، ان اعمال تشييد حصن ظفار وجامعها ، وقد بوشر بها سنة ٦٠٠هجرية/ ١٢٠٤ميلادية، بامر من الامام المنصور. كان الموقع حينذاك يدعى اكمة ابي الفتح، وهو اسم الامام الذي كان في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، قد



رسم (٣) جامع ظفار : ارتفاع الواجهة الجنوبية من قاعة الصلاة : اعادة تشكيل

ابتنى قلعة على تلك الاكمة، التي تحصنها منحدرات طبيعية سحيقة الغور. فاتخذ الامام المنصور هذا الملاذ المنيع عاصمة له، واطلق عليه اسم ظفار. وبعد وفاة الامام سنة ٦١٤ هجرية/ ١٢١٧ ميلادية، في كوكبان، بني ضريحه في ظفار، حيث دفن جثمانه نزولاً عند رغبته. وقد عرفت المدينة ازدهاراً بالغاً خلال القرنين التاليين، لان مكتبة الامام الثرية استقدمت عدداً من العلماء. واستطاعت البعثة الفرنسية ان تتبين قبور بعضهم.

ثم تولاها انحطاط شديد خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. وعندما زار ظفار النمساوي ادوارد غلازير، في ٧ فبراير من سنة ١٨٨٤، لم يجد فيها سوى سكان قلة يعيشون بين الخرائب، وقد غادر الموقع آخر قاطنيه ابان الستينات.

جامع ظفار:

يقوم الجامع على فسحة مستطيلة الشكل، طول ضلعها من الشرق الى الغرب ٢٤,٥٠ متراً، ومن الشمال الى الجنوب ٢٩ متراً. تستطيل قاعة الصلاة، شمالاً، برواقين جانبيين، وكان كل ذلك، في الاصل، وسيع الانفتاح على باحة مركزية، عبر اقواس انيقة جداً (رسم ٣). ومما يؤسف له ان الواجهة الجنوبية من قاعدة الصلاة قد باتت لاتزدان اليوم بتعاقب قناطرها المتسقة الجميلة، بعد ان طمست ، في عهد غير معروف ، بجدران خشنة من التراب المدكوك، وابواب خشبية كبيرة مسمرة.

اما الاروقة، وهي قليلة العمق وادنى مستوى من قاعدة الصلاة، فتزدان بالنسق ذاته من الزخرفة. ان واجهاتها المبنية بالآجر، وقد تداعى معظمها اليوم، قد اعيد ترميمها بجدران حجرية بشعة.

يبقى ان التزويق البديع من الجص الذي كان يزين واجهات الاقسام الثلاثة هذه من الصرح، انما هو كناية عن تتالي عُضْبيات كتابية، وزخارف ازهار او اشكال هندسية، مزدانة بعناصر صغيرة خضراء اللون من الخزف المطلي بالميناء بشكل نتوءات صغيرة الاحجام.

داخل قاعدة الصلاة، البالغة ٢٣ متراً (شرقاً/غرباً)، على ٩,٥٠ امتار (شمالاً/جنوباً)، ينتصب عشرون عموداً شاهقاً، تعلوها تيجان مزخرفة بالجص، ويتوسطها احدى عشرة فرجة تتجه تعامدياً نحو جدار القبلة. تحمل العواميد، على ارتفاع ستة امتار تقريبا، سقفاً فاتناً ذا تجاويف خشبية ملونة ومنقوشة، تجدر الاشارة الى ان الزخرفة غنية، بنوع خاص، في الفرجات الخمس المتوسطة، التي تعلو على الفرجات الاخرى. وقد افصحت المدوّنات عن معلومات تاريخية ثمينة بصدد المبنى: اسم مؤسسه واسماء ذرّيته، وكذلك اسم عائلة الصنّاع الذين اشتغلوا في الجامع. غير ان هذا السقف، الذي جرى ترميمه مراراً عبر القرون، هو الآن في حالة سيئة جداً، ولاسيما ان انهيار بعض التجاويف يعجّل في اتلافه جراء رداءة الاحوال الجوية

أما اطار المحراب، فمصنوع من الجصّ المشغول بحذق، تزّينه آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي (سورة ٩ / آية ١٨) - صورة (٢) يوجد في الناحية الجنوبية من الباحة عدة قبور، يعود اقدمها الى سنة ٦٣١ هجرية/٣٤ - ١٢٣٣ ميلادية، تحوط بضريح الامام . وهو عبارة عن مبنى صغير مربع الشكل (طول ضلعه ٥,٨٠م)، تعلوه قبة. جدرانه الخارجية موقعة على تساوق قناطر

مزخرفة جباهها باشكال هندسية محفورة في الجص، وبعناصر من الخزف المطلي بالميناء، شبية بالتي قد سبق وصفها اعلاه.

داخل الضريح، بل في وسطه، يحيط بقبر الامام الواح خشبية رائعة النقوش، كتبت عليها آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي.

ثمة مدّونات تاريخية بالخط النسخي، تبرز الزخرفة الهندسية عند مستوى قاعدة القبة صورة رقم (٣)

نشير ايضا الى ضريح آخر، في الجنوب الشرقي، يضمّ رفاة نجل الامام البكر، الناصر لدين الله محمد، الذي توفي سنة ٦٢٣ هجرية / ١٢٢٦ ميلادية. والضريح هذا شبيه من حيث هندسته وزخرفته بالسابق، مع اختلاف طفيف في التفاصيل.

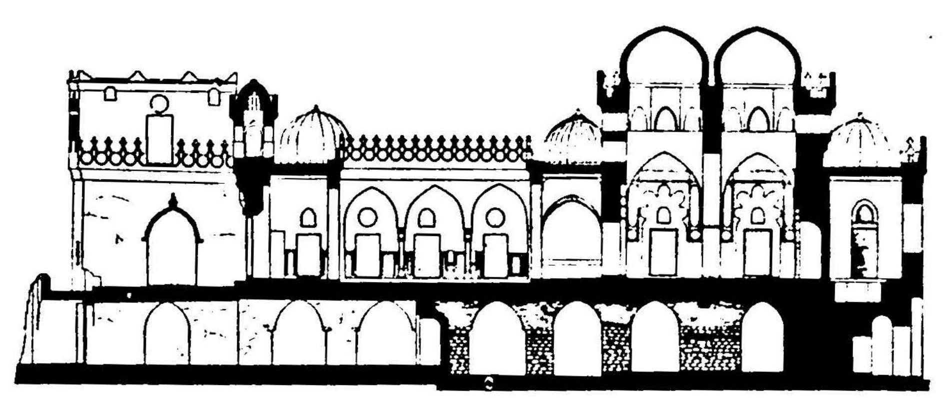
اخيراً المئذنة، المحاذية للجدار الخارجي الشرقي من الجامع. انها تمتاز بتزويق طريف جداً من الآجر. تقوم على قاعدة مربّعة، وتنتصب عالياً شكل عمود اسطواني الشكل، تلتف عليه تنانين بصورة ثعابين متقابلة الاشداق. وهو موضوع مألوف في الفن السلجوقي للقرن الثالث عشر.

الطاهريون:

كان الطاهريون من كبار الامراء في خدمة الرسوليين. ثم خلفوهم سنة ٨٥٨ هجرية / ١٤٥٤ ميلادية، وقد كانوا، هم ايضاً بناة كباراً. فشيّدوا في المنطقة الجنوبية من اليمن الشمالي صروحاً عديدة، مهيبة احياناً، ليس لها ان تغبط في شيء أجمل منجزات الرسوليين في تعزّ، كالمدرسة الأشرفية الشهيرة.

والمدرسة التي انتشت في العالم الاسلامي، وكانت مكاناً للتدريس والصلاة يسكنه الطلاب والاساتذة، بدأت تظهر في اليمن ابتداء من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

أسّس سلاطين الدولة الطاهرية تسع مدارس كبرى في مدن زبيد، وتعزّ وجبن، والمقرانة (عاصمتهم)، ورداع. وقد استتب



رسم ٤ : رداع : مقطع شمالي جنوبي للمدرسة العامرية

الامر للطاهرين طيلة ستين عاماً تقريباً، بالرغم من النزعات المستمرة التي اندلعت بينهم وبين الائمة شمالي البلد. وهم وإن استطاعوا، سنة ٩١٩ هجرية/١٥١٣ ميلادية، ان يردوا في عدن غارة البرتغاليين، الذين كانت مراكبهم المتوجهة الى الهند تمخر ارجاء البحر الاحمر، فقد عجزوا أن يصدّوا المماليك، المقبلين من مصر، عن دخول تهامة سنة ٩٢١ هجرية/١٥١٥ ميلادية.

ثم وصل المماليك، بعد سنتين الى تعز. فنهبوا واحتلوا العاصمة المقرانة في منطقة رداع. وبعد اشهر دخلوا صنعاء رافعين على نصال رماحهم رؤوس الشيخ عبد الملك، وشقيقه، والسلطان عامر بن عبد الوهاب، آخر ملوك الطاهريين، ذلك الذي كان قد امر سنة ٩١٠ هجرية/١٥٠٤ ميلادية بتشييد المدرسة العامرية في وسط مدينة رداع القديمة.

المدرسة العامرية

يبدو هذا الصرح بناء مستطيل الشكل، يبلغ ضلعه من الشرق الى الغرب ٢٣ متراً، ومن الشمال الى الجنوب ٤٠ متراً. انه يتكّون من طابقين كبيرين، وتستمدّ المدرسة طرافتها وجلالها من كون الباحة وقاعة الصلاة موجودتين في الطابق العلوي.

اما الطابق السفلي، وهو بمثابة الركن لهذا الصرح، فيتكوّن من ممرّ مقتطر وسطي، يجتاز المبنى من الجنوب إلى الشمال، والممرّ ذاته تقاطعه سلسلة قباب عرضانية، مسطومة عند أطرافها، فتشكل بذلك سلسلة مقاصير صغيرة، لايمكن بلوغها الا من الخارج. ولعلها كانت حوانيت في الاصل. وقد ادخلت عبر القرون تعديلات عدة على تنظيم هذا المجال، وأهمها ترتيبقاعدة ثانية للصلاة في النصف الجنوبي من الطابق السفلي، وفسحة مقصورة على الوضوء في الزاوية الجنوبية الغربية من المبنى، وقد كان ذلك مخصصا للنساء كما يبدو. وفي الجنوب تستطيل المدرسة ببركة كبيرة في الهواء الطلق.

أما في الطابق العلوي، فنميز بوضوح اقساماً ثلاثة كبرى: باحة اولى الى الجنوب، الباحة الداخلية في الوسط محاطة بالاروقة، وقاعة الصلاة الى الشمال، التي تلتف حولها ثلاثة ممرات مقنطرة.

فالباحة الاولى، التي يحدها الى الشرق والغرب برجان كبيران، والى الشمال الجدار الذي يفصلها عن الباحة الداخلية، هي مشرعة ناحية الجنوب. وتشرف على البركة الواسعة التي يجري عندها الوضوء فبل كل صلاة. يمكن بلوغ الباحة الاولى من طريقين: أما من الجنوب بواسطة درج مزدوج، وأما من الشرق عبر البوابة المحاذية لبرج الزواية.

الباحة الوسطى يحيط بها من جوانبها

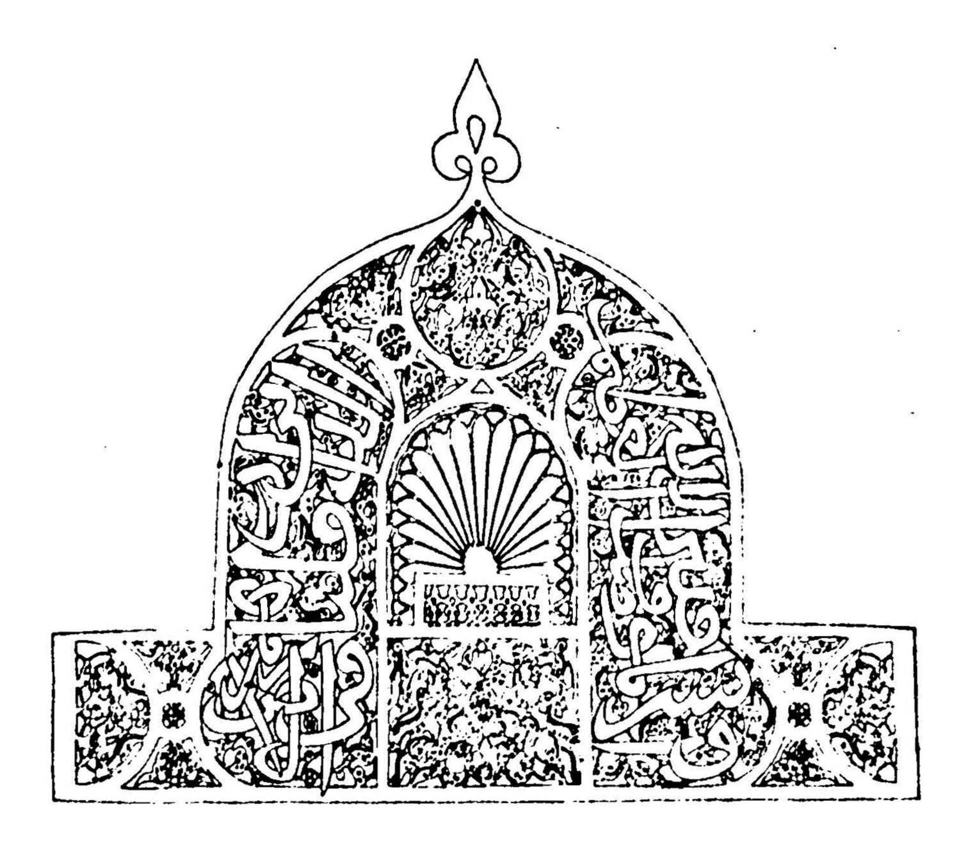


رسم ٥ : رداع. ايات قرآنية مرسومة بالجص تزين الجدار الخارجي للمحراب.

الاربعة اروقة وممرات مقنطرة وأعمدة نحدها شرقاً وغرباً صالتان كبيرتان مستطيلتا الشكل، كانتا تستعملان للتدريس في ما سلف.

اخيراً الى الشمال، قاعة الصلاة، التي تغطيها ست قباب كبيرة شاهقة، تنفتح من جميع نواحيها، عبر تسعة ابواب، على اروقة وممرات مقنطرة. وان الزخرفة الملونة التي تزدان بها هذه القاعة فريدة في نوعها: نحدها من الاسفل كتابة تاريخية عريضة مهيبة، مصنوعة من الجص، فتزنر القاعة باسرها، وتمتد على مجمل الاقواس والقباب، مقرونة بتشابيك هندسية أوزهرية، فضلاً عن ارتسام آيات قرآنية مخطوطة عديدة.

والواجهات الشمالية والشرقية والغربية خارجياً، الموقعة على فتحات الاقواس المنكسرة للممرات المقنطرة، تتميز كلها بنوع واحد من الزخرفة، يتمثل بشكل مشكاوات مسطحة القاع. ناهيك عن شرانف فارعة الجانب، تتوج المبنى عند مستوى المشارف، حيث تتعالى القباب الست الشاهقة لقاعدة الصلاة، والقباب المضلعة فوق الاروقة والممرات.



حول الوثائق التربوية اليمنية

محمد محسن الوادعي

إن تقديم قصة التربية في اليمن في اطارها التقليدي وفي أساليبها القديمة يشكل في الوقت الحاضر تراثاً تاريخياً تضطلع به المؤسسات الثقافية بين الأمس واليوم فحسب ولكن آثاره ستمتد إلى كشف العوامل الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي أنشأت مثل هذه التربية وكونتها في ظروف معينة ، وهذه العوامل والظروف قد زالت اليوم من مجتمعنا اليمني المعاصر وتغيرت ، فيلزم أن تزول التربية المرتبطة بها وتتغير ضماناً لتجديد الحياة واستمرارية البقاء .

وما تشهده الجمهورية العربية اليمنية وللمرة الاولى في تاريخها التربوي الحديث يدخل في دور الانتفاضة في وجه هذا الاطار الأزلي للتربية التقليدية وأساليبها العقيمة ومحتوياتها الضيقة .

ومن خلال الدعوة إلى مزيد من الوعي الوثائقي ، وحفظ الوثائق وطرحها للبحث والدراسة ، سوف تعقد الصلة بين السعي المحدث لبناء مجتمع عصري ، يساير عصر الثورة العلمية والتكنولوجية وعصر الجماهير الواسعة العريضة وبين الارث التاريخي الذي لا يمكن الانفصال عنه ، فأي بناء جديد للدخول في العصر الحديث المتغير السريع يظل غير مثمر اذا لم تضطلع المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث الى إبراز قيم هذا البناء الجديد بالقياس إلى ذلك الماضي القريب الضارب جذوره الى العصور الوسطى والذي حطمته شعوب قبلنا وتجاوزته في وقت مبكر إلى الأفكار والتجارب التربوية الجديدة وضمن مراحل زمنية طويلة .

ولهذا فان نشر مثل هذه الوثائق التربوية يعتبر جزءاً من جهد مشترك نأمل أن يكون موصولاً من كل المهتمين بالتطورات الاجتماعية ، مستهدفين من وراء ذلك إعادة هذا التفاعل بين المجتمع والتربية الجديدة . واكتمال المعالم والخطوط العريضة لدى الجيل الجديد عن التعليم ومفهومه قبل ثورة السادس والعشرين

المملكة اليمنية المتوكلية

وزارة المعارف

العموميه

رقم

في ١٤ شهر [illegible] سنة ١٣٩٥
١٣٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بناءً على الاختبار من هيئة المدرسة الثانوية بالعاصمة للسيد احمد بن محمد بن علي معاد بعد اكماله نواقص الدروس اللازم تدريسها وظهرت لياقته للتعليم حسب اوراق الاختبار المحفوظة في المديرية العموميه لتعيينه في اي المدارس الابتدائية فقد كان تعيينه بأمر بيده فبناءً مرجو بالعزم على بركة الله لمباشرة هذه الوظيفة الشريفة واجرائها بهذه التعليمات والمؤمل منه الجد والاهتمام وبذل الوسع في تهذيب ابناء دينه وبلاده وتثقيف اخلاقهم وبث الروح الدينية في نفوسهم وتعريفهم ما يجب عليهم لخالقهم الكريم وما يجب عليهم نحو بلادهم ونحو امامهم الساعي في مصالح البلاد وغرس محبة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلوبهم. فليكن منكم عند مباشرة العمل حصر التلاميذ وتأسيسهم لديكم في دفتر بأن يبين اسم التلميذ واسم ابيه ولقبه ومحله وتاريخ دخوله والتعقيب على كل من بلغ سن السبع وليكن اجراء الدراسة بموجب المنهج وبموجب الكتب المطبوعة المطابقة له :

فالسنة الأولى : يدرس فيها التلاميذ من الف با الى سورة المرسلات مع الجزء الأول من الديانة ويدربون على الكتابة وعلى الحساب الذهني ويعتنى جداً بدرس [الهجاء] ففي ذلك عون عظيم للمعلم

وفي السنة الثانيه : يدرسون من المرسلات الى القصص والجزء الاول من الديانة بتوسع والجزء الاول من الأخلاق المطبوع عن مطبعة الوزارة ويدربون على الكتابه ويعودون على الفصل [القراءة] وعلى الحساب الذهني

وفي السنة الثالثه : يدرسون من القصص الى نهاية القرآن الكريم مع الجزء الاول من الاخلاق يعادلهم بتوسع والجزء الثاني من الديانة والجزء الأول من الحساب ويدربون ايضا على الكتابة والاملاء

وفي السنة الرابعة : يكون اعادة القرآن الكريم تجويداً مع تفهيمهم قواعد التجويد ويدرسون

الجزء الثاني من الاخلاق والجزء الثالث من الديانة والجزء الاول من الحساب ويدربون على الاملاء والكتابة
وفي السنة الخامسة : يكمل لهم القران الكريم تجويدا مع درس الديانة الجزء الثالث والاخلاق
الجزء الثالث والحساب الجزء الثاني مع تعريفهم قواعد الاملاء وتدريبهم على اتقان الكتابة
وليكن منكم العناية والجد التام في تفهيم الطلبة معاني الدروس من دون اقتصار على الالفاظ فذلك
لا جدوى فيه بل تكليف للتلاميذ بما هو تعاب لافكارهم وليكن درس القران الكريم في جميع سنوات
مستمرا يوميا يبتدأ به ودرس الديانة والاخلاق يدرس من كل منهما درسان في الاسبوع
ويكون درس الاملاء والخط والحساب في الاسبوع مرة ودرس القراءة والهجاء في السنتين الاولتين
مستمرا لاهميته . وليكن جعل طلبة كل سنة في درس واحد ومن غاب مدة فيدرس مع
اقرانه من حيث بلغوا ويستدرك منفردا ما فاته وعقبوا ورغبوا ومن عرد فيكون الرفع به الى
العامل لضبط وليه فان لم يحصل ضبط فيكون الرفع الى الوزارة وليس لكم ترخيص احد الا
لمدة يومين للعذر الضروري ولا اخراج احد الايام من الوزارة . وليكن منكم ارشاد العوام
وتعليمهم الواجبات في اوقات الفراغ من التعليم كبين العشائين وبعد الفجر وتنبيه افكارهم
الى تذكر ما من الله به عليهم من تعميم الامن والايمان والاستظلال بظل راية آل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم التي ازاح الله بها عن قطرنا الشعبة ما بلي به جل اخواننا المسلمين من الاضطهاد .
هذا وانا نوصيه بتقوى الله عز وجل وبذل واجب النصيحة والاخلاص في العمل والتزام حسن
السيرة والعفة والتسوية بين التلاميذ وتقدير هذه الوظيفة الشريفة حق قدرها ويعرض هذا
على العامل حرسه الله للافادة بتاريخ المباشرة والمعاونة بالضبط ونحوه والله الموفق والمعين

وكيل مولانا سيف الاسلام محمد البدر ايده الله
[signature]

من سبتمبر عام ١٩٦٢ م .

ولسنا في صدد تقديم دراسة تربوية عن مجتمع ما قبل الثورة اليمنية عام ١٩٦٢ م . أو تحليل وثائق من هذا النوع لكشف عصرها أو ما قبلها من العصور . فهذا شيء كبير وهام أيضاً . ولا ندعي القدرة العلمية على الخوض فيه ، ولكن الملاحظة التي يثيرها الشباب في اليمن وخارجه عن مكانة العلوم التجريبية (كالزراعة ، والصناعة والهندسة ، والطب) في المدارس الاسلامية ضمن ازدهارها بعلوم اللغة والفقه وغيرهما من العلوم الانسانية تدفعنا إلى إثارة الباحثين للوقوف منهم على هذه المكانة .

لقد كشفت الدراسات التي أخرجها الاستاذ / الكبير : اسماعيل علي الاكوع في كتابه « الدراسات الاسلامية في اليمن » جوانب ومعالم هامة عن هذه المدارس وكان ازدهارها يتم عبر مؤسسات المجتمع مثل المساجد والزوايا والمنازل أو في إطار مؤسسات رسمية تعليمية مباشرة . ولكن يبقى اختفاء الجانب الأخر من العلوم الطبيعية موضع تساؤ ل ؟ .

لماذا اختفت هذه العلوم من المدارس الاسلامية في اليم بعد أن كان للعلماء العرب المسلمين رف السبق الى احتضانها .

لقد كان من أهم مميزات الحضارة العربية الاسلامية أنها جمعت بين المطلبين الأساسيين للحضارة بين العلوم الانسانية والفكرية والخلقية وبين العلوم الحياتية القائمة على البحث ومشاهدة الطبيعة وفحصها واستخراج القوانين منها . وبهذا المفهوم للتعليم أشعلت الحضارة الاسلامية شرارة التقدم الانساني ، فهل يجوز التسليم بأن هذه العلوم التجريبية التي أدخلت إلى مدارسنا وجامعاتنا حديثاً هي أشياء مجلوبة من البلاد الأخرى ؟ وأن حضارتنا العربية الاسلامية غريبة عنها ؟ ويصف العلامة الشيخ : عبد الواسع الواسعي الوضع التعليمي عام ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م . بانه مأساة لافتقاره الى العلوم الحديثة ويطالب بتعليم العلوم الطبيعية والصناعية والزراعية والمالية وذلك في كتابه « فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن » . فهل كان قصور التعليم في هذه الفترة امتداداً لعصور سابقة ؟

أم أن هذا المفهوم الضيق طارىء على مجتمعنا اليمني المسلم بحكم الظروف السياسية والاجتماعية التي سادت في تلك الفترة من حكم الامام يحيى حميد الدين ؟ .

ان هذه اليقظة الاصلاحية التي دعا اليها العالم الجليل الشيخ : عبد الواسع الواسعي تضفي كلماتها الحارة واتساقها الموضوعي صبغة تاريخية على التربية في تلك الفترة .

وقد يكشف البحث قبل هذه الفترة وبعدها عن عدد من الاهتمامات والممارسات الفردية والجماعية التي تؤكد رفض علماء الدين الاسلامي في اليمن لهذا المفهوم القاصر للتعليم الاسلامي .

ان كتاب المدارس الاسلامية في اليمن بداية هامة في هذا المجال ، ويذكرنا هذا الجهد الكبير بأهمية التوثيق التربوي لا في عملية المساعدة على البحث التربوي فقط ، وانما تمتد أهميته إلى البحوث الاجتماعية بشكل عام فالوقوف على أي جانب تربوي مهما كان بسيطاً يشكل في حد ذاته مجالاً خصباً للدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لأن التربية بما تحتويه من برامج وأهداف ووسائل ومباني وأشخاص تعبق برائحة عصرها الذي ولدت فيه فتنبىء عن طعمه وتكشف عن لونه ومذاقه ، وهذا هو ما يفسّر الدوافع وراء الاهتمام الدولي

بالتوثيق التربوية وانشاء مراكز وطنية متخصصة لجمع وحفظ وصيانة كل ما يتعلق بالتربية ، وأتذكر بهذه المناسبة ذلك البريق الوهاج الذي ساد وزارة التربية والتعليم في اليمن أواخر الستينات وبداية السبعينات حيث أنشأت قسماً للتوثيق التربوي وتحمست له ، ومع الأسف اختفى ذلك البريق فانطفأ معه حماس استمرار نشاط هذا القسم ، ضمن الهزات العنيفة ، وعدم الاستقرار الذي تعرضت لها الادارة التربوية .

التعليم في الثلاثينات :

وتكشف لنا الوثيقة المنشورة صورتها على الصفحة . . . معلومات عن ما كان يسمى بالمدارس الابتدائية (الكتاتيب) في الثلاثينات وحتى قيام الثورة المباركة وقد علق أحد الأخوة على أهمية هذه الوثيقة بأنها ضمت بين أسطرها أجهزة وزارة التربية والتعليم جميعها ، أما الشكل والمحتوى فينبىء عن وعي تربوي متقدم لكاتبها ، وتبرز أهميتها للباحثين في أنها تعطي الخطوط العريضة للباحثين لما احتوت عليه من معلومات عن الادارة التربوية في ذلك العصر وعلاقتها بالسلطة المركزية والمحلية وعن نظام القبول ، وما قد يسمى بالسن الالزامية للتعليم ، كما يشتمل على اللوائح الداخلية للمدرسة وتنظيم السجلات للحضور والغياب والأعذار الموجبة للترخيص ، والجهة التي يحق لها فصل الطالب . وتحتوي الوثيقة على المناهج والمواد التعليمية والساعات المقررة في الاسبوع وتنظيم الصفوف وسنوات الدراسة الابتدائية وطريقة التدريس والتحذير من الاكتفاء بحفظ الألفاظ دون فهم والكيفية الاجرائية لاختيار المعلم للمهنة ، كما اشتملت أيضاً على ما يمكن تسميته بدليل المعلم لاحتوائها عل توجيهات مسلكية .

كما احتوت على الفعاليات المطلوبة من المعلم داخل الصف وخارجه ، ومطالبة المعلم بالنشاط الاجتماعي في ارشاد العوام (محو الأمية) وفي التوعية السياسية التي كان يطلب من المعلم أن يقوم بها بمفهوم ذلك العصر . وتاريخ الوثيقة يؤكد بأنها صدرت عام ١٣٦٥ هـ . موجهة على شكل تعليمات الى السيد / أحمد محمد بن علي معاد على اثر تعيينه معلماً في إحدى المدارس الابتدائية ، ولم تعين هذه الوثيقة اسم تلك المنطقة التي تعين للعمل فيها . والوثيقة مكتوبة بخط يد وموقعة بنفس ذلك الخط تحت اسم « وكيل مولانا سيف الاسلام فخر الدين أيده الله » أي أنها صدرت أيام تولي السيف عبد الله بن يحيى حميد الدين وزارة المعارف أيام حكم أبيه .

ويضم الجانب الأمامي منها سبعة عشر سطراً ومثل ذلك في الجانب الخلفي . أما كيفية حصولي على هذه الوثيقة فلذلك قصة يعرفها الأستاذ / أحمد محمد علي معاد وأرجومنه أن يعذرني فيما أقدمت عليه من الاستيلاء عليها رغم معارضته لذلك عام ٧٦ / ١٩٧٧ م . وتبقى له عليّ وعلى الباحثين يد المنه والذكرى الجميلة .

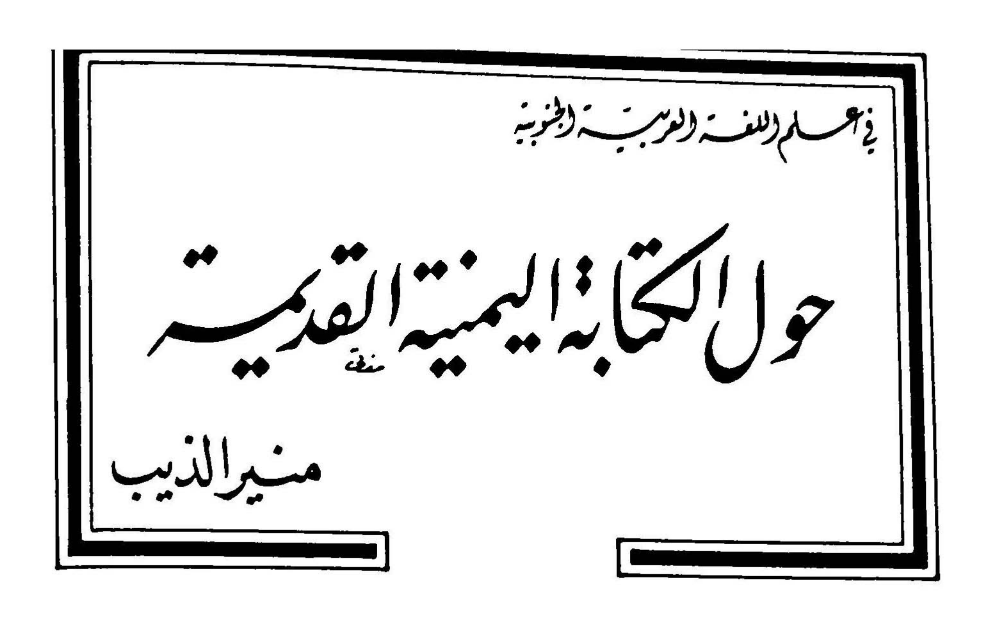
مراجع البحث :

١ ـ دراسات في التربية المقارنة ٦ : وهيب سمعان ، مكتبة النهضة المصرية .

٢ ـ المدارس الاسلامية في اليمن القاضي / اسماعيل علي الاكوع ، منشورات جامعة صنعاء .

٣ ـ « تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن » ، المطبعة السلوية / القاهرة .

٤ ـ التربية عبر التاريخ من العصور القديمة الى القرن العشرين .



هذا اللسان الذي كان يشمل لهجات عديدة المعينية والسبئية والقتبانية والاوسانية والحضرمية وتعتبر المعينية أقدم اللهجات هذه ومن مدنها المشهورة قرناو وثيل.

والثانية السبئية وهي لغة مملكة سبأ وعاصمتها مأرب ثم ضم إليها بلد ريدان فصار ملوكها يسمون سبأ وذوريدان وذلك سنة ٢٠٠ ق.م واتسعت هذه المملكة سنة ٣٠٠ ب.م تقريباً وصاروا يسمون ملوك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات ثم كان حينئذٍ ابتداء مملكة حِمْيَر التي عاصمتها ظفار وأول ملوكهم شامر أو شمِرُ بن يهرعش وله قصة شائعة بين العرب وفي سنة ٥٢٥ ب.م استولت الحبشة على المملكة ثم جاء الفرس وعبثوا بالبلاد إلى أن طردهم اليمنيون وليس من صلب البحث.

وقبل أن نبدأ بالبحث في قواعد اللغة العربية الجنوبية لابدّ من كتابة الابجدية القديمة برسم حروفها.

رسم	حرف	رسم	حرف	رسم	حرف
𐩱	ا	𐩭	خ	𐩰	ف
𐩨	ب	𐩼	ظ	𐩮	ص
𐩴	ج	𐩺	ي	𐩳	ض
𐩵	د	𐩫	ك	𐩤	ق
𐩹	ذ	𐩡	ل	𐩧	ر
𐩠	ه	𐩣	م	𐩪	س
𐩥	و	𐩬	ن	𐩦	ش
𐩸	ز	𐩯	...	𐩩	ت
𐩢	ح	𐩲	ع	𐩻	ث
𐩷	ط	𐩶	غ		

كانت النقوش اليمنية قد امتدت من حضرموت إلى الجوف ومن البحر العربي إلى تهامه ونجد في مملكة كشفت حديثاً في مدينة الفاو

(مملكة كندة) ووصلت الكتابات إلى منطقة الصفا جنوب دمشق في حوران. وتوالت العصور آلاف السنين مع توالي الممالك وظل الخط المسند علامة لغة الجنوب بحروف كاملة الالفاظ. في ثمان وعشرين حرفاً واذا مادرسنا قواعد هذه اللغة نجد القواعد التالية:

لا حركة في كتابة النقوش ولا علامة للسكون أو التشديد فلا نعرف بدقة الهيئة الحاصلة للكلمات بالأشكال والراجح انها كانت تطابق هيئة سائر اللغات السامية ولاسيما هيئة اللغة العربية ويعبر عن اتحاد الفتحة والواو أي بحرف [illegible] مثل [illegible] (يوم)

وكذلك عن اتحاد الفتحة والياء بحرف [illegible] البيت وربما يكون [illegible] علامة لاشباع الكسرة وهو نادر. [illegible] اسم أكبر آلهتهم وقد تسقط الواو أو الياء في الكتابة نحو [illegible] وصوابه [illegible] وأما [illegible] في آخر جميع الأفعال فلا تسقط وكذلك في آخر المضمرات [illegible] sataru سطروا [illegible] هم وقد يكون [illegible] مقام الفتحة أو الكسرة نحو [illegible] وصوابه [illegible] (Bon) [illegible] وهذا في النقوش المعينية دون غيرها فإنها أقل ضبطاً في السبئية نحو [illegible] ملك معين.

لكل كلمة يفصل بينها وبين الكلمة التي تليها تسطر عامودي نحو [illegible] ملك سبأ اذا دخل حرف ذو مقطع واحد والمراد الحرف الدال على معنى في غيره نحو [illegible] أو [illegible] فيكتب هذا الحرف متصلاً بالكلمة الداخل عليها نحو [illegible] muattar كان الداخل على الكلمة حرفين أو أكثر فالانفصال نحو [illegible] woba Attar أي تو عتر

لا علامة تدل على أن الحرف مشدد وقد يكتب الحرف المشدد مرتين كما في لغات أوروبا نحو [illegible] yamatt' يمتع وهذا في المعيني لا في السبئي.

أرقام الأعداد هي ١=١، ١١=٢، ١١١=٣ ١١١١=٤ [illegible] =٥ وهو أول كلمة خمس [illegible] ١٠=٥ وهو أول كلمة [illegible] (عشرة [illegible] =١٠٠ أول كلمة [illegible] مئة [illegible] =٥٠ هو شطر حرف [illegible] (١٠٠) [illegible] =١٠٠٠ أول كلمة [illegible] =ألف وتسبق كل رقم علامة هي [illegible] وتليه مثلها [illegible] =١٥٠

حرف [illegible] الساكن قد يتحد مع الحرف الذي يليه ويسقط في الكتابة فكلمة [illegible] مثلا قد تكتب [illegible] ولفظة bITT (baTT) بنت

الضمير

	الضمير المنفصل	الضمير المتصل
المفرد		
المتكلم	[illegible] ana' أنا (؟)	[illegible] ya (١)
المخاطب	ـــــ	ـــــ
المخاطبة	ـــــ	ـــــ
الغائب	[illegible] bu'ol ولم يرد في النقوش المعينية	[illegible] bu- في السبئي؛ [illegible] su في المعيني
الغائبة	[illegible] bi'a هي ولم ترد في النقوش المعينية المعروفة	[illegible] ba ها (لم يرد في النقوش المعينية المعروفة)

المثنى

المتكلمان ــــ

المخاطبان ــــ

الغائبان ـ الغائبتان ــــ

ــــ

ــــ

bumay او buman

وهو نادر هما هذا في السبئي

وفي المعيني suman

لم يرد هذا الضمير إلاّ في بعض الاعلام المركبة نحو = معد يكرب ولا ريب في وجوده في اللغة فإنه موجود في سائر اللغات السامية.

الجمع

المتكلمون ــــ

المخاطبون والمخاطبات ــــ

الغائبون bumai في السبئي

وفي المعيني sumu هم

الغائبات ــــ

ــــ

ــــ

bumu في السبئي

وفي المعيني sumu هم

buma هن (ولم يرد في النقوش المعينية المعروفة

امثلة في هذه المضمرات هم حمدوا وفي المعيني bensu, ابنه bum bu ذهبها كلهم kull bumu مقابرهن اذ الحق حرف × بآخر الضمير الغائب المنفصل سواء كان مذكراً أو مؤنثاً مفرداً أو جمعاً أفاد هذا اللحاق تأكيد معنى الضمير الأصلي أي الاشارة نحو هوذاته bit هي ذاتها (؟) هم ذاتهم (؟) أولئك ذاتهم والاسم الذي يتبع هذا الضمير المؤكد يلحق بآخره وهو اداة التعريف تقوم مقام لام التعريف امثلتها هذه الكفارة ذاتها هذا المكان ذاته أولئك الاولاد ذاتهم.

أسماء الاشارة هي هو والفرق بين المذكر والمؤنث إنما في اللفظ لا في الكتابة هذه (واصلة dant) (أولئك) ويلحق التعريف بآخر الاسم وقد يقدم نحو Bagaran dan ذن بقرن

امثلتها dan Bugran هذه المدينة أولئك الكور
ويجيء موجزاً أي وكذلك
وبالايجاز ويفيد هذا اسم الاشارة
الموجز نسبة بمعنى من أو صاحب نحو
من هران أو صاحب نحو من هران أو
صاحب هران من بني مرشد
ويختص هذا بالسبئي ويدل أيضاً على مادة
الشيء نحو (هذا) الثور
من ذهب ويكون أيضاً ومثله
اسماً موصولاً بمعنى (الذي) نحو
الاوثان التي بين التخليق
وتلحق اداة التأكيد أي × ومعناه
الاشارة نحو هذه المدن وفي
المعيني وقد يرد في النقوش السبئية
الحديثة جداً عوض × أي
وهو يتبع الاسم المشار إليه نحو
أولئك الامراء.

الموصول الذي توافقه ذو
الطائية ولعله في المعينية am أيضاً
التي ella الذي وهذا
الأخير يجيء في السبئي بمعنى المفرد ثم
man الذي واذا كانت الصلة جملة
يسقط الموصول قبلها نحو

والاسم السابق لهذه الجملة لايقبل أداة
التنكير أي يطابق ما العربية
بمعنى شيء غير محدد وقد يجيء زائداً مثل ما
الزائدة وهذا في بعض الاعلام نحو
abi- ma attar

اسم الاستفهام لم يرد في النقوش المعروف
إلى الآن والراجح انه كان man
للأشخاص و ma للأشياء كما في
العربي.

الفعل

الفعل إما بسيط وهو الاصل أو مزيد
والزيادة حرف يلحق أوله كما في العربي والافعال
الواردة في النقوش إنما هي الغيبة دون الخطاب
والتكلم.

الفعل البسيط على ثلاثة أقسام القسم
الاول نحو قتل gatala أو gatila أو
gatula أو gutila قُتِلَ واسم الفاعل × gatil
مثاله هذا الفرس
وراكبه والمفعول magtul وهو كثير في
الاعلام المنقولة نحو سعود والمصدر
gatl قتل على الأكثر والقسم الثاني
نحو guttala قتّل بتشديد × على
وزن فعّل والتشديد إنما يتتج من الشبه بالعربي
وسائر اللغات السامية اذ لاعلامة له كما سبق
واسم الفاعل مُقَتِّل magattal (؟)
guittal قتال والقسم الثالث gatala
على وزن فاعل موافقاً لقاتل في العربي ولاتعرف
لهذا القسم مثالاً اكيداً لعدم الحركات في الكتابة
ويحتمل ان يكون من هذ القبيل
mugatil مقاتل والمصدر gital قال
غير أن كل هذا بالتخمين لا بالتحقيق لعدم
الحركات كما مرّ.

والفعل المزيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام
الاول مايلحق أول الفعل الاصلي حرف
في السبئي وحرف في المعيني
ومثله في القتباني والحضرمي ويقابل هذا في
العربي ومثاله أو أحدث
والاصلي حدث واسم الفاعل
في السبئي أو musggtil في
المعيني مقتل نحو mubagtil مبئس

(مسيء) ((تقي والمصدر أو
bigtal bagtat أو
sigtal sagtilat اقتال

وفي القسم الثاني يزاد X في الاقسام الثلاثة الاصلية المجردة وفي الاول منها تقع الزيادة بعد الحرف الاول لاقبله مطابقاً للعربي نحو cgtatala gatatala اقتتل على وزن افتعل واسم الفاعل mugatil مقتتل والمفعول mugtatal نحو mustara مورد المواشي (9) وفي القسم الثاني يلحق X بأول الفعل

وكذلك في الثالث على وزن تفعّل وتفاعل نحو tamaddara tbaraka تبارك والمصدر tagatul وزن تفعل في الثاني tagatul على وزن تفاعل في الثالث وفي بعض الافعال يزاد حرف في أولها أي magatila على وزن انفعل نحو mabagala

وفي القسم الثالث يلحق أول الفعل الاصلي أي stagtala satagtala على وزن استفعل نحو satamala'a ان يُمتع وهذا مطابق للعربي كما لايخفى وليس للفعل الربعاي من أثر من النقوش الا فعل B'amana في المعيني غير أن الاعلام المنقولة من مثل هذه الافعال وهي كثيرة توهم أن الفعل الرباعي كان شائعاً في اللغة.

تصريف الفعل الماضي

المفرد	المثنى	الجمع (المجموع)
الغائب		
قتل	قُتلا	قُتُلوا
قَتَل	قتلت ا	
الغائبة		
قُتالت		

امثلة (المعجزة التي سرقت من هيكله)

المضارع

المفرد المرفوع	المنصوب والمجزوم	المرفوع	منصوب ومجزوم
يقتلُ	يقتل	وفي السبئي	يقتلوا
تقتل	يقتل	يقتلون	
	يقتلن (سبئي)		

ان دخـول حرف ا يدل على الـدعـاء في الفعل مثل : ليقضي علينا ربك (ليجول وليكسر ليصعد وليرفع العدو)

الافعال الشاذة

مثل [illegible] (أجد)

ولايقال بغداد بدل بغدادد

وفي المعنى [illegible] (بدل

musbrr مسبر ر musbere

الافعـال التي أولهـا [illegible] يسقط منها هذا الحرف في الفعل المضارع [illegible] في المضارع مثل ورد/ يرد وفي الاعال المنقولة [illegible] .

الاسم

يوافق الاسماء السامية

أسماء بسيطة

فرس [illegible]

ملك [illegible]

رجل [illegible]

عنب [illegible]

ابل بمعنى جمل [illegible]

النعت

يتبع المنعوت في جميع أحواله

واحد [illegible]

مؤنث واحدة [illegible]

اثنان [illegible]

مؤنث [illegible]

ثلاثة [illegible]

أربعة [illegible]

[illegible]

خمسة [illegible]

ست [illegible]

[illegible]

[illegible]

سبعة [illegible]

[illegible]

ثمانية [illegible]

[illegible]

تسعة [illegible]

[illegible]

عشرة [illegible]

[illegible]

الحرف

ba [illegible] وتـارة يأتي مع [illegible] = ت أومن وعن

[illegible] = لن لام الجر السبئي ki [illegible] وبالحاق [illegible]

=لام الجـر المعيني وفي السبئي موصـول حرفي يدخل على الفعل babxg bibag لأجل

بين [illegible]

بعد [illegible]

[illegible] الى حتى الى وفي السبئي [illegible] موافقاً لعند [illegible] (نوق)

عنير [illegible]

نحو [illegible]

[illegible] وفي السبئي لاجل [illegible] أو [illegible] (مع)

[illegible] بلا بدون (غير)

النقوش

رجـل من بني عذران اسمـه ربيب يقـدم (١) وثناً لالمقاه وهو اله (الاه) المنهم مستمتعاً منه عافيه وخصباً ويعده أن يذبح له ذبيحة في كل سنة

ربيب ابن (من آل) عذران قدم (هــذا) الوثن كما أمره المقاه رب أوام بوحيـه أن يقـور (٥) في مهلهم ذوردمـان ٥ (وذلــك) لعـافيتهم ولعـافيـة (الخصب) الاثـمار والحصـد التي في سهلهم ولعـافيـة ارباب أهلهم

و(عافية) مواشيهم و(كما امره) ان يذبح (أو معناه وسيـذبـح لهذا) الوثن مرة في السنة (في كل سنة) ذبيحـة صحيحـة انثى أوذكـراً ولحام المقاه (ربيباً الله إله

المراجع

١ ـ دراسات في علم اللغة الجنوبية: غويدي: روما

٢ ـ أحمد شرف الدين ـ تاريخ اليمن

٣ ـ حمزة علي لقمان. عبادات اليمنيين القدماء

٤ ـ يوسف هاليفي: نقوش اليمن

٥ ـ جلازر: آثار اليمن

٦ ـ دراسات البعثة الامريكية: ويندل فيلبس

(١) المـراد بقـولنـا قدم هوتقـريب الشيء لالـه خاص بنيه الشكر والسجود.

كتاب :

ملح الملاحة في معرفة الفلاحة

تأليف : الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول

المتوفى ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م

نسخه وعلق عليه : محمد عبد الرحيم جازم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفضل على خلقه بنعمه الموسع
عليهم في المعايش بكرمه من ثمرات مختلفا
الالوان صنوان وغير صنوان . وصلى الله على
رسوله محمد المختار وعلى اله وراشدي اصحابه
الكرام الاخيار وبعد . فهذا كتاب جمعته
بحسب الطاقة والاجتهاد واستعنت بذلك على
رب العباد ووضعته على حكم اصطلاح اهل
المعرفة في اليمن بعد البحث معهم في كل ما فيه من صنف
وفن وسميته . ملح الملاحة في معرفة الفلاحة
ورتبته على سبعة ابواب . الباب الاول فيما يحتاج
اليه من الفلاحة واوقاتها الزرع والغرس واعمال الارض
واصلاحها الباب الثاني في الزرع وما يتعلق بها .
الباب الثالث الثاني وهي الحبوب الحمص العدس
الماش اللوبيا الباقلاء العتر الهندبا الرهقان وهي

الكشد الحلبة الحرف الخردل الترمس السمسم
بزر الكتان ويسمى الحبة السوداء الباب الرابع
في الاشجار المثمرة وهي النخل العنب التين البلس
الرمان السفرجل التفاح الاجاص الكمثرى الخوخ
المشمش التوت الزيتون الجوز اللوز الفستق البندق
النارجيل الفوفل الترانبط الموز قصب السكر الاترج
الماصن النارنج الليمون المختم الليمون المركب الليمون الصغار
الترنج السدر الغيار شنبر الباب الخامس في الرياحين
وهي الورد النوفر النرجس الخيري ويسمى المنثور الياسمين
البرك الآس الريحان المرد نجوش الازاب وهو الحبق الترنجان
الكاذي الفاغر وهو الصبر الاقحوان ويسمى البت البابونج
الضيمران للنا ورنه الفاغية ويسمى الحنون الهندبا
وهو الزمان شقائق النعمان ويسمى اقحاح زبيدة المطيبة
الباب السادس في الخضراوات والبقول وهي
البطيخ الاصفر البطيخ الاخضر ويسمى الهندي وهو الرقوس

نطلع على شهر واوربة فاذا اقد طلعت حرّ لها اخرج وبها
يوعا بها وسقيت كل ثمانية ايام وتحمل على عشر سنين وقد
غراسته في شهر شباط واجود الارض له البلاد البارد
اللوز يغرس كما يغرس المشمش وعمله كعمله
وسقيه كسقيه و و ق غرسه وقت غرس الاشجار
المقدم ذكرها في شباط الفستق والبندق
لبساتين رابع اليمن ك النارجيل يغرس
من حبه بلبد مثل غرس الجوز ويغطا ناكا يغطا
ووقت غرسه في شهر شباط وهو يطى الحمل
فصل يوخذ النارجيل الجيد الحامز الذي قد
عقد في قحفه وصار رزينا اذا قلقلته بيدك تقلقل
وعلم انه قد صار يابسا في قحفه فيقشر عليه لبقه ولا
يترك عليه الا المدعة التي له سالمة ويختار منه ما لم
سف في مواضع الاعاس الثلاثة التي في المدعة
بل تكون جميعها فتبل في قصريه كبيرة او في

فواجها الرجوفي دستانه تحرّ ديل النبات في مصر
بيان بيوضر رسلها البناء والتين ... اللفاف في حلو
... الواجبات فان يشهو لا اما قد فاق من ...
وركل لهم طير على ضاره مقابيع الا اف في فتنه
... عليه اللبن ... اللسبريع مع ونظنه
لا يستهيب البابل لا انه ... الله ... اشهر
وان محمد ... اعلا الذي ملك ... في نفسه
ومن الزم الضمة ... لا يبتزم على ...
الضمة ... على الاشهاد من الفقه
... تشبقا القول ... لا اشراان ستوط كحلته
... الناكى التاني استخفا ... الجر حبسته
... الناني علم ... الكر ... في اللو
عار السبر ... ايام ... التماه ... الوحد ...

مقدمة

ألف اليمنيون في كافة أنواع العلوم، وتركوا لنا كماً هائلاً من الكتابات المخطوطة مبعثرة في كافة أرجاء اليمن، وفي دور الكتب والمكتبات العربية، ومتاحف العالم. فقد ألفوا في علوم القرآن والحديث والسيرة وعلم الكلام والفقه والتصوف والأدب وعلوم اللغة والتاريخ وعلوم السياسة والفلك والمساحة والرياضيات والطب والزراعة والكيمياء والمنطق والفلسفة والموسيقى والملاحة.. ولم يكتفوا بالتوقف عند حدود ماوصل إليه غيرهم في هذه العلوم بل أضافوا إليها مبتكراتهم، ووصلوا بها إلى حد بعيد من الدقة العلمية، وربطوها بواقع بلادهم.

واهتم اليمنيون بالزراعة منذ القدم وظهر نتيجة لذلك الكثير من المنجزات الإعمارية المرتبطة بالزراعة كالسدود والقنوات التي تمتد مسافات طويلة في الجبال والسهول. وما زالت أثارها باقية إلى اليوم، وكذلك أقاموا المدرّجات الزراعية على منحدرات الجبال كضرورة لمواجهة الزيادة السكانية ولزراعة الكثير من المحاصيل النقدية، وسنوا قوانين خاصة بالزراعة منها مايتعلق بالتحكم بالمياه وكيفية إرواء الأرض بعدالة وبمقاييس محدودة. ولم يكتفوا بهذا بل دونوا كل أمور الإهتمام بالأرض من معرفة جودتها، والمواعيد الزمنية للزراعة، وكيفية القيام بأعمال الأرض من حرث وتسميد وبذر للحبوب وغرس للأشجار، كما اهتموا بأمور الري والصرف وحفظ الحبوب والثمار من التلف. ونتيجة لهذا ظهرت مجموعة من المؤلفات تتعلق بالزراعة وحسب ماجاءتنا به مصادر التراث اليمني من إحصاء للمؤلفات الزراعية اليمنية نجد أن أقدم كتاب فيها هو كتاب « الحرث والحيلة » للحسن بن أحمد الهمداني المتوفى مابعد عام ٣٤٩ هـ، ثم نجد أن كتابنا هذا يلي كتاب الهمداني في الترتيب الزمني إذ يعود تاريخ وفاة مؤلفه إلى سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م

ومن الكتب الزراعية اليمنية الأخرى التي تعود إلى مابعد هذا التاريخ :

١ ـ « الارشاد في علم الفلاحة » للملك المجاهد علي بن داود بن يوسف الرسولي، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣م.

٢ ـ « بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين »، للملك الأفضل عباس بن علي بن داود المتوفى سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٧ م.

٣ ـ « حدائق الرياض في علم الزراعة »، لحمزة بن علي الناشري، المتوفى سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م.

٤ ـ « كشف القناع في أحكام الزراع »، لحسن بن أبي القاسم الأهدل[1].

★ قدم هذا المخطوط للمجلة بتاريخ ١ / ١١ / ١٩٨٣ ـ المحرر

(١) أسماء هذه الكتب الزراعية وردت في كتاب عبد الله محمد الحبشي، « مصادر الفكر العربي الاسلامي »، ص ٥٠٢.

المخطوط وأسباب نشره :

ضمن مخطوط يحوي مجاميع مختلفة يقع في ٤٤٨ صفحة أمدني به مشكوراً الأخ الفاضل محمد عبد الله محمد النوعة بواسطة الأخ الصديق أحمد محمد النوعة عثرت على هذه الأبواب الأربعة غير المكتملة لكتاب شبه مفقود، ويعود تاريخ نسخه إلى مابعد عام ١١٧٢هـ (١)وقد حاولت العثور على بقيته أو على نظير له فلم أجد، ووجدت نفسي مضطراً إلى نشر هذه الأبواب الأربعة بالخلل التي هي فيه رغم معرفتي بأن هذا العمل فيه خروج عن العلمية، ومادفعني إلى هذا هو طول مكث هذا الجزء من الكتاب لديّ دون العثور على بقيته أو على نسخة أخرى منه، وهذا يرجع إلى احتكار البعض لكتب التراث، وعدم السماح بالاطلاع عليها ، كما أنّ نشر هذه الأبواب الأربعة بصورتها الأصلية يعد بمثابة إعلان ودعوة موجهة إلى كافة الباحثين، والمهتمين بالتراث باليمني، وأصحاب المكتبات التراثية لإكمال الأبواب الضائعة من الكتاب، وسد مابه من خلل وإخراجه بصورة أفضل .

وشعوراً بأهمية إخراج كنوز التراث اليمني إلى أيدي أبناء الشعب بأمانة فقد قمت بنقل كافة محتوى المخطوط كما هو دون تدخل في النص الأصلي، وإن كانت لي بعض إصلاحات فقد أشرت إليها في موضعها، ومايجب أن أشير إليه هنا أن الناسخ ترك معظم كلمات المخطوط دون تنقيط فاصلحت ذلك، وأما مالم أستطع تنقيطه كبعض المسميات تركته كما هو وأشرت إليه، وقمت بوضع الهمزات والفواصل وترتيب الأبواب وتقسيمها إلى فقرات ليسهل الاطلاع عليها .

الكتاب : يقع الكتاب في سبعة أبواب ذكرها المؤلف في بدايته وفصل محتواها، ومانضعه بين يدي القارىء الكريم هو الأبواب الأربعة الأولى منه مع نقص في الباب الرابع من نهايته .

وتسجل هذه الفصول الأربعة عراقة التجربة الزراعية اليمنية التي تناقلتها الأجيال عبر القرون فغدت راسخة في عقلية الفلاح اليمني إلى درجة أن يقوم بأساليب وطرق التعامل مع الأرض كافة من حرث وتسميد وبذر للحبوب وتنقية للحشائش وغرس للأشجار وتكثيرها بطريقة تلقائية علمية موروثة، وهو ماقام برصده المؤلف قبل أكثر من سبعة قرون من الزمن، وبذل في سبيل ذلك مجهوداً كبيراً أشار إليه في مقدمة الكتاب ـ واستعان كملك وابن ملك بعيد عن الأرض والتعامل معها كفلاح ـ بـ « أهل المعرفة في اليمن بعد البحث معهم في كل مافيه من صنف وفن » . ونتيجة لكل هذا أتى الكتاب أميناً وصادقاً في نقل أساليب التعامل مع الارض كافة وعبر بالكلمة تعبيراً أصيلاً عن

---

(١) ١١٧٢هـ : لم يورد الناسخ تاريخ الشروع بنسخ الكتاب، لكن الكتاب السابق له وهو كتاب « الأزهار في فقه الأئمة الأطهار » وجد في نهايته [كان الفراغ من هذا الكتاب الجليل صبح يوم السبت ١٧ ذي الحجة الحرام سنة ١١٧٢هـ بخط مالكه العبد الفقير أحمد بن محمد بن أحمد بن جابر البكير » . وأحمد البكير هذا مشار إليه في بداية كتابنا هذا بأنه مالك الكتاب وبعنايته تم نسخه ولذا رجحنا أن تاريخ النسخ يعود إلى مابعد عام ١١٧٢هـ .

الفعل الذي يترجمه الفلاح بدأبه وصبره وكدحه إلى انتاج .

وقد نهج المؤلف في الكتاب على أساس تقسيمه إلى أبواب وجعل لكل باب هدفاً معيناً . وسار على هذا النهج من الباب الأول إلى الباب الرابع محققاً - إلى هنا -

الهدف العام المزدوج من تدوين الكتاب وهو :

أولاً : نقل التجربة الزراعية اليمنية بحذافيرها من الحقل إلى الكتاب .

ثانياً : إفادة الفلاح بالكتاب، وهو الذي يخاطبه المؤلف باستمرار عبر الصفحات .

ومما يلاحظ على مقدمة المؤلف للكتاب تشابهها الكبير مع مقدمة كتاب « المعتمد في الأدوية المفردة » فهو يبتدىء في كلتيهما بالثناء على الله، ويأتي بصياغة كلامية ذات صبغة سجعية تتفق مع الغرض الذي ألف الكتاب من أجله وهي صيغة موحدة في كلا الكتابين، ثم يصلي على الرسول بترتيب وايقاع واحد متطابق في كلا المقدمتين، ويدخل بعد هذا بصورة مقتضبة مبيناً غرضه من تأليف الكتاب وطريقته في تأليفه، وينهي مقدمته بتأكيد التسمية في كلا الكتابين . وهذا يجعلني أؤكد على أن كتاب « المعتمد في الأدوية المفردة » هو للملك الأشرف عمر وليس لأبيه الملك المظفر، ويؤكد على هذا أكثر النسخة الموجودة في المتحف البريطاني[1] وغيرها نسبة الكتاب إلى الملك الأشرف، ورغم أني اعتمدت النسخة التي صححها مصطفى السقاء ونسبها إلى الملك المظفر إلا أن قناعتي بأن الكتاب للأشرف دفعني إلى أن أنسبه في التحقيق إليه .

تسمية الكتاب :

ورد اسم الكتاب « مُلح الملاحة في معرفة الفلاحة » وأكد المؤلف على التسمية في مقدمته، في حين يذكر علي بن الحسن الخزرجي في كتابه « العسجد المسبوك » أن اسم الكتاب « التفاحة في معرفة الفلاحة » وسنعتمد التسمية التي وجدناها في بداية كتابنا هذا حتى تظهر نسخ أخرى تؤكد التسمية أو تلغيها .

■المؤلف :

هو الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، الذي تولى مقاليد السلطة في اليمن بعد موت والده الملك المظفر عام « ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م » . وفي هذا الصدد يقول علي بن الحسن الخزرجي « فاستولى على الحصون والمدن، وسائر المخاليف في البلاد كلها بحراً وبراً وسهلاً ووعراً، وكان ملكاً سعيداً عاقلاً فاضلاً أديباً لبيباً، وكان حسن السيرة وادعاً، واشتغل بالعلم في أول بدايته حتى برع في عدة من الفنون، وشارك فيما سواها، وله عدة مصنفات أكثرها في الطب، وله كتاب « التفاحة في معرفة الفلاحة »، وكتاب الإصطباح، وكتاب الدلائل في معرفة الأوقات والمنازل، وكان محبوباً عند الناس على اختلاف حالاتهم، وسائر طبقاتهم » .[2]

ولم يكن تولي الأشرف لأمور البلاد هيناً رغم تقلده ولاية العهد في حياة أبيه فقد عارض أخيه المؤيد داود بن يوسف وقاد جيشاً من الشحر وتمكن من الاستيلاء على لحج وأبين واتجه لحرب الأشرف الذي أرسل ولده الناصر بجيش ضخم، والتقى الجيشان في (محرم سنة ٦٩٥

(١) انظر عبد الله محمد الحبشي : مصادر الفكر الاسلامي ، ص ٥٥٦

(٢) الخزرجي ، العسجد ص ٢٧٦ .

هـ / نوفمبر ١٢٩٥ م) في موضع يقال له « درب الدعيس » فكانت بينهما معركة انتهت بهزيمة المؤيد، فنقل مأسوراً مع ولديه إلى حصن تعز حيث أمر الأشرف بإكرامهم والعناية بهم ».(١)

وقد اهتم الملك الأشرف بالزراعة وترفق بحال الفلاحين وأوجد مهرجاناً للاحتفال بموسم نضج البلح في نواحي زبيد سمى « بسبت الملك الأشرف » كما رفع عن الرعية الظلم الذي نزل بهم نتيجة فرض الضرائب الباهظة عليهم، ويصف لنا علي بن الحسن الخزرجي هذا الجانب بقوله « وكان السلطان الملك الأشرف، ملكاً سعيداً صالحاً باراً بإخوته، وقرابته، محباً لهم، وكان رؤوفاً بالرعية، ومن مناقبه أن رعية النخل بوادي زبيد كانوا قد تلفوا من الجور الشديد، وغفلات الملوك عنهم، حتى بلغ بهم الأمر أن من كان له نخل لايزوجه أحد، وأي امرأة لها نخل لايتزوجها أحد إلا مغرور، وكان الرجل الذي ليس له نخل إذا تزوج امرأة لانخل لها، يقال عند النكاح : ومن سعادتها أن لانخل لواحد منهما . فلما ولي الملك الأشرف أمر من افتقد النخل، فأزال عن أهله مانزل بهم من الظلم . وهو أول من سن عديد النخل بالفقهاء العدول . وحصل في سنته جراد عظيم استولى على الزرع والثمار ، فاشتكت الرعية إليه ، فأمر بمسامحتهم، فتوقف الوزير عليهم، وهو القاضي حسام الدين حسان أبو سعد العمراني، ولم يمض المسامحة، فاشتكوا به إلى السلطان، فكتب إليه : يافلان إقتصر عنهم فلا تفرقهم يصعب علينا جمعهم » .(٢)

ولم تطل مدة حكم الأشرف لليمن فتوفي « ليلة الثلاثاء ٧ محرم سنة ٦٩٦ هـ / ٥ نوفمبر ١٢٩٦ م » .

■ **مؤلفاته(٣) :**

١ - الإبدال لما علم في الحال في الأدوية والعقاقير .

٢ - الاسطرلاب ..

٣ - التبصرة في علم النجوم .

٤ - تحفة الآداب في التواريخ والأنساب .

٥ - جواهر التيجان في الأنساب .

٦ - الجامع في الطب .

٧ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب .

٨ - المعتمد في الأدوية المفردة .

٩ - المغني في البيطرة .

١٠ - ملح الملاحة في معرفة الفلاحة .

في الأخير أسجل شكري وتقديري لزوجتي رقية عبده محمد التي أمدتني بالكثير من التعريفات للمصطلحات الزراعية وقامت بمراجعة هذه الأبواب الأربعة وصوبت الأخطاء الإملائية واللغوية .

محمد عبد الرحيم جازم
صنعاء ٢٩ / ٣ / ١٩٨٣ م

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨

(٢) الخزرجي، العسجد، ص ٢٨٠ .

(٣) عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الاسلامي، ص ٥٥٦، ٥٥٧ .

كتاب
« مُلَحِ المَلاَحَةِ في مَعْرِفَةِ الفلاحة »

جمع الإمام المعظم الملك الأشرف
عمر بن يوسف بن عمر بن رسول ، رحمه
اللّه تعالى رحمة الأبرار ، وبالحسنى
كافاه ، وبل بوابل الرضوان
ثراه ، وجزاه عن المسلمين
أفضل المجازاة ،
بحق محمد الأمين
وآله أطهر
الطاهرين ،
آمين

بعناية سيدي مولاي القاضي العلامة ، القدوة الفهامة ، غرة وجه الدهر ، والعلامة ، صفي الاسلام ، وبركة الأنام ، أحمد بن محمد بن أحمد البكير حفظه اللّه ، وجزاه ، ووقاه كل بؤس وضير ، بحق محمد ، وآل محمد ، آمين ، وصلى اللّه على سيدنا محمد ، وآل محمد ، وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفضل على خلقه بنعمه، الموسع عليهم في المعاش بكرمه، من ثمرات مختلفات الألوان صنوان وغير صنوان، وصلى الله على رسوله محمد المختار، وعلى آله وراشدي أصحابه الكرام الأخيار . وَبَعْدَ فهذا كتاب جمعته بحسب الطاقة والإجتهاد ، واستعنت بذلك على رب العباد، ووضعته على حكم اصطلاح أهل المعرفة في اليمن بعد البحث معهم في كل مافيه من صنف وفن، وسميته « بملح الملاحة في معرفة الفلاحة » ورتبته على سبعة أبواب .

الباب الأول ـ فيما يحتاج إليه في الفلاحة من معرفة أوقاتها للزرع والغرس وأعمال الأرض وإصلاحها .

الباب الثاني ـ في الزرع وما يلحق به .

الباب الثالث ـ القطاني وهو الحبوب، الحمص (١)، العدس (٢)، الماش(٣)، اللوبياء(٤)، الباقلاء (٥)العتر (٦)، الهندبا (٧)، الهرطمان (٨) وهو الكشد، الحلبة، الحرف (٩)، القرطم (١٠)، الخشخاش (١١)، بزر الكتان ويسمى الموسة، الحبة السوداء (١٢) .

الباب الرابع ـ في الأشجار المثمرة، وهي : النخل، العنب، التين، البلس، الرمان،

---

(١) الحمص : Cicer anietinum . (الشهابي، مصطلحات العلوم الزراعية، ص ١٣٥) .

(٢) العدس : بُلسُ Lentil (Lens esculenta) (المصدر السابق، ص ٤١٢) .

(٣) الماش : Vigna nilotica) or phaseolus) (المصدر نفسه، ص ٧٧٥) .

(٤) اللوبياء : الدّجر (Vigna Sinensis) Cowpea (المصدر نفسه ص ٧٧٥) .

(٥) الباقلا : الفول ..Vicia Faba (عبد الحليم أبو طالب، الزراعة الحديثة، ص ١٧٧) .

(٦) العتر : هو البازِلِّيْ Basella (الشهابي، مصطلحات العلوم الزارعية، ص ٦٠) .

(٧) الهندبا : (Cichorium endivia) (نفسه، ص ٢٢٦) .

(٨) الهرطمان : صنف من الحبوب، وهو القُرْطُمان، وهو الخَرْطال، وعند أهل العراق هو الجُلْبَان، وهو قريب من الشعير وينبت كنبات الحنطة، وله ثمر في غلف مقسومة بقسمين . . وحبه مدور أسود اللون (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٥٣٤) (Oats (Avena (الشهابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٥٠) .

(٩) الحرف : هو حب الرشاد، وهو ثُفّاء garden cress (Lepidium Sativum) (المصدر نفسه، ص ٢٨٨) .

(١٠) القرطم : هو حب العُصْفُر (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٣٨٤)وهو نبات زراعي صبغي من المركبات الأنبوبية الزهر ، يستعمل زهره تابلاً وملوناً للطعام ، ويستخرج منه صباغ أحمر جميل يصبغ به الحرير وتصنع منه حمرة الخدود الجيدة، ومن أسمائه الصحيحة البهرم والبهرمان، والمُرْيْق، والإحريضي، والخريع (الشهابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٦٢٨) .

(١١) الخشخاش : نبات معروف ، papaver (poppy « papaver ») (المصدر السابق ، ص ٨٤١) .

(١٢) الحبة السوداء : معروفة، Cumin (Nigella satiua ; blak) (المصدر السابق ، ص ٤٩١) . (نفسه، ص ٤٩١) .

السفرجل ، التفاح ، الأجاص ، الكمثرى ، الخوخ ، المشمش ، التوت ، الزيتون ، الجوز ، اللوز ، الفستق ، البندق ، النارجيل ، الفوفل [١] ، القرانيط [٢] ، الموز ، قصب السكر ، الأترج [٣] ، الحماض [٤] ، النارنج [٥] ، الليمون المختم ، الليمون المركب ، الليمون الصغار الحمر ، اللح ، السدر ، الخيار شنبر [٦] .

الباب الخامس - في الرياحين ، وهي : الورد ، النوفر [٧] ، النرجس ، الخيري ويسمى المنثور ، الياسمين البري ، الآس ، الريحان ، المرزنجوش [٨] ، الأزاب وهو الحبق القرنفلي ، الكاذي ، النمام وهو الصبر ، الأقحوان ويسمى النبت البابونج [٩] ، العبيثران [١٠] ، الحنا وثمرته ،

---

(١) الفوفل : نبات الفوْفَل نخلة مثل نخلة النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر ، وليس من نبات أرض العرب . (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ٣٧٢) .

(٢) القرانيط : الخروب .

(٣) الأترج : في ورقه وقشره حدة وحرافة وعطرية ، وهو صنفان : تفه وحامض قاطع (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ٣)

(٤) الحماض : الحُمّاض بقلة برية تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء وهي من ذكور البقول . . . ، وفيها حموضة وربما أخذت إلى البساتين وربيت فيها (محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، م ٥ ، ص ٢٣) وينبت في الأجام ، ومنه شيء بستاني عريض الورق ، ومنه صنف بَرّي قميء صغير ناعم ، ومنه صنف رابع بري له ساق محدد الطرف وثمر في شعب على رأسه أحمر ، وفي أصولها جميعاً إذا نبتا حمرة (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ١٠٥)

(٥) النارنج : شجرة معروفة تزرع وتربى في البساتين ، ولها ثمر يشبه البرتقال إلا أنه أصغر ومذاقه حامض ، ويسمى في بعض نواحي محافظة تعز (راناج) .

(٦) الخيار شنبر : هو ضرب من الخروب ، شجره مثل كبار الخوخ ، وله زهر أصفر طيب الريح . (الزبيدي ، تاج العروس ، م ٣ ، ص ١٩٥) وشجرته وورقه قريب من شجر الجوز ، وورقه زهر ياسميني الشكل ، خمس ورقات في كل زهرة ، وفي نهاية الصفرة ، وتبرز أنابيب القضيب الشنبرية كعناقيد الخرنوب ، شديدة الخضرة تسود إذا انتهت (عمر بن يوسف الرسولي . المعتمد ، ص ١٤٣) .

(٧) النوفر : ويقال له النينوفر ، والنَّيْلوْفر ، وهو ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ، ويسمى عند أهل مصر البشنين ، ويقول عنه العوام النوفر (للزبيدي ، تاج العروس ، م ٣ ، ص ٥٨٠) ونيلوفر اسم فارسي معناه النيلي الأجنحة ، وهو نبات ينبت في الآجام والمياه القائمة « الراكدة » ، وله ورق كثير من أصل واحد ، وزهر أبيض شبيه بالسوسن ، وسطه زعفراني اللون (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ٥٣٠) .

(٨) المرزنجوش : إسمه السمسق بالعربية ، والعبقر أيضاً ، وحَبَقُ القثاء أيضاً ، وهو نبات كثير الأغصان ، ينبسط على الأرض في نباته ، وله ورق مستدير عليه زغب ، وهو طيب الرائحة جداً . (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ٤٨٨) .

(٩) البابونج : هو في لغة التهائم : المُؤنس ، وفي لغة أهل الجبال : الحَوْغة (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ٥٦٠) .

(١٠) العبيثران : ويقال عَبَوْثران ، وهو أغبر ذو قضبان له شمراخ مُدلى على نور أصفر ، شبيه بالذي يكون وسط الأقحوان ، ذفر (ذكي) الريح ، رائحته قريب من سنبل الطيب . (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ٣١٦ ، ٣١٧) .

الفاغية ويسمى الحنون، الخندقوقا [1] وهو الريحان، شقائق النعمان ويسمى أقداح زبيدة، الخطمية [2] .

الباب السادس - في الخضراوات والبقولات ، وهي : البطيخ الأصفر، البطيخ الأخضر ويسمى الرسمي وهو الفرقوس، الخيار، القثا، القرع [3] ، الباذنجان، الجزر للقب الكرنب، الثوم، البصل، الكراث، الزنجبيل، الفجل، الخس، الهندبا [4] ، الملوخية، القلقاص [5]، السلق ، الاسفاناج [6] ، القطف ، الرجلة ، النعناع، الفوذنج [7]، الشذاب، الكرفس [8]، المقدونس [9]، البامية، الهليون [10]، الكزبرة، الشبث، الرازيانج [11]، الكمون، الشاهترج [12] .

الباب السابع - فيما يطرد الأفات عن الزرع ، والكروم، والغراسات، ومايحفظ الحب، والدقيق، من الأفات، بإذن الله سبحانه وتعالى .

---

(١) الخندقوقا : أو الحَنْدَقُوقي، حشيشة مدورة الورق، بري وبستاني، له بزر شبيه ببزر الحُلبة إلا أنه أصغر منه بكثير . (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ١٠٨، ١٠٩) .

(٢) الخطمية : الخِطْمِيّ له زهر شبيه بالورد (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ١٣) .

(٣) القرع : هو الدُّبّاء (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٣٨٢) .

(٤) الهندبا : هو المرارة (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٥٧٢) والمرارة نبات يكثر ظهوره خلال فصل الربيع والصيف وهو ذو زهر أصفر ومذاقه شديد المرارة .

(٥) القلقاص : كذا، وهو القلقاص، نبات يؤكل مطبوخاً، ويتداوى به وبمرقه، والإكثار منه يولد السوداء . (الزبيدي، تاج العروس، م ٤، ص ٢٢٢) وهو شجر ينبت على المياه، وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموز، إلا أن ظاهره إلى الحمرة وداخله أبيض مكتنز مشاكل للموز (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٣٩٤) .

(٦) الاسفاناج : كذا ، الاسفاناج نبات يؤكل ويتداوى به (الزبيدي ، تاج العروس ، م ٢ ، ص ٢٦١) .

(٧) الفوذنج : من أنواع البقول، وأجناسه ثلاثة بري، وجبلي، ونهري، والبري يسمى بمصر فُلَيّة، وباليونانية غليجن، وأهل الشام يسمونه السعتر، وأهل اليمن يطلقون عليه اللبلابة (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد، ص ٣٧٢، ٣٧٤ ، ٥٦٩) .

(٨) الكرفس : من أحسن البقول، وله فوائد طبية (الزبيدي، تاج العروس، م ٤ ، ص ٥٠٤) .

(٩) المقدونس : نوع من أنواع الكفرس (عمر بن يوسف الرسولي ، المعتمد ، ص ٥٠٤) .

(١٠) الهليون : يختص بالجند، ويعظم بها، ويسمى أقلام الذئب (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ٥٧٢) .

(١١) الرازانج : هو الشَّمار . (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٥٦٥) .

(١٢) الشاهترج : معرب معناه سلطان البقول (الزبيدي، تاج العروس، م ٢ ، ص ٦٦ ، وهو صنفان، أحدهما ورقه صغار ولونه مائل إلى لون الرماد وزهره أسود ويسمى كزبرة الحمام، والثاني أعرض ورقاً، ولونه أخضر إلى البياض، وزهره أبيض (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٢٥٣) .

الباب الأول

في علم مايحتاج إليه في معرفة أوقات الزرع والغرس وأعمال الأرض واصلاحها

وأول ذلك معرفة السنة الشمسية . ثلاثمائة (١)وخمسة وستون يوماً، تنقسم اثنا عشر شهراً . أول الشهور منها تشرين الأول (٢) - إحدا وثلاثون يوماً، تشرين الثاني (٣) - ثلاثون يوماً، كانون الأول (٤)إحدى وثلاثون يوماً، كانون الثاني (٥) - إحدى وثلاثون يوماً، شباط (٦) - ثمانية وعشرون يوماً، آذار (٧) - إحدى وثلاثون يوماً، نيسان (٨)ثلاثون يوماً، أيار (٩) - إحدى وثلاثون يوماً، حزيران (١٠) - ثلاثون يوماً، تموز (١١) - إحدى وثلاثون يوماً، آب (١٢)إحدى وثلاثون يوماً، أيلول (١٣) - ثلاثون يوماً .

وأول الفصول منها، فصل الربيع، وهو إذا دخلت الشمس ببرج الحمل، وفيه يستوي الليل والنهار، ويعتدل الزمان، وأوله الثاني عشر من آذار، وشهور آذار ونيسان، وأيار، ويكون إنقضاؤه لتمام ثلاثة شهور . ثم يحل فصل الصيف، وهو إذا حلت الشمس برج السرطان، وذلك في الرابع عشر من حزيران، وشهوره حزيران، وتموز، وآب وإنقضاؤه لتمام ثلاثة شهور . ثم يحل فصل الخريف، وهو إذا حلت الشمس برج الميزان، وذلك في الرابع عشر من أيلول، وتشرين الأول، تشرين الثاني، ويكون إنقضاؤه لتمام ثلاثة شهور . ثم يحل فصل الشتاء، وهو إذا حلت الشمس برج الجدي، وذلك في الثالث عشر من كانون الأول، وكانون الثاني، وشباط، ويكون انقضاؤه لتمام ثلاثة شهور حين خروج الشمس من برج الحوت، وبتمامه تمام السنة الشمسية .

واعلم أن للزراعة، ولغراسة الأشجار، أوقاتاً من هذه الفصول، وفي هذه الشهور على مايأتي ذكره ، فإذا أخل الزُّراع ، أومن يريد الغرس لم ينجب زرعه، ولن ينمو غرسه، ولايكاد يثمر، ويصعب على الفلاح وتعظم مشقته، ولذلك يتوجب(١٤) عليه معرفة ماقدمنا ذكره ، وينبغي أن يعلم أن البذر والغرس لايحول من الأرض الطيبة إلى الأرض الردية(١٥)، ولامن الأرض الزكية

---

(١) ثلاثمائة : (ثلثمائة)

(٢) تشرين الأول : اكتوبر - ذو الصراب .

(٣) تشرين الثاني : نوفمبر - ذو المهلة .

(٤) كانون الأول : ديسمبر - ذو الأل .

(٥) كانون الثاني : يناير - ذو الدباو .

(٦) شباط : فبراير - ذو الحلة .

(٧) آذار - مارس - ذو معوان

(٨) نيسان : إبريل - ذو النابه .

(٩) أيار : مايو - ذو المكر .

(١٠) حزيران : يونيو - ذو القياظ .

(١١) تموز : يوليو - ذو مذرأن .

(١٢) آب : أغسطس - ذو الخراف .

(١٣) أيلول : سبتمبر - ذو علان .

(١٤) يتوجب : كذا .

(١٥) الردية : كذا ، الرديئة .

الدسمة إلى الأرض المزلة الضعيفة، فمن فعل ذلك فقد أخل، ولايكاد زرعه يثمر، ولاينجب، ولاينمو.

ويستدل على جودة الأرض إذا كان زرعها سمنياً غليظ الورق والعروق، فالأرض(١) سمينة، وإذا كان ذلك النبت وسطاً ليس بالدقيق، ولا بالغليظ فالأرض وسط، وإذا كان ذلك النبت دقيق القضبان والعروق ضعيف النبات فالأرض رقيقة، وإذا كانت الأرض متى سقيت، أو مطرت، نشفت الماء نشفاً جيداً، أو كانت لا تنشف ولا يكون فيها زلق ولا تملس فهي جيدة.

إذا أردت أن تعرف رداءة الأرض من جودتها، فاحفر حفرة قدر ذراع، ثم خذ من سفل(٢) تلك الحفرة تراباً فالقه في إناء زجاج، وصب عليه ماء مطر، أو ماء وادٍ عذب طيب الريح، وخض به خوضاً جيداً، ثم ضعه حتى يصفى، ثم ذق ذلك الماء وشمه، فإذا كان الماء صالحاً فالأرض صالحة، وإن كان عذباً فالأرض عذبة، وإن كان منتن الريح فالأرض رديئة، وإن كان طيباً فالأرض طيبة، أو تحفر حفرة قدر شبرٍ في شبر، وتخرج ترابها وتعينه(٣) ثم يرد ذلك التراب في الحفرة، فإن فضل(٤) التراب على الحفرة فالأرض جيدة، وإن امتلأت الأرض بترابها ولم تزد شيئاً ولم تنقص، فهي وسط فإن نقص التراب ولم يملىء الحفرة ترابها، فالأرض رقيقة رديئة، واتق الأرض المنتنة فإنها غير صالحة للزراعة والغرس.

وينبغي أن تعلم أن أجود الزبول(٥)، زبل الحمام، وكل سرقين(٦) الطير جيد، إلا طير الماء ولاسيما البط، وأجود السرقين سرقين الخيل، والبغال، وسرقين الحمير، ثم سرقين الضأن والماعز، ثم سرقين البقر، وأما سرقين الخنازير فغير صالح، لأنه يحرف كل شيء برزونته(٧) وحرارته، وإذا خلط السرقين بعضه ببعض كان جيداً، وإذا خلط السرقين على الجزء الواحد ثلاثة أمثاله من تراب كان جيداً للزرع، وقد يُلقى على وقر(٨) من سرقين الحمير عشرون وقراً من تراب، ويترك حولاً كاملاً(٩) فيصير كأنه سرقين جيد يكتفى به.

وينبغي أن تعلم، أن المختار من البذر أقواه، وأصحه، وأرزنه، ومالم يداخله سوس، ولاعفن، ولاتغيرت عيونه، وكذلك يختار من غرس الأشجار ماكان طرياً شاباً في أول حدوثه، ولم يكن يابس الورق، ولا كرحاً(١٠) فإنه أسرع لثمره، وأرجأ لصلاحه.

(١) فالأرض: (والأرض).

(٢) سفل: كذا، أسفل.

(٣) تعينه: تضعه حولها.

(٤) فضل: فاض أو زاد.

(٥) الزبول: فضلات الطير والحيوان.

(٦) سرقين: روث الطير والحيوان.

(٧) برزونته: بثقله، ورزين: ثقيل ـ مستعمله.

(٨): الوقر بالكسر هو الحمل الثقيل الذي يحمل على الظهر أو الرأس (الزبيدي، تاج العروس، ج ٣، ص ٦٠٥).

(٩) حولاً كاملاً: سنة كاملة.

(١٠) كرحاً: مافقد رواه من الشجر ومال إلى الشيخوخة وعدم النمو، وبدأت أغصانه تميل إلى الجفاف والتيبس.

الباب الثاني

في الزرع ومايلحق بها

وهي : البرُّ [1]، والعلس [2]، الشعير، الأرز، الدخن، الذرة، الكنب [3]، الطهف [4]، الفوّة [5]، الجرد، الوَرْس، السمسم وهو الجلجلان، القضب [6].

البرُّ - وهو أصناف منه العربي، وهو الأبيض الرقيق الحب، ومزارعه البلاد الباردة، وهو يزرع في أول حزيران، وتدوم زراعته إلى أول وقت الصيف، وهو حلول الشمس برج السرطان، وهذا وقت زراعته التي عليها الاعتماد في الجبال، ويقيم أربعة أشهر، ويحصد، وقد يزرع منه شيء نادر فيها على المطر الوسمي [7]، ويسمى الدثا في بلاد صبر [8]، وفي شيء من نواحي المخلاف [9]، ويزرع شيء يسمى العفر في جبال الشعر [10]، والحقول [11]، والشوافي [12] ومايجانسها، وكل ذلك من زرايع الشتاء، على قدر مايحصل من المطر الوسمي في تلك السنة، وهو أضعف [13] أصناف البر.

الهلبا - وهو حب أبيض قصير، وليس على سنابله من السفا [14] شيء مما على سائر [15] البر، ومزارعه مزارع البر العربي، ووقت زراعته، آخر زراعة البر العربي، في نصف حزيران، ويقيم ثلاثة شهور ونصف ويحصد.

ومنه الحبشي - وحبه متوسط بين الطول والقصر، والبياض والحمرة، وهو في الجودة بين

---

(1) البرُّ : هو القمح.

(2) العلس : من أنواع القمح له صفات خاصة يذكرها المؤلف في هذا الباب من الكتاب.

(3) الكنب : معروف بهذا الاسم في اليمن، ويزرع مع الدخن والذرة، وحبه متناه في الصغر، وله ساق رفيعة تنتهي بسنبلة تشبه أصابع اليد الواحدة الملتقية بالأطراف.

(4) الطهف : قيل هو الذرة، وقيل عشب له شوك، ورقه مثل ورق الدخن وله حبة دقيقة طويلة ضاوية حمراء تؤكل (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٣٠٨). وبمثل هذا قال الزبيدي في (تاج العروس، ج ٦ / ص ١٨٦).

(5) الفوة : الفوة عروق نبات لونها أحمر، يستعملها الصباغون. (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد. ص ٣٧١).

(6) القضب : هو البرسيم.

(7) الوسمي : الوسمي مطر أول الربيع وهو بعد الخريف لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثر في أول السنة (الزبيدي، تاج العروس، ج ٩، ص ٩٣).

(8) بلاد صبر : جنوب مدينة تعز، ويطل جبلها على المدينة ويحتضنها.

(9) المخلاف : هو مخلاف جعفر، نسبة إلى جعفر بن محمد المناخي (الخزرجي، العسجد، ص ٣٩) ويقع إلى الشمال من مدينة تعز.

(10) جبال الشعر : تقع إلى الشرق من مدينة إب.

(11) الحقول الى الشمال من مدينة إب « قاع الحقل، جهران ».

(12) الشوافي : من بلاد إب إلى الغرب منها.

(13) أضعف : (أضعاف).

(14) السفا : الزوائد التي تظهر على سنبلة القمح وتكون مجاورة للحب.

(15) سائر : (ساير).

العربي والوسمي ـ كذا ـ وأول زراعته حزيران، عند حلول الشمس برج السرطان، وآخره إلى أول تموز .

ومنه الوسني ـ وحبه أحمر غليظ مذنب رزين ، وهو أجود أصناف البر ، ومزارعه البلاد المعتدلة ، ووقت زراعته في مخلاف جعفر، وماولاه صراباً (١)، وهو عليه الاعتماد في الأراضي التي لاتسقى إلا بالمطر في أول تموز ، ويقيم ثلاثة شهور ونصف ويحصدوقد يزرع في القصيبة، ومايشابهها من البلاد التعزية (٢) بما يسقى بالعيون في نصف تشرين الأول، وتدوم زراعته إلى نصف تشرين الثاني، وهو من أجود البرُ الوسني ويحصد على ثلاثة شهور ونصف، ويزرع منه في المواضع التي تسقى بالغيول زرع يسمى القياض، وهو بعد حصاد الذرة، ووقت زراعته، من أول فصل الشتاء في كانون الأول، إلى كانون الثاني، ويقيم ثلاثة شهور ويحصد .

وصورة زراعة البر ، أن تحرث الأرض حرثاً، جيداً، ثلاث مرات ، أو أربع أو أكثر من ذلك على قدر جودة الأرض وضعفها وعلى قدر صلابتها ولينها، ويد من (٣) بالدمان الجيد، ويحرث عليه، ويسوى ماكان منها يسقى بالغيول حتى يكون سقيه مستوياً(٤)، ويستقر الماء فيه بالسوية، ويعم الأرض كلها، وماكان يسقى بالمطر فلا يحتاج إلى تسوية، ومتى حل وقت الزراعة سُفح (٥) والأرض ندية من المطر لاتكون ملطة (٦) من شدة المطر، ويحرث عليه حتى يتغطى بالتراب، ويكون سفحه متوسطاً بحيث أنه يقع في موضع وطأة القدم سبع حبات، أو مايقاربها من زيادة أو نقصان، والأرض الجيدة لايخفف سفحها لأن زرعها يكثر، ويتداحش (٧)، والأرض العيفة والوسط، يوسط سفحه ولايرق، وسفحه نفض باليد، وينفضها مقابلة وجهه، ومايليه بعد مايعلَم لها علامة يتميز بها موضع مايستحقه من الموضع الذي لم يسفحه لئلا يتكرر فيها سفح البذر، أويبقى منها شيء لم يسفح . ويحرث عليه، وينقى مافي الأرض من شجر، أوحشيش (٨)، أوعروق، أوماشابهها، ومايخرج من الأرض إلا وهي نقية من كل وعث (٩) فيها، وأما إذا كانت مما يسقى بالغيول، فيقسم الأرض بعد سفحها أقساماً شبه الأحواض، وقسمتها بأن يحرث ماله الحرث تلماً (١٠) مستوياً ويزيد تلماً آخر بجنبه حتى يستقيم له كفل (١١)، ويخلى بعده قطعة على قدر مايعلم من قوة الغيل الذي يسقى به ومن ضعفه، ويزيد تلماً آخر، وبجنبه تلماً آخر حتى يستقيم كفل، وكذلك يقطع الأرض حوضاً حوضاً .

---

(١) صراباً : الصراب هو الحصاد .
(٢) التعزية : نسبة إلى تعز .
(٣) يدمن : يسمد ـ معروفة .
(٤) مستوياً : (متوياً) .
(٥) سُفح : القى باليد على الأرض من أجل البذر وسفح ترد بمعنى أراق .
(٦) ملطة : مشبعة بالماء .
(٧) يتداحش : يتزاحم ويتقارب ـ معروفة .
(٨) حشيش : حشائش .
(٩) وعث : كافة النباتات المتطفلة على المحاصيل الزراعية .
(١٠) تلماً : التلم هو الخط الذي يتركه سن المحراث في الأرض .
(١١) كفل : الكفل ما يتراكم من تراب بين خطي المحراث بالمتقاربين .

وأول ما يتنــاول منــه الفــريــك[1] على ثلاثــة أشهــر ، ومن الــوسمي على ثمانين يوماً ، وإذا أحب أن يأخـذ منـه الفـريـك فيقطـع منه ومن نصف القصبــة إذا قد بدأ الــزرع بصفـر، وقـد عقـد الحب، ويـربط حزماً على حزمة قبضة بالكف، ويوقد ناراً ذات لهب، من غير دخان، ويحرق بها سفــا السنبــل حتى يحرق، وينضــج الحب في سنبله، ويُفرك باليد في منسف، أو يضرب بعود في شملة [2] وينسف [3] فإن كان قليـل النضج قلي في شُقف [4]، مفتوحـة الرأس، أو في مقلا، قلياً خفيفاً بحيث لاتقوى عليـه النار فييبس . وإذا انتهى وابيض وبــدا سنبله ينتكس حصــد بالمناجل من فوق الأرض بشبر أو دون [5]، على قدر الحـاجـة إلى التبن، وحمل ورقن بعضه على بعض وجعلت سنــابله في وســط المـرقــان [6]، ومقــاطــع الحش إلى برًا [7] ، وأسبـل عليها من رأسهـا بشيء من السنابل بحشره، ويقيم مرقوناً ثمانيــة أيـام، وأقـل، أو أكثر، ولايرقن وفيه شيء من رطـوبـات النـدى[8] أو[9] من رطـوبــة المطر فيعفن ويتلف، بل يكـون رقنـه وهـو جاف، ثم يُخرش[10] من الرقن، ويداس بالأثوار [11] بحجر مربـوط إلى آلـة الأثـوار، ويكـون في الحجـر إما خُرق[12] يربـط إليـه الحبـل، أويكون في وسطها جريـر[13] يربـط بـه، ولايزال يدوسه حتى يخلص التبن جميعه، ويدق تبنه فحينئذ يذرُّ به في الرياح بعـود فيـه أصـابـع كأصـابع الكف ، حتى يخلص الحـب من الـتـبـن ، فإذا تخلص وبقي فيــه شيء أعـاد عليـه الـدوس بالحجـر والأثـوار من الـسـنـابل حتى يخلص الجميـع، ويُـذرا بخشبـة في رأسهـا لوح قدر نصف ذراع مـسـموراً فيهـا حتى يطيب من التبن، وســواه، ويكـــون كلما ذراه بالـريـح يمسح وجه الطعام بشجرة شبه المكسحة، حتى يخرج منـه مابقى من ركب التبن، ومن الـسـنـابل التي لم تدس، ويصـبر صُبرة[14] واحـدة، ويكال ويـرفـع، ولايرفع إلا بعد مايبرد من حر الشـمس لئـلا يلحقـه الـسـوس، ويخـزن في مخزان كواه[15] مقــابلة الــريـح الـشـمال * ، ولايكـون بجنب مـسـكـن، ولامطبـخ، ولانــار، ولاســراج،

---

(١) الفريك : يعمل الفريك من حبوب القمح وهي في وقت النضـج الأصفر، فتضم نباتات القمح وتربط حزم صغيرة، وتعرض الـسنابل للنيران وتقلب حتى تنضج ثم تفرط الحبوب وتجفف وتدق وتغربل . أو تقطف الـسنابل وتــوضـــع في ماء يغــلي، ثم تخرج من المـاء وتجفف في الشمس وتــدق وتغـربـل . (عبـد الحليم أبو طالب، الزراعة الحديثة، ص١٠٨) .

(٢) شملة : غطا وفراش ينسج من صوف الأغنام .

(٣) ينسف : ينقّى من العيدان والقشور .

(٤) شُقف : الشقف هو قطعــة الفخـار المتبقيـة من أي إناء فخاري مكسـور .

(٥) أو دون : أقل، « أو دون ذلك » .

(٦) المرقان : « الجرن » وغالباً مايكون ملحقاً بالحقول .

(٧) إلى برًا : إلى الخارج .

(٨) الندى : (الندا) .

(٩) أو : (أولا) .

(١٠) يُخرش : يُحل، فهم يقـولـون « إخرش للبقرة » أي حل وثاقها .

(١١) الاثوار : كذا، الثيران .

(١٢) خُرق : ثقب .

(١٣) جريـر : الجـريـر هو حفـر دائـري في وسط الحجرة الخاصة بدرس القمح أو الشعير يربط به الحبل .

(١٤) صبرة : كومة .

(١٥) كواه : نوافذه، مفردها كوة وهي النافذة المتناهية الصغير .

* الريح الشمال : كذا، الريح القادم من الجهة الشمالية .

ولادواب، ولاتبن، ولا له كوة إلى المشرق ولا إلى الجنوب، فإنه أسلم من السوس بإذن الله تعالى .

العلس - بيضاء وحمراء، وهما حب ينبت في غلف، في كل غلف حبتان، وإذا صلح فقد يكون في ثلاث حبات، وهو من جنس البر، ولايخلص حبه من غلفه إلا بأن يُجرش [1] بين حجري [2] الرحا [3]، ويسمى المجشه، أويلكد بملكد خشب وعود، كما يصنع بالأرز، وإذا تخلص من غلفه سُمي حبه النسول، وإذا خبز من دقيقه كان أمتن [4] من خبز البرُ، ويشبه خبز البرُ الوسني، والبرُ الوسني أجود منه وأصلح .

وزراعة العلس البيضاء - في أول تموز، تطيب له الأرض، ويسفح كما يسفح البرُ، ويقيم ثلاثة أشهر، ويحصد، ويزرع في الأودية من البلاد الجبلية، وفي المواضع الذي يزرع فيها البرُ الوسني، وسميت بالبيضاء لأن قشرتها بيضاء، وحبها يكون أحمر قريباً من البرُ الوسني، ومنها حمراء، وتزرع في المواضع التي يزرع بها البر العربي، ويحصد بعد ثلاثة [5] شهور ونصف، وإلى أربعة شهور كالبر العربي، ولايصلح في الأودية ، ولا في مواضع البرُ الوسني ، وسميت حمراء لأن قشرتها حمراء، وحبها يكون إلى البياض أكثر قريباً من البر العربي ، ويزرع بالمطر في الوقت المذكور صرابا، ويزرع في مواضع الغيول قياضا [6]، في أول شهر كانون ثاني، ويضحى [7] من ساعته ويحصد ولا يرقن، ويداس بالأثوار، والحجر، كما يداس [8] البر، ويعرض [9] للرياح حتى تخلص الحب من التبن، وتبقى كل حبتين في غلاف إلى أن يجرش بالمجارش الحجر، المقدم ذكرها، أو بملكد من الملاكد الخشب حتى يخلص من قشرته .

الشعير - أصناف، منه المعروف بقشره، وهو المشهور بين الزرّاعين، ويزرع في المواضع الباردة التي يزرع فيها البر العربي ، والعلس الحمراء، ووقت زراعته من نصف حزيران إلى أول تموز .
ومنه صنف لاقشر عليه ، ويسمى السلب، والعامة تسميه الحبيب، وهو أقرب إلى طبع البرُ من أصناف الشعير ، وزراعته كزراعة الشعير الذي بقشره، ويقيم كله ثلاثة [10] شهور ونصف ويحصد، وحصاده كحصاد البرُ والعلس، ويضحى ويداس من ساعته، ولايرقن كما يرقن البرُ [فإذا أحرق تبنه [11]] يذرى كما يذرى البرُ في الريح حتى يخلص الشعير من التبن، ورفع وخزن في المخازن الباردة .

الذرة - أصنافها كثيرة، فمنه « البيضاء » ويسمى في الجبال الرسي ، مقعوشة [12] السنبل،

---

(1) يجرش : يقشر .

(2) حجري : (حجرين) .

(3) الرحا : الرُحي « المطحن » .

(4) أمتن : أكثر سُمكا .

(5) ثلاثة : (ثلثة) .

(6) قياضا : القياض الأماكن الكثيرة الماء

(7) يضحى : يعرض لحرارة الشمس .

(8) يداس : (يدوس) .

(9) ويعرض : أضفناها ليستقيم المعنى .

(10) ثلاثة : (ثلثة) .

(11) « فإذا أحرق تبنه » وردت مقحمة على النص بهذه الصورة .

(12) مقعوشة : معطوفة (الزبيدي، تاج العروس، ج ٤، ص ٣٤٠) .

وفي التهايم [١] «البديحا» [٢]، ووقت زراعتها في البلاد الجبلية العشر المختارة من نيسان، ومزراعها الأودية الحارة، والبلاد المعتدلة التي أقربها إلى الحر .

ومنها صنف يسمى «الصفراء»، ومزارعها أيضا المزارع المذكورة الحارة في الأودية والشعوب في البلاد الجبلية، ووقت زراعتها وقت الذرة البيضاء، ويسميها البعض الزراعين السحولي [٣]، والصدى [٤]، «والصفراء» وحبها أكبر من حب البيضاء وسنابلها دون سنابل البيضاء وهي أكبر حباً منها، وتقيم البيضاء والصفراء في البلاد الجبلية خمسة شهور، ونصف وتحصد .

ومنها صنف يسمى «الشريجي» [٥] وهو أصلب حباً من الصنفين المذكورين، ولونه بين البيضاء والصفراء، وهويزرع في البلاد الجبلية فيما كانت معتدلة وأكثر إلى البرد، وزراعتها في وقت الصنفين الأولين، ويحصد على سبعة شهور من يوم زراعته، وسنابله أصغر من سنابل الصفراء، وهي ملززة، متراكم حبها لازق [٦] بعضه ببعض .

ومنها صنف بين الشريجي، والصفراء، يسمّى «الجعيدي» وتزرع في بلاد السحول وعنه [٧]، ووقت زراعته في أول أيار، ويحصد أول أوله على أربعة أشهر ونصف، وآخره على خمسة شهور من يوم زراعته . ومنها صنف يسمى «الغربة» وهي أقربها إلى لون البيضاء، وحبه قريب من حبها، وليس هو في جودتها ومزراعه جبال البلاد الحارة وشعابها، وهويزرع في أول حزيران، ويحصد على أربعة أشهر فما دونها، وهو أول مايحصد من زرع الذرة في البلاد الجبلية .

ومنها صنف «حمراء» ومزارعها في الجبال الباردة في نصف آذار، وتقيم تسعة أشهر وتحصد، ومن الحمراء صنف آخر يسمى البضعة، لبضوعة ذوقها، تزرع في الأودية التي على العيون، والمواضع الكثيرة إلا نداء الباردة، وزراعتها في أول نيسان وتقيم سبعة أشهر وتحصد . ومنها صنف يسمى «الصومى» ووقت زراعته طلوع السابع من بنات نعش [٨]، وتستمر زراعته إلى نصف شهر من بعد طلوع السابع، ويحصد من أربعة أشهر، وليس في الجبال مايحصد ثلاث مرات إلا هذا الزرع .

وجميع أصناف الذرة في البلاد الجبلية تحرث

---

(١) التهايم : كذا، تهامة، السهل الساحلي الغربي لشبه جزيرة العرب والمحاذي للبحر الأحمر .

(٢) البديحا : كذا، دون تنقيط .

(٣) السحولي : نسبة إلى بلاد السحول من محافظة إب .

(٤) الصدى : كذا، ولعلها الصدري نسبة إلى عزلة «صدر» من حُبيش في محافظة إب .

(٥) الشريجي : كذا دون تنقيط ولعلها «الشريجي» نسبة إلى منطقة «الشُريج»، التي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة تعز، والتي تمتاز ذرتها الرفيعة بالجودة .

(٦) لازق : كذا، لاصق .

(٧) عُنّةْ : وادي تحف به الأراضي الخصبة في بلاد العُدَيْن إلى الغرب من مدينة إب .

(٨) بنات نعش : بنات نعش الكبرى سبعة كواكب، أربعة منها نعش لانها مربعة، وثلاث بنات نعش، وكذلك بنات نعش الصغرى، وقيل شبهت بحملة النعش في تربيعها . (الزبيدي، تاج العروس، ج ٤، ص ٣٥٧) وهذه الكواكب نشاهدها في جهة القطب الشمالي .

لها الأرض في أيام الشتاء ثلاث مرات، وتصلح أرضها وتدمن وتبذر، وصورة بذرها إذا طابت الأرض ووقع عليها المطر في أوانها المذكورة، وصارت الأرض لاجافة يابسة، ولاملطة بل متوسط بين الرطوبة والجفاف، وهو أجود حالات وقت البذر، فتحرث الأرض أتلاماً مستقيمة مستوية كل تلم مستقيم بجنب التلم الأول غير منطرح عليه، ويلقى الحب في قعر التلم من بين الأنامل، يرمي ثلاث حبات، أو أربع، أو خمس، على قدر جودة الأرض، وضعفها، خطوة في أثر الأثوار والنبال [1]، ويرمي مثل مارمى أولاً، ويكون رمي الحب في أثر النبال ليغطي الحب بالتراب ويخطو خطوة ويرمي الحب، وهكذا يفعل حتى يحكم [2] الأرض كلها، ومن الناس من يرمي الحب ويطأ عليه بقدمه، ومنهم من يرميه ولا يطأ عليه، على قدر خفة التراب وثقله، فإذا نشأ الزرع وصار له أربعون يوماً، حرث أزبار [3] الأتلام، بالثيرة حتى يرفع الزرع من قعر التلم إلى أعلاه، ويعود قعر التلم فارغاً لا زرع فيه، ويسمى هذا الحرث في الجبال الكحيف [4]، وإذا مضى عليه من الكحيف شهر أوبعد شهر، حرث أوساط الزرع المتغربة [5] عن الزرع ليجود، ويُنظف ما فيه من شجر وحشيش. ومن الناس من ينقي الحشيش من الزرع قبل كحيفه ليقوى وينمو، وهو على قدر جودة الأرض، وقلة الشجر والحشيش وكثرته، ويسمى هذا الحرث الخلفة، لأنه حرث مختلف ليس على استقامة كالتلام ولا كالكحيف. ثم من بعد عشرين يوماً أو شهر يحرث الأتلام التي كانت أولاً فيها الزرع، كمثل عمل الكحيف حتى يرد الزرع إلى أزبار الأتلام حرثاً مستقيماً غير معوج، ولا عمل له بعد ذلك، ويقي منه الورق، كلما اصفرت ورقة نقاها منه إلى أن يحلق، ويظهر فيها الحب، فإذا أراد أن يأخذ من الفريك فيقطع العلفة الجيدة المستوية الإتيها، لا يابسة ولا غير مدركة، ويوقد لها ناراً لادخان فيها ويدخل النار بحجرة ويعود حتى لا يبقى جمياً، وتكون نار مسلة [6] وتسمى الملة، ويورد فيها السنابل ويخطها بشيء من نار الملة، ويخرجها إذا قد أبصرها [7] نضجت، فأما يمحسها [8] بالية وهو أجود، وأما يخبطها [9] بعود في ثوب غليظ، ويخلصها من عيدانها، وأقماعها، وينظفها، ويسلها.

ويبقى الزرع حتى تشتد السنابل، ويشتد الحب، ولا يبقى فيه رطوبة وينتهي ويحصد، وتقطع السنابل من مفاصلها بالمناجل، وتجمع إلى البيدر [10] ويداس بالبقر والحمير على ماتقدم من دوس البُر، حتى يخلص الحب، أو كلما ذراه بالريح كان أتم لجمع القبائل [11] الذي

(١) النبال: المحراث بخشبة وحديده.

(٢) يحكم: يكمل أو يتم.

(٣) أزبار: جمع زبر بكسر الزين، وهو مايجمع بين أرضين، ولكن مايقصده هنا هو الكفل، أي الأرض التي تقع بين الخطوط التي تقع زرعها. والزبر كثيراً مايعمل في الأرض ليمنع خروج الماء منها.

(٤) الكحيف: وفي بعض مناطق محافظة إب يسمى والجلب، وهو حرث ملين الزرع من الأرض لينكبس التراب عند جذوع الزرع فلا تقتلعه الرياح أو تطرحه أرضاً.

(٥) الزرع المتغربة: النباتات المتفرقة.

(٦) نار مسلة: نار فحم لايتصاعد منه شعلة نارية.

(٧) أبصرها: شاهدها.

(٨) يمحسها: يدعكها أو يفركها.

(٩) يخبطها: يضربها.

(١٠) البيدر: (البيدر) هو الجرن.

(١١) القبائل: السنابل التي خلص الحب منها.

فيه، بشجر مُعصر[1] اكائه المكسحة حتى لايبقى في الصُبرة شيء، وينصبها ويكيلها، ويرفعها في المدافن[2] المنقودة[3] في الصفا[4] القوي الأملس، المعتاد لدفن الذرة، فإنه أجود لاقامتها في البلاد الجبلية، وأن طلب ادخار البذر، فيختار من السنابل أذكاها وأكثرها حباً، وأجودها، ويجعلها ناحية، ويضحيها حتى تنشف رطوبتها، ويخبطها بالمخابط[5] وهي العيدان، وينظفها من القش، ويشلها[6] بعد الجفاف الجيد في موضع جيد هوي[7]، لايناها حر الشمس، ولا الرطوبة حتى لايسوس إلى أن يحول عليها الحول، ويبذر منها إن شاء الله تعالى.

وأمّا في تهامة، فإن الذرة تزرع في أوقات مختلفة من السنة، وهي صنفان بيضاء وحمراء، فالبيضاء نوعان، منها البدها[8] وألوانها بيض، ومنها الحرص[9] وألوانها الثالثي تنسب إلى ثالث بنات نعش، ووقت زراعته في وادي زبيد ورمع[10] في أول آب، وهو في سردد ومور[11] ويسمى الست، ووقت زراعته فيها العاشر من آب، ومنها الخامسي تنسب إلى خامس بنات نعش، وزراعته في وادي زبيد في أول إيلول، ومنها السابعي ينسب إلى سابع بنات نعش، وزراعته في التاسع عشر من إيلول، وهومعظم زرع البيضاء في تهامة، ومنه زرع يسمى الزعر، يزرع في وادي سردد ومور، ووقت زراعته في التاسع والعشرين من آذار، وجميع زرع البيضاء في تهامة يتنول منه الفريك على شهرين ونصف، ويستوي على ثمانين يوماً، ويحصد على ثلاثة شهور من يوم زراعته، وجميعها يحرث لها الأرض حتى تطيب من الشجر والحشيش، ويسقى ماكان منها وادياً[12] بالسيول، أو الغيول، وما كان منها ضاحياً، بماء المطر فإذا قد شربت وانتهى سقيها وقف عن حرثها وقربها، حتى تنشف، وعاد عليها الحرث، فإذا أراد البذر فبذر الحب قراً في وسط الشط مستقبلاً بعضه بنزله من حبتين، أو ثلاث متواصلة لابينها فرق، بخلاف زرع الذرة في البلاد الجبلية فإنه يكون مواضع الحب على قدر خطوة، والذري في أوقاتها المذكورة لكل بطن من بطون الزرايع المذكورة، فإذا نشاء الزرع وصار له أربعون يوماً حرث بالأثوار كما يحرث زرع[13] الذرة في البلاد الجبلية التي تسمى الكحيف، ويسمى في تهامة الشذاه، ولا يحرث بعد هذا الحرث في تهامة، ولا يُعترض الزرع بعمل ثان بعده، ولا يعلف من

(1) معصر: مشدود إلى بعضه بواسطة حبل.

(2) المدافن: مخازن الحب المبنية في أسفل المنازل.

(3) المنقودة: المصنوعة أو المحفورة.

(4) الصفا: هو الصخر الشديد الصلابة.

(5) المخابط: بأخذ من فروع الأشجار المعتدلة ويحلف رأسها ليتمكن الفلاح من القبض عليها بكلتا يديه، ويضرب بها على السنابل لتخليصها من الحب.

(6) ويشلها: يرفعها.

(7) هوي: في الهواء.

(8) البدها: كذا.

(9) الحرص: كذا، وفي موضع آخر «الحرجى».

(10) وادي زبيد ورمع: واديان مشهوران من أودية اليمن تغذيهما مياه الهضبة الجبلية ويخترقان سهل تهامة ويصبان في البحر الأحمر إلى الجنوب من مدينة الحديدة.

(11) سردد ومور: واديان مشهوران أيضاً يأتيان من الهضبة الجبلية لليمن ويخترقان سهل تهامة ويصبان في البحر الأحمر إلى الشمال من مدينة الحديدة.

(12) وادياً: الأراضي المجاورة للوديان.

(13) يحرث الزرع: (يزرع حرث).

ورقـه شيء، ولاينقى، حتى ينتهي حصـاده، فإذا حصـد حمل إلـى الســدر [١]، وخُبـط بالعيـدان، من غير دوس الأبقـار، ولا بـالحجر، هكذا في زرع تهامة خلاف زرع الجبال .

ومنـه حمراء وتزرع أيضاً في أودية زبيد ورمع، ومـا والاهما، في وقت زراعـة البيضـاء، وصـورة زراعتهـا كصورة زراعـة البيضـاء، وحصـادهـا كحصـادهـا ، وخبطها كخبطها ، ومنها مايزرع في وادي رمـع من التهـايم، عنـد طلوع الثـريـا عشـاء، ويسمى عشوي، وزراعته في السادس من تشـرين الأول، وبعـده السري، وزراعته في السـادس عشـر من تشرين الثـاني في الحرجي خاصـة، والحمراء بعـده بخمسـة أيام، وبعده الححـرى [٢]، وزراعتـه في العشـر الأولى من كانون الأول، ومنها مايزرع في البلاد المذكورة في أول شهـر الشتـاء، ويسمى الحصـار التمري، وجميعها تحصد بعد ثلاثة شهور من وقت بذرها .

الأرز ـ ووقتـه الـذي يزرع فيـه، العشر المختارة من نيسان، وهو متلم الذرة [٣] في جبال حراز [٤]، وصـورة زراعتـه أن تحرث له الأرض الطيبـة، وتطيب له الحرث تطييباً جيـداً، ويسوى بالمحر [٥]، وتعمـل [٦] الأرض تشـرب مع السنبـل، ويبقى جميـع ما يطلع فيهـا من شجـر وحشيش، ويـرسـل عليهـا الماء بعد الحرث حتى يبقى فيها متحيـراً بقـدر الـزبـر، وكلما كثر الماء كان أجود، ويبقى المـاء في القطعـة [٧] حـائراً حتى يصفر، أو يستقـر ليلة كاملة، وتُعلم كل قطعة وحدها حتى لايخـرج المـاء من القطعـة إلى الأخـرى، فإذا صفى المـاء سفح الأرز بقشره، ويبقى سبعة أيام أو ثمانيـة بعـد ما يسفـح، ويظهـر نبات الأرز فيه فحينئـذ يفتـح العُقم [٨] ليسيل عنه الماء القابض حتى يلزم العـرق [٩]، فإذا لزم العرق وخرج فيه من شجـر أوحشيش، وقـد طلع الأرز بقدر نصف ذراع، أخـرج منـه الحشيش والشجر الذي تنبت فيـه، فارجف [١٠] من المـاء وسُقي بماء ثان حتى لاتجف أرضـه، وهـو يبقى ستـة شهـور أوسبعـة ويحصـد، وبيـان وقت حصـاده أنه يصفر وييبس الحب مثـل الشعـير والعلس، ويكـون ينفض عذقتـه بلطف إلى أجب [١١] أو شيء لحفظـه، ويحـتـر ز ولايـداخلـه طير ولادابـة حتى ينتهي ويصفـر، ووقت جزاتـه [١٢] يؤخذ برفق لئلا ينتثر منـه الحب، فإذا أراد تخليصـه من قشـره فليلكد بملكد حتى تتخلص الحبة من قشرها .

الـدُخـن ـ تحرث له الأرض، أي أرض وافقت، ولكنـه لايصلح إلا في البـلاد الحارة وفي البـلاد المعتـدلـة، وأمـا البلاد الباردة فلا يصلح

---

(١) السدر : الجرن ـ تهامية ـ .

(٢) الححرى : كذا، دون تنقيط .

(٣) متلم الذرة : وقت زراعة الذرة .

(٤) جبال حراز : تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة صنعاء .

(٥) المحر : معروف، عبارة عن قطعة خشب صلبة أو حديد مستطيل الشكل بعرض معين يشد بالسلاسل إلى الثيران ويستخدم في تسوية التربة .

(٦) وتعمل : كذا، وتجعل .

(٧) القطعة : قطعة الأرض .

(٨) العُقم : الأحجار والتربة التي تستخدم لحجز الماء .

(٩) يلزم العـرق : يتغلغـل عرق النبات في التربة ويبدأ مرحلة النمو .

(١٠) فارجف : كذا .

(١١) أجب : الأجب وعـاء يصنـع من خوص النخـل، ويغطى من الخارج بالجلد، تجنى إليه المحاصيل الزراعية .

(١٢) جزاته : كذا، جزه أي قطعة .

فيها، ولايزرع بها، وصورة زراعته أن يحرث له الأرض مرتين أوثلاثاً (١)، ويذرى، ويرمي بالحب بين كل خطوتين ثلث أو أربع حبات، ويكون يرمي بالحب من سِفل عُدة المحراث بقفا النبال (٢)، والتراب يرجع عليه، وكلما رمى ثلاث (٣)أو أربع حبات، وطأ عليهن بقدمه وطأة جيدة، حتى لا تلزم في الأرض، وتنبت نباتاً قوياً مسدا (٤)، ولاتحرث أرضه وهي جافة من الرطوبة، ووقت الذي يُذرى فيه والأرض رطبة تنبت الحب، وهويزرع في الأراضي التي على الغيول، والتي تُسقى بماء المطر الضواحي، وهو بالضواحي أجود إذا لحقه مطر الخريف، فإذا صار له أربعون يوماً كحف بالأثوار كما تكحف الذرة، وبعد نصف شهر من كحيفه تحرث الأرض طولاً بين رز (٥)الزرع، حتى تشرب المطر، ويفضل زرعه، ولا يحرث في وقت الندى (٦)بالجملة الكافية يحمى عليه الصفار (٧)، بل إذا قد ضربته الشمس وجف نداه، فإذا كان عليه كفاه، وإن قل المطر وكان على الغيول سُقي بالغيل، إذا قد حرث الحرث الأخير الذي بعد الكحيف.

ووقت زراعته في أول حزيران، ويقيم أربعة شهور ويحصد، وفي تهامة يزرع في متنم الصيف، في العشرين من شهر أيار، ويحصد بعد ثلاثة أشهر، وإذا طلب منه الفريك (٨)، أججت ناراً ذات لهب، وحرقت عذقته على لهبها من غير دخان، فإذا نضج، خُرط بين عودين من عيدان سنبلة، وحبه ينزل وينسف من قشوره ويتنول، فإذا أراد حصاده، فلا يحصد إلا وقت جف العنق، ونشف من المطر إن لحقه (٩)مطر، ومن الطل(١٠)، ويوضع في موضع لايناله مطر ولاندى، ويخبط بالعيدان، ويخلص من قشوره ويرفع، وإن كان كثيراً ديس بالأثوار والحجرة، ورفع في أوعية، ولايدفن فإن الدفن يتلفه ويعفنه.

الكنب - وله متلهان، متنم قطعة، والمتنم الثاني متنم السابع، وهو أن تطيب له الأرض سحبين(١١) أو ثلاثة، وذلك قبل أن يُسقى وتقطع الأرض أحواضاً مربعة مثلاً في مثل، ويسفح الكنب كما يسفح الجُلجُلان(١٢)، ويغطى عليه بمساحي(١٣) حديد، ويسقى بعد السفح، ويترك أربعة أيام ويسقى، وان تعذر الماء كان السقي إلى ثمانية أيام، فهوينبت لأربعة أيام، وبعد سقيتين يكون يُسقى في كل نصف شهر سقية، ويقيم في الأرض من إبتداء سفحه أربعة أشهر، ويحصد شهر زمان(١٤) من ابتداء حصاده، في كل

(١) ثلاثاً : (ثلثاً).

(٢) بقفا النبال : قفا النبال هو مؤخرة المحراث.

(٣) ثلاث : (ثلث).

(٤) مسدا : مفتولاً.

(٥) رز : مفردها « رزوة » وتطلق على نبات الدخن، لأن كل أربع أو خمس سنابل او اكثر او أقل جذوعها في كتلة واحدة مشكلة « رزوة ».

(٦) الندى : (الندا).

(٧) يحمى عليه الصفار : يصاب بالهزال فيصفر.

(٨) الفريك : « الجهيش ».

(٩) لحقه : أصابه.

(١٠) الطل : الندى.

(١١) سحبين : مثنى « سحب » وهو السن الحديدي للمحراث، ويقصد بقوله « أن تطيب له الأرض سحبين او ثلاثة » أن تحرث له الأرض مرتين أو ثلاث مرات.

(١٢) الجلجلان : السمسم.

(١٣) بمساحي : بمجارف.

(١٤) شهر زمان : شهر كامل.

سبعـة أيـام صربـة (١)، وهـو يلقـط كما يلقـط الـدخن، مهـما استحق الصـريب سنبلة سنبلة - ويترك (٢) - في الجرن حتى ييبس، ويخبط بالحنايا .

الطـهـف - تحرث له الأرض الطيبـة من الحشيش سحبـين، واحـد بالطـول، والآخر بالعرض، ومواضع الحشيش أربعة سحوب، ثم تقام له زبر جيدة، وتحرث له مواضع المحر منه بعـد ذلـك المحـرور، ثم تسقى الأرض أول ماتشرب في أول سقي، ثم تسقى بعـد السفح حتى يمتلىء المكـان ماء، ويكـون سفحه باليد كما سفـح الجلجـلان، فإنـه ينبت ثاني يوم من سفحـه، فإذا قد صار له نصف شهر سُقي سقية بالمـاء، ثم يترك نصف شهـر، ويُسقى سقيـة ثالثة، ويقيم ستين ليلة من يوم سفحه إلى وقت حصاده، ويحصد بالشريم (٣) كما يحصد البر، ثم يحمـل إلى منـدر بعيـد، ويعطن في الأرض كما يعمـل الجلجـلان، والتعطين هو أن تتركـه بعد حصـاده موضـوعـاً في أرضـه يوماً وليلة، ويكون البـذر قد ملجت أرضـه بضفاع (٤) البقر والطين، ثم يشمس حتى ييبس، ثم يخبـط بالحنـايـا وهي عصيـان منحنيـة الأطـراف يخبط بها، ويذرى في كل وقت، ويصلح .

السمسم وهو الجُلجُلان - وهويزرع في البلاد التهـاميـة وممـا كان حاراً من البـلاد الجبلية، وزراعتـه في التهـايم هو (٥) أن تحرث له الأرض، وتطيب من الشجـر الحشيش، وإن كانت واديـاً سُقيت بدفـع السيول، وبالغيول، وتركت حتى تنشف وتجف، وتبقى منهـا بعض رطـوبة بقدر ما ينبت الحب، ويعـاد عليهـا الحـرث، ويسفـح الجلجلان سفحاً بالكف متباعداً، ويحرث عليها حرثـاً يسـيراً حتى يتغطى بالـتراب وإن كانت الأرض ضاحيـاً لايُسقى لها إلا بالمطـر، فإذا وقع المطـر في الـوقت المـذكـور تركت الأرض حتى تنشف، وحـرثت وسفـح الجلجلان وفيها رطوبة بقدر ما ينبت .

ووقت زراعتـه من العشر الوسطى من تشرين الأول، إلى العشـر الـوسطى من تشـرين الثـاني هذا المتنم (٦) الجيـد، ويقيم بعـد سفحـه ثلاثـة شهـور وعشـرة أيام، ويقلع نتفاً، باليد، ويربط حزماً، ويخيم كل خيمة (٧) من حمل جمل وأكثر من ذلـك، فإن كانـت الخيمـة من حمل جمل بقيت نصف شهـر مُخيَمـة، وفتت بعد ذلك نفضاً حتى ينـزل جميـع مافيهـا من الجلجـلان، فإن كانت الخيم أكثـر من حمل جمل، بقيت مُخيمـة أكثـر من عشـرين يومـاً، وفتت ونفضت (٨) ورفع مايُنفض منهـا من الجُلجُـلان، وينفض نفضـاً قويـاً حتى لايبقى منـه في غلفـه، وصـورة التخييم أنك إذا انتفت (٩) شجر الجلجلان جعلته حُزما كل حُزمة بقـدر مايملأ الكفـين وأكثـر من ذلـك، وتجعـل رؤوس الشجـر مجتمعـة إلى أسفـل على صورة نبـاتـه، ثم يخيم هذا الخيم رصفـاً بعضهـا تحت

(١) « في كل سبعة أيام صربـة » أي تقطف سنابله مرة واحدة فقط في كل سبعة أيام .

(٢) ويترك : أضفناها ليستقيم المعنى .

(٣) بالشريم : المنجل .

(٤) بضفاع : روث الأبقار قبل أن يجف .

(٥) هو : (وهو) .

(٦) المتنم : (والمتنم) .

(٧) خيمـة : حُزم النبـات اليـابس توضـع على بعضها بطريقة معينة فتأخذ شكل خيمة ويطلق عليها « خيمة » أو « خيم » .

(٨) ونفضت : (ونقفضت) .

(٩) النتف هو انتزاع النبات بجلوعه من الأرض .

بعض، وبعضها فوق بعض، والأصول مما يلي الأرض ورؤوس الشجر من أعلى[1]، فإذا مضت المدة المذكورة من وقت التخييم، أو زادت فيها، فتحت رباطها التي قد حزمت به الخيمة، وتسكب الحزم، وجعلت رأسها إلى الأسفل، وأصولها إلى أعلى، ونفضها حتى لايبقى فيها شيء من الجلجلان إلى أن ينتهي إلى آخره .

وأما في البلاد الجبلية فيختار له الأرض التي يخالطها بعض الأحجار الصغار، وتطيب الأرض بالحرث أربع مرات أو خمس، حتى لايبقى فيها شيء من الشجر، ولامن الحشيش شيء، فإن كانت الأرض ضاحية لا يبقى لها إلا ماء المطر، سفح في أول حزيران أيام ذري الدُخن، ويكفيه السقي من المطر، ويحرث عليه بعد سفحه حرثاً لطيفاً حتى يتغطى بالتراب ولايرتدم[2]، وإن كانت الأرض ساقية شرب الغيل، وتركت حتى تجف، وتبقى فيها رطوبة تنبت الحب، وحرثت وسفح الجلجلان سقي[3] ـ كما يسقي الأرض الضاحي .

ووقت سفحه في الأرض التي تشرب بالغيول[4]، وقت مايشرب الأول كما تقدم منه فيما يزرع في التهايم، ووقت آخر في أول شباط، فإذا ثبت ومضى له شهران سقي بالماء من الغيول، وترك عن السقي حتى ينعقد الحب، فإذا اشتد حبه وعقد، سُقي ثانية وتُرك حتى ينتهي، وإذا بدا أول سنف[5] من سنفه[6] يتفتح، وينتفض مافيه، قلع من الأرض باصوله، وخيم خياماً صغاراً، ويبقى اثنا عشر يوما وينفض، ويرد كما كان مخيماً، ويبقى ثمانية أيام وينفض ثانية، ثم يرد كما كان خمسة أيام أو ثمانية أيام وينفض ثالثة ليخرج مابقى من الحب، ومدة اقامته من حين يسفح إلى أن ينتف خمسة شهور، ومن استعجله أخذه على أربعة شهور ونصف .

القُطن ـ تطيب له الأرض بالحرث تطييباً جيداً، ويُسقى بالماء سقياً جيداً، وتترك حتى تجف، ثم يحرثها سحباً آخر متقارباً بعضه إلى بعض، ثم تتلم أتلاماً كأتلام الذرة، وصورة زراعته إن كان زرعه موحداً، وهو الذي لا يزرع على زرع غيره، وهو أجود من المثنى ويكون في الأرض التي تحرث للقطن سماحة وبطح، فيأخذ البرعُم في التلم الأول، ويخلف[7] ثلاثة أتلام أو أربعة ويغرس الحب، وهكذا يفعل إلى أن يختم الأرض، وإن كانت مثنى، وهو الذي يزرع على زرع آخر، كان الزرع له أيضاً يبطل[8] من الأتلام ثلاثة ويجعل الغرس في التلم الرابع كما يفعل بالموحَد، ويكون ثقيلاً سنتين والثالثة شجيرا[9]، ويحمل في الشهر السادس من يوم زرعه، ويقيم في الأرض ثلاث سنين أو أربع لمن يريد بقاه، ثم بعد ذلك يُصرب، وتنتضى أرضه، ويجنى في السنة على طرف « صيفته » وهي التي تأتي في وسط الصيف، « وصربته » وهي التي تأتي في الخريف بعد صربه السابعي.

---

(١) أعلى : (اعلا) .

(٢) يرتدم : الردم هو التغطية الثقيلة بالتراب .

(٣) وسقي : أضفناها ليستقيم المعنى .

(٤) تشرب بالغيول : تسقى بمياه الغيول .

(٥) سنف : السنف هو الخباء الطويل الذي يحوي الثمرة (الزبيدي، تاج العروس، ج ٦، ص ١٤٦) .

(٦) سنفه : (سفنه) .

(٧) يخلف : يترك، أو يدع .

(٨) يبطل : يترك، أو يدع أيضاً .

(٩) شجيرا : الشجير هو الردى، (الزبيدي، تاج العروس، م ٣، ص ٣٩٣) وقد نقطناها اجتهاداً وإلا فهي (سحيرا) .

و « هستـه » وهي التي تأتي في الخريف وأجود بالصيفتـه والصربتـه، والبـاقي يورق على قدر مايرزق الله تعالى .

القضب ـ تطيب له تطييبـاً جيـداً كتطييب الأرض للفُوَّة بالحرث ، وتصلح بالحرث ، وتدمن بالدمان الجيد، وينقى مافيها من شجر، ووبل (١)، وحشـيش، فإذا طابـت الأرض، وأراد زرعهـا، أخـذ بذر القضب وخلط عليه مثله من تراب ورمـل دقيـق، حتى يتسـاوى بالخلط، وسفحـه باليـد سفحاً متواصلاً بحيث أن يكون تحت القـدم عشر حبات، ومن الناس من يسفح فوقـه الشعـير ، والعلس، فإذا تم سفحـه حرث عليه حرثاً لطيفاً حتى يتغطى بالتراب، ثم تقطع الأرض أحـواضـاً، ويـرجـع يزبر الأرض بمسد (٢)من حديد ليمسك الماء، فإذا أفرغ من تقطيع الأرض واصـلاحهـا، سقى بالمـاء حوضاً حوضاً من غيران تتفجـر، ويخليـه بعـد السقي حتى لاينبت، وبعـد ثمانيـة أيام يعيـد عليه السقي ، ولايـزال كذلـك يسقيـه كلما احتاج، حتى تظهر سنابل الشعير والعلس، وفصله مع القضب من بسح الأرض (٣)بالشريم، وأعاد عليه دماناً ثانياً إن رأى فيـه ضُعفاً وسقـاه بالماء عن كل ثامن، وبعـد أربعـين يوماً يجزه، ويسقيـه بعـد الجز، ويكـون يفتقد مايظهر فيه، من حجارة وحصى ، ويخـرجهـا عنـه، وكلما احتـاج إلى المـاء سقـاه، وحـاجتـه إلى المـاء أن تصفـر ورقـه السُفـلا ، والأصلح أن لايجـزه حتى يزهـر (٤)، ويـبـدأ بعقد البـزر، ولم ينفض شيئـاً من ورقه، وهو يقيم إلى مدة عشر سنين إذا كان عليـه السقي والـدمان والجصـوص، ولم يجز إلا في وقتـه، ولم تلحقـه آفة من حَر(٥) أو ماأشبهـه، وأضـر شيء عليـه أن ترتعيـه (٦)الـدواب في أرضـه، ويبقى من أصوله شيء ظاهر، ويجز قبل أن يبلغ في أقل من أربعين يومـاً، وإذا أراد أن يتخـذ منـه بذراً أبقاه ولايجزه حتى يعقد من قشره ونبته، والأصلح أن لا تتخذ منـه البـزر إلا إذا كان القضب على وجه نفاذه، ليحرث الأرض ثانيـة، ويطيب ويـزرع إن شاء الله تعالى .

ووقـت زراعتـه في سائـر السنـة إلا أيـام الخريف، وكثـرة المطـر، فإن كثرة المطر يضعف نباته ويخسعه (٧) .

الفُـوَّة ـ يختـار لها أجـود الأرض التي على الغيول من البلاد المعتدلة ، وأول مايبدأ(٨)حرث الأرض مراراً كثـيرة إلى عشـرين مرة، وتسـوى بالمحر حتى تعتدل من جميع جهاتها، فإن كانت الأرض نقيـة من الـوبل ، وهو الحشيش المتاصل الـذي يسـري في الأرض، ويقيم فيها ولاتذهب أصوله، وهو أعظم الآفات على سائر(٩)الزرع ، وعلى الفـوة خصـوصـاً، فلا يتهيأ زرع الفـوة في الأرض وهـو فيهـا، حتى يجر جميع التراب الذي

---

(١) وبـل : الـوبـل نوع من الحشـائش المتطفلة على النبـاتـات الـزراعيـة ، ويعـد من أخطر وأضر الحشائش المتطفلة إذ ينتشـر ويسـرى في الأرض كالـوبـال أي « المرض » ومنه أتت تسميته .

(٢) بمسد : مجرفة .

(٣) بسح الأرض : يصبح النبـات وسطح الأرض في مستو واحد .

(٤) يزهر : يظهر زهره .

(٥) حَر : عطش (الزبيدي، تاج العروس، م ٣، ص ١٣٥) .

(٦) ترتعيه : ترعاه.

(٧) يخسعه : يصيبه البلل فيتلف .

(٨) يبدأ : (يبدى) .

(٩) سائر : (ساير) .

علق به الوبل، أو ينقطع من أصوله، وتحرث بعده الأرض حرثاً جيداً، أو يلقط مابقى منه ومن أصوله، ويبدل عوض ذلك التراب الذي حره من الأرض تراب آخر أجود من الذي أخرج منها، إما من أرض أعلى منها، أو من جانب من جوانبها، ويصلح بالمحر حتى يستوي، فإذا استوت حمل إليها الدمال، من زبول البقر، والغنم، والدواب، وحرث عليها أيضاً حتى يختلط بالأرض، ويميت مايظهر فيها من الوبل، والحشيش، في كل مرة من الحرث، حتى تطيب طيباً ناهياً (١)، وإن كانت الأرض يبلغها دفع السيول سقيت بالسيل، ونكست منه العشوب، فإذا قد انخلط بها دفوع(٢) السيول، والدمال، حرثت الأرض، ولايكون الحرث لغرس الفوة إلا والأرض ناشفة من الماء، وإذا قد حرثت الأرض أربع مرات أو خمساً، فيكون يحرثها بعد ذلك مرة أتلاماً متقاربة، ومرة أتلاماً متباعدة، ويرجع يسقيها، وإن كانت ورد عليها السيل أو مطر أو إثر ماء بالجملة الكافية، فمتى طابت الأرض، وصار ترابها كالسويق (٣)، وأراد غرسها فيأخذ من عروق الفوة الخضراء ماكان عروقه ذات عقد، ويجتنب في الغراس مالم يبلغ أصله في الأرض سنة كاملة، وماكان فيه العروق الصفر الذي ينقصف من أمهاتها وينقضض (٤)، وتُمد العروق في أتلام قد تلمها في الأرض مفتوحة، كل تلم منها مستقيم من الآخر غير منطرح عليه، ويكون التلم تلى الآخر، حتى يكون من كل تلم إلى تلم قدر نصف ذراع، فإذا مد العروق، جعلها في قعر التلم، وواصلها بعضها ببعض، وكلما مد شيء، واصل بعضه ببعض، وغطاه بالتراب بقدر كف أو دونه، ولايزال كذلك حتى يختم الأرض غرساً، ولايغرس الأرض إلا في وقته، خشية أن يلحقها حر الشمس، وحر الأرض فيصيبها الرمض (٥)، فتتلف، ولاتنبت، ويكون سقيها بقدر مايملأ التلم، ولاتنفجر من تلم إلى تلم آخر، فإن انفجر سده بالتراب ليستقر فيه الماء، ويبقى فيه الري، وكلما انتضبت(٦) الأرض، وبان فيها الجفاف سقاها، وغالبه من خمسة أيام أو ستة حتى تنبت، ويطلع، وإذا تكامل نباتها، وصارت كلها كقذال (٧) الفرس في قعر التلم، سقاها من ثمانية أيام إلى ثمانية أيام، أو من عشرة إلى عشرة، فإذا مضى لها أربعون يوماً نقاها من الشجر، والحشيش، والوبل، ومما يطلع فيها نقاء جيداً حتى لايبقى فيها شيء، بمحفر لطيف، أو برأس الشريم، ويكون الذي ينقيها يحافظها، ولايلحقها المحفر فيضربها ولايكون غرسها أو حرثها ونقاؤها وحفرها وجميع عملها إلا في الجفاف، ولاتكون الأرض ملطة بالجملة الكافية، فإذا نقا وتمت نقاتها، أقامت بعد ذلك اثني عشر يوماً، ثم يسقيها في كل تلم حتى تمتلىء، ويكون الماء يحور فيها(٨)، فإذا مضى لها

---

(١) ناهياً : جيداً أو حسناً .

(٢) دفوع : الدفوع هو مايحمله السيل من قش وروث وأوراق أشجار وغيرها .

(٣) كالسويق : السويق هو دقيق الشعير (الزبيدي، تاج العروس، م ٦، ص ٣٨٨) .

(٤) ينقضض : ينكسر .

(٥) الرمض : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره (الزبيدي، تاج العروس، م ٥، ص ٣٦)

(٦) انتضبت : كذا، نضبت

(٧) كقذال : القذال هو مؤخر رأس الفرس . (الزبيدي، تاج العروس، م ٨، ص ٧٧) .

(٨) يحور فيها : يبقى الماء ثابتاً يدور داخل التلم .

شهـرين من يوم نُقيت، نقـاها ثانية مثل الأول، وتسقى بعـد اثني عشر يومـاً أيضـاً، وتكون بعد ذلـك تسقى كلما جفت أرضهـا، واصفـر أسفل ورقها الذي يلي التراب، فإذا مضى لها شهر من النقـاة الثـانيـة، حُجنت، بالمحجن (١)، بكسر أزبـار الأتلام حتى تصير الأرض سطحاً واحداً، ويعمـل بين كل خمـسة أتلام، ثلماً مستقياً يحرث له بالأثوار، وحتى يمسك الماء، ويقيم بعد الحفر نصف شهـر ويسقى، وكلما احتـاجت إلى الماء، واصفـر الـورق في أسفـل أغصانها سقيت، فإذا أمضى لها شهـر من يوم الحفـر، حُفرت حفرة ثانيـة، وفي أرضهـا رطـوبة، وتسمى هذه الحفرة « الحَجْنَـةِ »، وتكـون أعمق من الحفـرة الأولى وأقـوى، فإن كانت الفـوة على الغيـل لم يرفـع عليها التراب، وإن كانت على المثاني والدواليب رفـع على حبـوب الفـوة شيء من التراب، فإذا فرغ من الحفـر، كحفها بالأثوار كما يكحف زرع الذرة، وحتى يطلع التراب عليها، وينصب إلى اكفـال التلم، ويضمهـا الكحيف، ويقيم بعـد الكحيف عشـرين يومـاً، وتسقى سقيـة جيلدة، وبعـد سبعـة أيام تسقى ثانية، وبعد ذلك تسقى كلما جفت أرضهـا، واصفرت أسافل ورقها التي تلي الأرض، ولاعمل لها بعد ذلك إلا إذا مضى عليها الخريف، وطلع عليها شجر، فإنه إذا كان وقت صحـوٍ، والأرض ناشفـة كان ينقى منـه الشجر الذي طلع فيها، فإن الشجر والوبل عدو للفـوة، ولكـل زرع، فإذا حال عليهـا الحـول ووافت سنة من غرسها قُلعت.

وصـورة قلعهـا أن تنتخب لها ثورين قويـين جيدين، وعُدة رزينة (٢) قوية حادة كبيرة السحب وهـو السكـة التي يحرث بها، فأول مايبـدأ بحجز شجرهـا من مسح الأرض بالشـريم جزاً قوياً، مثـل جز القـضيب حتى لايبقى من أصـول عيدانهـا التي تلي الأرض من الظـاهر شيء، ثم ينحي ماجزه من الشجـر، ثم يحرث وسط التلم مرة أو مرتـين، ليجمـع القلعـة (٣)، ويلقطـون ماطلع من الفـوة في الـوسط، قلب التلم بعـد الأثـوار، فهو ينقلب من جنب واحد، وحينئـذ ينفض القلعـة مافيـه من الفوة إلى مكان واحد، ثم يرجـع يحرث مابجنب التلم مرة أو مرتـين ليلحق (٤) بسنـة السحب ماكـان فيهـا من أصول الفـوة الأملس الذي قد ينزل في التراب، ويجمع ذلـك جيعـه، وإذا أراد الغرس فيها غرس منه من ساعتـه، وإن كان يريد حمل الغرس من بلد إلى بلد، فإذا مضى عليهـا يوم وليلة رش عليهـا الماء لئـلا تجف ولاتـنـبت، فإذا قد صارت مقلوعـة جيعهـا حُملت إلى بنـدر، يقلبهـا في الشمس، ويجمع مادخل فيها من حشيش أوما في أغصانها الضاهرة السفى (٥) أومن الوبل، وضحاها يومان وتـرفـع إلى يوم ثالث، وفي اليـوم الثـاني من ضحـاهـا نفسحهـا (٦) بـاليـد حتى يتفتت منهـا التراب، وتظهر حمرتها ويحسن لونها، ويوم الثالث يزنهـا ويـرفعهـا، ويعبئها على قدر غرضه، وإذا أراد يعبئها بعـد وزنـها، خبطهـا بالعيدان خبطاً

---

(١) المحجن : أداة حديدية معقوفة الرأس، تستخدم في تنقيـة الحشـائش، وعمـل الاحـواض الصغيرة بجوار الزرع، وتسمى في بعض أجزاء اليمن « جِجْنَة ».

(٢) عُدة رزينة : محراث ثقيل .

(٣) القلعة : المحصول الذي قام باقتلاعه من الأرض .

(٤) ليلحق : معناها هنا ليصيب .

(٥) السفى : الشـوك . (الزبيـدى، تاج العروس، م ١٠، ص ١٧٨) .

(٦) نفسحها : كذا، تفحسها .

لطيفاً ليكسر أمهاتها، ويظهر مقاطع عروقها الحمر، ويزول عنها مابقي فيها من تراب، ويعبئها في الغراير [1]، ويخبط عليها وتحمل، واعلم أن الفوة لاتصلح أن تزرع في وسطها شيء من الزرع فإن زرع في وسطها من الزرع أتلف .

ووقت زراعتها المختار لها في العام وقتان، أحدهما في تشرين الأول، ليدرك الموسم الكبير في عدن، والوقت الثاني في أول كانون، ليدرك موسم الدلماني، والغرض كله إعمالها في أوقات لايكون فيها الأمطار، لأنها لاتريد إلا الجفاف للأرض من كثرة المياه .

الهرد ـ إذا أردت غرسه فاعمد إلى الأرض المتوسطة لاحارة ولاجبل، فتحرث حرثاً جيداً، وتطيب وينقى من الشجر والحشيش وغيره، وتدمن بالزبل وبالرماد مجموعين من أول مايغرس لاسوى، ويؤخذ من الهرد الأخضر المقلوع من أرضه قبل أن ييبس مقدار مايريد أن يغرسه منه، وتقطع الأرض أحواضاً مزبرة لايخرج الماء منها، ويفصل عرق الهرد، ويجعل المُكَسِّر الذي يكسره من العروق في قعر الأرض وعلوه إلى أعلى، ويغطيه بالتراب عمقاً، ويكون بين غرستين ثلاث [3] أصابع، وكلما أكملت حوضاً سقيته بالماء حتى يكمل الأرض غرساً وسقياً، ويعيد الماء عليه [4] في كل يوم حتى يخرج له قصب وهو شجره، فإذا قوي واشتد كان السقي له [5] عن ثاني [6]، ولاتجف أرضه لأنه إذا يبست أرضه تغير .

ومدة اقامته في الأرض سنة واحدة وقد انتهى [7]، فإذا دخل في السنة الثانية تغير، وهو يسري في الأرض كما يسري الزنجبيل، فإذا مضت عليه السنة قلع بالمحافر، وإن احتيج إلى شيء منه في أثناء السنة اخذت الأم التي كانت الغرسة الأصلية، وعلامتها [7] أنها غليظة زاكية العود، شاهرة الصفرة، تقلع بالمحفر، ويبقى ما نتج منها من الأولاد بحالها تحت الأرض، وعلامتها أن ألوانها صفراء [8] فاقعة، ويرد عليها التراب، وتسقى، وتبقى حتى يحول عليها الحول وتقلع، وإن احتيج الغرس ثانية جُددت له أرض أخرى، وعمرت ودمنت، وقطعت أحواضاً، ونقل من هذا الغرس إليها، وصنع به ما تقدم .

---

(١) الغرايـر : جمع غرارة، وهي وعاء كبير أو كيس مصنوع من الجلد .

(٢) موسم الدلماني : من مواسم الزراعة في اليمن .

(٣) ثلاث : (ثلث) .

(٤) عليه : (عليها) .

(٥) له : (لها) .

(٦) عن ثاني : عن كل ثاني يوم .

(٧) انتهى : اكتمل وأصبح صالحاً .

(٨) علامتها : صفتها .

(٩) صفراء : (صفره) .

الباب الثالث
القطاني(١) وهو الحبوب

الحمص - يزرع في المواضع المعتدلة، وتحرث له الأرض، وتطيب كما تحرث وتطيب لسائر الزرع، فإن كانت الأرض مما تسقى بدفع السيول، فتدمن بالدمان من زبول البقر، والغنم، وما أشبهها، وتتلم أتلاماً، ويزرع في قعر التلم بين كل حبتين دون نصف ذراع (٣)، يرمى حباً ويغطى بالتراب، هذا إذا كان فيما بين زرع الذرة، وإن كان منفرداً في المواضع التي تسقى بالغيل، فتعمل الأرض أحواضاً مربعة مزبرة، حتى تمسك الأرض ودمانها كما تقدم، وتسقى سقياً خفيفاً، وتتعاهد بالماء بعد نصف شهر أو أكثر من ذلك.

ووقت زراعته، عند طلوع السابع من بنات نعش، فأما نباته فهو ينبت في كل وقت، ولكنه لايكاد يثمر، وإن أثمر كان ثمره قليلاً، إلا أن يكون في وقته، ويثمر بعد ثلاثة شهور من يوم زراعته، فإذا أريد أخذه قُلع بشجره، وضُحي بالشمس وقتاً، وهو صنفان أبيض، وأسود، وقد يزرع مع الصومى، وفي نواحي مغربة تعز (٤)، عند صفاء السابع من بنات نعش، فيثبت ويصلح صلاحاً جيداً، ويقيم ثلاثة شهور ونصف ويُقلَع.

العدس - تحرث له الأرض كما تحرث لسائر الزرع، وحرثه أقل من البُر ومن الذرة والشعير، ويذره سفحاً باليد، ويحرث له بعد سفحه حرثاً خفيفاً، ووقت زراعته أول تموز، ويقيم ثلاثة شهور، ويحصد قلعاً باليد، ويجفف ويخبط، ويذرا من تبنه، وينظف، ويُرفع، ومزارعه البلاد الباردة، والأرض الضعيفة، وهو كبير، وواسط، وقاصر، فالكبير يزرع وقت زرع البر الوسني، والواسط يزرع وقت زرع الشعير، والقاصر يزرع في آخر وقت ذري الشعير، ويحصد لدون ثلاثة شهور كما يحصد ماقبله من الأصناف.

الماش(٥) - تحرث له الأرض مثل الحمص وسائر الزرع، ويذر حبه متفرقاً، بين كل حبتين شبر في قعر التلم، ووقت زراعته في البلاد الجبلية نيسان مع زراعة الذرة، ويحصد بعد أربعة أشهر فما فوقها، تقلع شجره كما يقلع الحمص، وفي التهايم يزرع على طلوع السابع، وقت زرع الذرة ويثمر فيها على شهرين ونصف، ويحصد على ثلاثة شهور كما تقدم في زراعة الجبال.

اللُوبياء - صنفان حمراء وبيضاء، ومن

---

(١) القطاني : هو حبوب الأرض التي تدخر، وسميت كذلك لأن مخارجها من الأرض مثل مخارج الثياب القطنية، ويقال لأنها تزرع في الصيف وتدرك آخر وقت الحر. (الزبيدي، تاج العروس، ج ٩، ص ٣١١).

(٢) لسائر : (الساير).

(٣) دون نصف ذراع : أقل من نصف ذراع.

(٤) مغربة تعز : مغربة تعز جزء من مدينة تعز معروفة، أما مايقصده المؤلف فهي النواحي الغربية الواقعة إلى الغرب من مدينة تعز.

(٥) الماش : يسمى في اليمن الإقطن، وهو حب صغير، أخضر اللون براق، وله عين كعين اللُوبياء « النجو »، مكحل ببياض، وشجرته كشجرة اللُوبياء. (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٤٧١).

الصنف البيضاء صنف تسميه الزراعون في تهامة الوابية، وجميع أصنافها يزرع كما يزرع الماش في الجبال سواء وسط زرع الذرة عند ذربها، وأما في التهايم فيزرع منها البيضاء والحمراء غير الماء، ويجنب (١) عليه قصب الذرة، وما كان منه من غث حتى ينتهي وقته .

العتر - تحرث له الأرض كما يحرث للزرع، ويسفح سفحاً متفرقاً، ولايصلح إلا في المواضع الباردة، ووقت زراعته، وقت زراعة العدس، أول شهر تموز، ويثمر على شهرين ونصف، وينتهي في ثلاثة شهور، فإذا انتهي قلع شجره، وضُحي بالشمس، وخبط ورفع .

المندبا - تكون زراعتها إذا حلت الشمس السرطان، في البلاد الجبلية، ويختار لها الأودية الحارة التي تشرب بالسيول، والغيول، كموضع قصب السكر، ويزرع في أودان الأراضي، وهي تنبت شجراً، كل شجرة بقدر قامة الأدمي، ودون ذلك، ويقيم عامين أوثلاثة، ويجني في كل عام، وهي تبذر كما يبذر العتر، والحمص، إلا أن شجرتها أقوى من شجرتهما، ويجنى منها مايبس علفه . . . . (٢)، وإذا أراد أن يستحدثها زرعاً في كل عام، زرعها في وقت زراعة الذرة، وتشرب أيام المطر ماء المطر، ويكفيها، وفي الشتاء تسقى الغيل حتى لاينقطع ثمرها .

المرطهان - الكشد، يزرع مابين الذرة، وهو في شهر نيسان، ومنه مايزرع على السواقي في البساتين، ويثمر بعد ثلاثة شهور من يوم زراعته الوابية، من طلوع بنات نعش أيام وقت زراعة الذرة في بطن السابعي، إلى آخر كانون الثاني، ومن وسط شباط لايصلح إلا زرع الوابية، وكلها حصادها بعد شهرين ونصف، وفي تهامة تجمع قلعاً بأصولها، وتخبط، إلا الوابية فإنها تجنى وشجرها باق في الأرض، كلما اصفر شيء منها ويبس جُني، حتى يتم ثمرها ولايتنفع بشجرها، كما ينتفع بشجر الصنفين اللذين قبلها، وأما في الجبال فيجنى أيضاً كلما يبس شيء من ثمرها وترفع، ويبدأ في جناتها من مضي أربعة أشهر من زراعتها، ويكمل في حصاد الذرة، ولاينتفع بشجرها، كما ينتفع به في تهامة .

الباقلا (٣) - يزرع في المواضع الباردة من البلاد الجبلية، ولايصلح في التهايم ولافي الأودية، من البلاد الجبلية، ولافي مواضع الأبل الكثير، وأجود مزارعه الأرض الطيبة الشرقية، التي لايسقط فيها الطل الكثير، وأكثر مايزرع في زرع الذرة في نيسان، ويتتول منه بعد ثلاثة شهور من يوم زراعته، وينتهي ويحصد بعد ستة شهور، ومنه مايزرع قياضاً في وسط زرع قياض الذرة، في آخر ايلول فيتتول منه بعد أربعة أشهر، وينتهي ويحصد بعد سبعة أشهر، إذا قد اصفر ويبس .

وصورة زراعته، أن يُرمى الحب في قعر التلم بين كل خطوتين حبة، وتغطى بالتراب، ويوطأ عليها بالقدم، وإذا حُصدت الذرة، سقى بعدها كلما احتاج إلى وهو يرمي حباً في التلم، ويكون بين كل حبتين ذراعان أو ثلاثة، ولايمتد ولاينقطع حمله في البساتين مادام يسقى، فإذا

---

(١) ويجنب : (ويجنب) كذا دون تنقيط .

(٢) كلمة مبهمة لم أستطع قرآتها .

(٣) الباقلا : كذا، باقِلّي وهو الفول، (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٥٦٠) ويطلق عليه، باقلى مشدداً مقصوراً، أو باقلا مخففة ممدودة، وقيل إذا خففت اللا مددت وإذا شددتها قصرت وهو الفول » (الزبيدي، تاج العروس، م ٧، ص ٢٣١) .

انتهى قُلع، أو جمع من شجره، وييبس، وخبط، ورفع، وليس يحتاج لاحفر، ولاعملاً إذا قد ثبت، وإذا أحب أن يتنول منه أخضر للاكل، فيجمع من شجره ويطبخ في قدر ويغطى، ويلقى فيه الملح قدر مايصلحه، ويرش عليه من الماء شيء هين، ويوقد تحته حتى يستوي .

فصل - ولاينعقد ثمره، ويؤكل في الغالب إلى أربعة شهور، أو ثلاثة [١]شهور ويتنول في أول تشرين الأول، ويدوم إلى أن يزول الضريب [٢]، في كانون، فإذا نزل الضريب يبس في البلاد الباردة، وأما حيث لاينزل الضريب في البلاد الحار، فيقيم إلى أول شباط، وينتهي، ويقلع من الأرض، وأما على السواقي فيقيم سنة كاملة أو أكثر. ومايكون ثمرة إلا القليل ، وليس له لذة الذي يأتي في تشرين ، وتشرين[٣] لأنه يأتي في غير وقته .

الحُلبة [٤] - تزرع في المواضع الباردة، وهي تزرع في الأرض الضاحية في شهر تموز، تقيم ثلاثة شهور، وتنتهي، وتقلع، وتضحى، ويحرث لها كما يحرث لزرع البُر، والشعير، ومنها مايزرع في أيام القياض على الماء في تشرين الثاني، وفي أول كانون الأول، وهي مما يزرع في طول السنة في المواضع الباردة وبعد ثلاثة شهور، وتقلع وتجفف وترفع .

الحلف - يزرع في مواضع البُر في المواضع الباردة، وإن زرع على السواقي صلح أيضاً، ومعظم زراعته أيام زراعة البر في شهر تموز، ويقيم ثلاثة شهور وينتهي، ويقلع بشجره، ويضحى بالشمس أياماً وينفض . وزراعته بسفح مع البر أو بعد أن يزرع البر، ويغطى بقليل من التراب، يجر عليه زربة [٥]، والمطر بسقيه .

الخردل - يزرع مثل الحرف[٦] - وفي وقته، ومعظم زراعته في وسط البُر، وإذا طلبت زراعته في السواقي زُرع في أول كانون الأول، ويقيم في السواقي أربعة شهور، وفي البُر ثلاثة شهور، وينتهي فإذا انتهي، قُلع وجفف وخبط ورُفع .

القرطم - يزرع في شهر نيسان، أيام زراعة الذرة، بين الذرة، ومن أراد أن يزرعه وحده زرعه . وصورة زراعته بين الذرة، أن يرمي حباً بين كل حبتين ثلاثة أذرع، أو ذراعين، وإذا كان وحده سفح ومتباعد[٧] بين سحه، ويقيم ستة شهور، ويزهر العصفر، ويجنى منه زهر العصفر، ويُخلى إلى مدة ثمانية أشهر حتى يعقد حب القرطم، ويقلع أو يجنى من شجرته، ويجفف ويخبط، ويرفع وأكثر صلاحه في المواضع المعتدلة، لاحارة ولاباردة، وفي المواضع الشرقية الضاحية، ويحرث له كما يحرث الزرع .

الخشخاش - الموجود هو الأبيض، ويزرع في المناهل على الماء، وفي الأرض الطيبة، ويحرث له الحرث الجيد، ويدمن مزارعه الأرض الحارة الباردة الشرقية، ويذرى في[٨] زراعة البُر العربي في حزيران، وينتهي في خمسة شهور . ومنه مايزرع في السواقي ، يسفح سفحاً، وتجر عليه زربة، ويكون سفحه متباعداً، ويسقى مراراً ويتعاهده بالماء كلما جفت أرضه، وينتهي على

---

(١) ثلاثة : (ثلثة) .

(٢) الضريب : البرد الشديد .

(٣) وتشرين : كذا .

(٤) الحُلبة : (Trigunelle Foenum grecum)

(٥) زربة : الزربة هي فرع الشجرة المليء بالأشواك .

(٦) الحرف : هو الحلف .

(٧) ومتباعد : خ (ومتى عد) .

(٨) ويذرى في : خ (ويدر فيه) .

سنة شهور، ويؤخذ في غلفه، فإذا يبست ... نفض منها ورفع إن شاء الله تعالى .

بزر الكتان - وهو المومة، يزرع أيام زراعة البر العربي في حزيران، وفي تموز، وقد تزرع وحدها، فإذا زرعت في السواقي صلحت وهي تسفح سفحاً كما سفح الجلجلان، ويغط باليسير من التراب، ويسقى إن كانت على الغيول، وإلا سُحب [1] على راية المطر [2] على نداوة بينها، ويسقى أيضاً ماء المطر، وتنتهي على أربعة أشهر، فإذا انتهت قلعت شجرتها، وجففت، ونفضت، ورفعت، ولا تصلح إلا في المواضع الباردة، ويحرث لها كما يحرث للزرع .

الحبة السوداء - تحرث لها الأرض حرثاً طيباً، وتنقى من الوبل والحشيش وغيرها، كما يفعل لسائر أصناف الخضراوات، ويحوض الأرض أحواضاً كل حوض ثلاثة أذرع طولاً ومثلها عرضاً، ويقام لها زبر يستقر فيها الماء، ثم يأخذ الحبة السوداء يسفحها تلك الأرض كسفح القضب، أو أخف منه ليندافابعضه ببعض، ويجر عليها شجرة خضراء خفيفة ليتغطى عليها بالتراب، ثم يسقيها من وقتها، ثم يتعاهدها بالسقي من ثالث أورابع . ووقت زراعتها في أول شهور للصيف من شهر آذار، ولا تصلح في البساتين، وفي مواضع المياه، وأجود الأرض لها البلاد الحارة المعتدلة، والأودية السالمة من الضريب، وهو البرد القوي والثلج، ويزهر على أربعة شهور ونصف، ويعقد في نصف شهر، ويقيم شهراً سادساً تنتهي فيه ثمرها، فإذا اصفر شجره وانتهى حمله وقُلع كما يقلع الجُلجُلان، ويعصر عصاير [3] مربوطة، ويضحى بالشمس حتى يجف، ويخبط وينسف [4] من قشره ويرفع .

---

(١) سحب : كذا، ولعلها سفح .

(٢) راية المطر : هي الرطوبة التي تخلفها الأمطار في التربة بعد هطولها .

(٣) عصاير : حُزم .

(٤) ينسف : يصفى .

الباب الرابع

في الأشجار المثمرة

النخيل [1] : وهي أصناف، فمنه (الثعـل)[2]، وهـو أجـود الأصنـاف، وأطيب ثمـرة، وصـورة غراسـهأن يسلخ من أبيه سلخاً، ولايعـرف له غير السلخ [3]، ثم تحف له حفرة قدر نصف قامـة الأدمي، إن كان الغرس بالغاً، وهـو أجودها مغرساً، ويكون له أربع سنين منذ ظهـر فيدفن في الحفرة، ويسقى لوقته، ويتعاهده بالسـقي عن ثالث يوم عشـرِدِلِيّ [4]، وكلما كبر وقـوى وتـوبـع سقيـه كان أجـود، وهذا الصنف يحمل إذا تتابع عليه السقي بخمس سنين . ومنه مايكـون ابن ستـين، وتكـون حفـرته مثل حفـرة الأول، وسقيـه عن ثالث يوم عشـرِدِلِيّ، ويحمـل لست سنين مع متـابعة السقي له، وربما حمل في أقرب من هذه المـدة، وثمرتـه جيعهـا أصفـر، ولايكـون فيـه ذكـر، ولامقصـاب، ولاحصارى [5]، ولايلقح إلا بالمولد [6] .

فصل ـ ينبغي أن يكون غراس الثعل متباعداً او اقـل أحوالـه أن تكون بين العـودين إثنـا عشـر ذراعاً، وأكثرها أن يكون بينها أربعة عشر ذراعاً، وينبغي أن لايغرس فيه إلا ماكان ذا عروق، فإن لم يكن كذلـك ، وإلا فلا جنـوة له . ومنه (المولد) وهو ثلاثة أصناف، دحر [7]، ومقصاب، وذبل، وصفـة غرسـه أن يغـرس في الأرض مأكـولاً من رُطب، ولايكون من الدحر [8]، وقد تغرس رُطباً بلحمـه كما هو، وهـو أجـود من الفصى [9]، ولايكـاد يتأخـر إذا غرس في الأرض الجيـدة، ويعمل حوضاً كبيراً، تحفر فيه مائة حفرة، حُفراً صغاراً بين كل حفرة والاخرى ثلاث [10] أصابع، وأربـع حبـات ، ويجعل في كل حفرة أربع فصى ، او أربـع حبـات رطبـاً، ثم يسقى ذلـك الغـرس جيعـه عن ثاني يوم، حتى يظهـر نباته فهوينشق لعشـرين يوماً، وإذا أبطأ كان لتمام شهر، ويبقى سنـة كاملة في تلك الأحـواض، فإذا أوفى السنة نقـل عن تلك الأحـواض بأصوله في ترابه الذي يحتـوي إليـه الغرسة إلى حُفر قد حفرها، يكون عمق كل حفـرة ذراع ونصـف، في عرض ذراع، ثم يرد على أصـولهـا شيء من الـتراب فوق الـتراب الـذي نقله على أصولها، وتسق كل غرسـة دلوين مادامت حريجا، وهو قريب الغرس عن ثالث يوم ، فإذا خلص من الحـراجـة ، سقي

---

(١) النخيـل : أضفنـاهـا من أجل الايضـاح، وهي غير واردة في الأصـل ولعلهـا سقطت على النـاسـخ ـ date - Palm ـ .

(٢) الثعل : نوع من أنواع النخيل .

(٣) السـلخ : إحـدى طرق التكـاثـر الخضري بالفسـائل وهي أفضـل طرق التكـاثـر في النخيـل، والفسـائل تنمو على جذع النخلة الأم وبعد سنة أو سنتين يتم فصلها من الأم وتنقل إلى موضع آخر حيث يتم غرسها .

(٤) عشرِدِلِيّ : مفردها دلو، أي تسقى عشرة دلاء باليوم الواحد .

(٥) ذكر، ومقصاب، وحصاري : أنواع من البلح .

(٦) المولد : نوع من أنواع النخيل .

(٧) دحر : كذا، دون تنقيط . وفي موضع آخر دخراً .

(٨) دحر : كذا، دون تنقيط .

(٩) الفصى : هو نوى البلح .

(١٠) ثلاث : ثلاثة .

ثلاث دلي حتى يرشد ويقوى، كلما تقوى وأقام ازداد سقيه إلى أن يستغني، فمنه مايستغني لأربع سنين، ومنه مايستغني لخمس، وعلى الذي يغرس أن ينتخب من النخل الجيد، فيأخذ من قصبه ورُطبه، والموهبة من الله تعالى، فإنه قد يطلع مشابه الأصل وقد يأتي بخلافه (١)، وقد يغرس رطباً فيطلع مقصاباً، وقد يغرس (دخراً) مقصاباً فيطلع رطباً، وقد يغرس دخراً فيطلع ذبلاً، وقد يغرس ذبلاً فيطلع دخراً فما له نظام إلا مارزق الله تعالى، وكذلك في الألوان .

فصل - إذا غرس من النخلة الدخرة المختارة المثمرة الجيدة، فلا يكاد يتفق فيما يغرس منها ذبلاً مختلف الألوان والأحوال، قيل السبب في ذلك رداءة الذكر الذي لقحت به الثمرة المغروسة منها، فإذا أُريد الغرس من مختارة من النخل المولد اختير لها الذكر الجيد المناسب لها . ووجه اختياره أن يكون الذكر حسن الصورة، سبط الطفى (٢)، طويل السعف (٣)، كبير الحلحفة (٤)والحبة ، فحلاً ، فإذا كان الذكر على هذه الأوصاف، ولقحت من النخلة الجيدة، وغرس منها من أول مايرطب من ثمرها، كان كلما يغرس منها جيد الثمرة للنخلة، والثمرة غرس مايغرس منها رطباً بنواه ولحمه غرساً على الصفة المذكورة أولاً ، فإن ذلك اجذب للغرس إلى مساواة النخلة المغروس منها ، وا ا . . . .(٥)ماخف منه يطلع لأربع سنين طلعاً ضعيفاً، وقد يبطىء لخمس سنين والأكثر من ذلك، ومنه مايبلغ إلى العشر السنين سيما العجوم، حتى يعطي الله فيه الرزق، ويطلع فيكون طلعه قوياً صالحاً . ويلقح الثعل عند خروج (الحلحفة) تقف أربعة عشر يوماً، وهي تنشق من نفسها، فعندما تبرا (٦)الحلحفة عن اللقح عن نفسها، فتأخذ من لقح ذكر النخل من شروخ، وتُجعل في وسط القَتب (٧)وتربط محزمين في أعلى القتب محزوم(٨)، وفي أسفله، ويجعل عليه ليف من فوقه، ويربط عليه أيضاً محزمين آخرين، ويقيم شهر، وهو يفتقده ومع ذلك ينفض باليد، والمحازم عليه، فإذا مضي نصف شهر نحيت المحازم عنه، والليف، ويباشر في كل أربعة أيام وينفض باليد، فإذا مضى له نصف شهر آخر بعد حل المحازم ، والليف ويدهن بالسليط (٩). وصورة الدهن أن يأخذ العامل سواكاً من جريد النخل تمضغ رأسه حتى يخرج له زوير(١٠)، ويرميه في السليط، ويمتص مايحمل من السليط، ويكون

---

(١) وقد يأتي بخلافه : هذه الملاحة في غاية الدقة فالنخيل بعد زراعته ونموه نادراً مايأتي بثمار من نفس النوع الذي غرس منه، وفي الغالب ثماره تخالف الأصل الذي استزرع منه .

(٢) سبط الطفى : مستوى الساق .

(٣) السعف : أوراق جريد النخل .

(٤) الحلحفة : كذا، لم أستطع تحديد ماهيتها .

(٥) . . . . : بياض في الأصل .

(٦) فعندما تبرا : (فعند تبرا) .

(٧) القَتْب : بالفتح هو فرع النخل الذي يحمل ثمار البلح .

(٨) محزوم : كذا .

(٩) السليط : هو الزيت .

(١٠) زوير : لزوير معاني عديدة، ومايريده هنا الزوائد التي تكون في رأس الجريد على هيئة رأس السواك أو شعر فرشاة الطلاء .

. . . . (١)بـه القـتب، كل قتب أربـع مضات هذا في الثعل، والمولد منه صنف يقال له « المطواع » عندما(٢) تخرج الحلحفة التي له تقف أربعة عشر يوماً مثل الثعل ولا يلقح حتى تنشق الحلحفة من نفسها فيقطع منه الحلحفة بالمجلب(٣) ، ويلقـح ويجْـري في النفض ، والافتقاد ، والمحازم ، والدهن مجرى الثعل .

صنف يسمى « المعصي » وهـو المفراط عند مخرج الحلحفة التي له تقف ثمانية أيام لاغير ، وتشق عصى دون العرض (٤)، ويكـون لقاحه ثمانيـة أخصـاب (٥)، أكثر من المولـد والمطواع والثعـل، وفـوق دهن الثعـل والمطواع والافتقاد واحـد في الجمـيـع ، ومن المستحب أن يدهن طريقـين، ويقعص بالقعص، وهـو نمـل صغار سود، ويكـون في أصـول شجر الأثل، فيقع من شجر الأثل أصول الشجر حيث يكون القعص، ثم يحمـل إلى أصول النخـل وإلى رؤ وسهـا، فيطلع النمـل إلى رؤ وس النخـل، ويـدخـل في الأقتاب بين البلح وهذا يُعمل للبلح إذا دخل فيه دود صغار يأكل البلح فيكون النمل يأكل الدود (٦)، وهذا يُعمل للمفراط خاصة .

ذكر أصناف البلح - بلح الثعل رهيف نزف (٧) حلو، هذا فيها ذبل منه ، والدخر بلحه منه حلوٌ ومنـه متـين عصي ، ولامعول على ذلك جميعه ، فقـد تكـون نخلة بلحهـا حلو طيب ، ورطبهـا رديء الطعمية ، وقـد يُعكس ذلك تكون بلحها رديئاً، وثمرها أجود ماكان .

ومعـرفـة . . . . . . (٨)النخلة الـذكـر من الأنثى ، أن فرع الذكر قوي الطفى وقوي السلا (٩)، والنخلة في الحالتين طفها ضعيف وسلاها ضعيف، وفـروع النخـل كلهـا سبطة أسبط من فروع الأنائي(١٠) المولدة .

فصل - قيل ومما يتميز به الذكر من الأنثى ، أن تغرس النوى أو التمر حوضاً كما تقدم، ثم يدفن يسـيرا ، ثم توضع عليه هِدْمَة(١١) قوية ، ثم تدفن عليـه يسـيرا أيضاً، ثم تسقى ، فإذا ثبت فالذكر يشق تلك الهدمة [ولاتنفذ فيها للينها .] (١٢)

ذكـر أصنـاف التمـر - المقصـاب لايجنى من القتب حتى ييبس في رأسـه ويقطـع القتب من أصـله ، ويخْـرط ، ويـضحى في الشمس ثلاثـة

---

(١) . . . . : بياض في الأصل .

(٢) عندما : (عند) .

(٣) المجلب : هو المنجل .

(٤) دون العرض : بالطول .

(٥) أخصاب : (احصاب) دون تنقيط ، أخصاب : أجزاء (الزبيدي ، تاج العروس ، م ١ ، ص ٢٣٥) .

(٦) تسمى هذه الطريقة التي ذكرها المؤلف « بطريقة المكافحة الحيوية » وهي من أفضل الطرق في مكافحة آفات البلح ، وهناك طرق اخرى كيميائية تستخدم في أيامنا هذه لكنها تؤدي إلى الاضرار بأشجار النخيل .

(٧) نزف : لاماء فيه .

(٨) . . . . . : كلمة مبهمة لم نستطع قراءتها .

(٩) السلا : الأوراق .

(١٠) الأنائي : كذا ، الأناث .

(١١) هدمة : الهـدمـة الثـوب الخلق والجمـع هُدوم (الزبيدي ، تاج العروس ، م٩ ، ص ١٠٠) .

(١٢) الجملة التي وضعنـاهـا بين حاصرتـين وردت بهذه الصفـة ، وفي اعتقـادنـا أنـه قد سقط على الناسخ كلمة الأنثى « ولاتنفذ الأنثى فيها للينها » .

(١)أيام أو أربعة، والرجيز(٢)عند أن يجنى يحمل إلى المشمش(٣)، ويضحى فيها أربعة أوخمسة الرُّطب(٤)منه، واليابس دون ذلك، وينقى مافيه من وسخ، وحشف(٥)، وخاسع(٦)، ويحمل من الشمس ويجعل في قفاع، فإذا امتلأت القُفعة رشت بالماء، وتعبأ بالرجل رزما، إلا الثعل فإنه إن رش بالماء فسد، مقدار الماء كلما كيل عشرة أزبد(٧)جعل عليه قد زُبدي ماء، في التمر اليابس، والرطب منه أقل من زُبدي، ومن الناس من ينتخب الرجيز فيجعل عوض الماء سليطاً، ويضيف إليه كموناً ليطيب طعمه ورائحته.

ذكر مطلع النخل - شهرين تطلع وتعمل بالتلقيح، وشهران يكون بلحاً، وشهران رُطباً، وستة شهور وساب(٩)، ووقت الطلع في أول هبوب الريح الأزيب(١٠)، وهو الرياح اللواقح.

العنب(١١) - تتخذ غرسة على ثلاث طرائق، أما طريقته فتقطع أقلاماً(١٢)، طول كل قلم ثلاثة أذرع، من النوامي التي تكون غلظ العصى المتوسطة، فتلوي القلم ليتين حتى يصير حلقة، وينزل طرف الحلقة الملتقيان موضع القطع في حفرة عمقها ذراع ونصف حتى تنعطف نصف الحلقة بالتراب، ويخلي عيونها ظاهر فوق التراب، بعد أن يطيب الحفرة ويرد عليها الطيب، وتسقى لوقتها، ويتعاهد سقيها على ثلاثة أيام أو أربعة، إلى أن يورق، ويلزم العرق ويرشد، وإذا أورق حفر عليه، ودفن ونقى من الشجر الذي طلع فيه، وذلك بعد ستة شهور من يوم غرسه. والمختار له من الأرض البلاد المعتدلة التي أكثرها إلى البرد في الأرض الشرقية، وفي التربة الطيبة، وبعد أن يرشد يكون سقيه من ثمانية أيام إلى ثمانية أيام هذا من سنته التي يغرس فيها حتى يتقوى، وينزل عروقه في الأرض.

ولغراسه وقتان، إما بالخريف في إيلول، وإما في نصف كانون الثاني قبل جري الماء في العود، وحتى لايجري الماء في العود إلا وقد صار مغروساً، وقد تطلع نامية من نوامي الكرم، والنامية هي غصن معتدل من أغصان الكرمة مثل الغصن الذي يقطع منه القلم، فيقطع فيحلق سفلها موضع القطع حلقة، ويغرس في

---

(١) ثلاثة : (ثلثة).

(٢) الرجيز : اسم لثمار البلح عند تمام نضجها - شعبية -.

(٣) المشمش : جرن يقام في الهواء الطلق وتعرض فيه المحاصيل أياً كانت لأشعة الشمس.

(٤) الرطب : خلاف اليابس قال تعالى : « ولارطب ولايابس ». (نشوان، شمس العلوم، ج ٢، ص ٢٤٧).

(٥) حشف : الحشف أراد التمر، وهو الضعيف الذي لانوى له، أو اليابس الفاسد الذي لاطعم له ولاحلاوة. (الزبيدي، تاج العروس، ج ٦، ص ٧٠).

(٦) خاسع : مبلول - شعبية -.

(٧) أزبد : مفردها زبدي « أوزبدية بالكسر صفحة من خزف والجمع زبادي » (الزبيدي، تاج العروس، م ٢، ص ٣٦٣).

(٩) وساب : كذا، لعلها « رساب » توقف عن الاثمار.

(١٠) الريح الأزيب : مازال يسمى هكذا إلى يومنا.

(١١) العنب : GraPe.

(١٢) أقلاماً : تسمية علمية مُعْتَمدة إلى يومنا هذا.

الأرض كما ذكر في غرس الحلقة المتخذة من القلم، ويغطى بالتراب كما يغطى، وتبقى عيونها وسائر [(١)] النامية ظاهراً على الأرض، وتعمل للنامية أعماد وشرع [(٢)]، وترفع عليه كما هي عند أخذها من كرمتها وتسقى إلى أن تورق . ووقت غرسها مثل غرس الأقلام .

طريقة اخرى ـ وهي أن تعمد إلى غصن من أغصان الكرمة فتخرجه منها، وتتركه في سلة من قصب قد ملأتها من تراب طيب، وخلطت فيه مافي نفسه من الدمان وتضعها تحت الكرمة، وحيث يمكنك أن يبلغ الغصن ، ويستقر في السلة، بحيث أن يكون الغصن في نصف التراب الذي فيه، وترد عليه بقية التراب من السلة حتى تمتلىء السلة، وترزم بحجرين لئلا يرتفع الغصن، وتسقيه بالماء عن ثالث وعن رابع ، إلى أن يضرب العرق في التراب الذي في السلة، وتظهر العروق من جوانب السلة . ووقت تبريكها[(٣)] في السلة في وقت حفر العنب أيام الخريف، وكثرة الأمطار في أيلول، فإذا مضت لها سنة، ولزمت العروق، فإن كانت السلة ظاهرة فوق الأرض قطع التبريكة من أصلها وحملها بسلتها، وإن كانت السلة أنزلت [(٤)] في حفرة يوم تبريكها، فإن من الناس من يحفر لها حفرة وينزل السلة فيها إلى ثُلثها، ويرد عليها التراب حتى تكون أقوى لنزول [(٥)] عروقها وليمكن سقي الماء، فحينئذٍ يُحفر عليها، وتُستخرج السلة منها، فإن كانت السلة قوية لم يخسع حملها كما هي يغرسها، ويحفر لها حفرة بقدر مايسعها، ويزيد على وسعها في العمق [(٦)]، وينزلها في الحفرة، ويغطيها بالتراب، ويسقيها إلى أن ترشد .

ووقت نقلها وغرسها إما في أيلول في الخريف على سنة من يوم تبريكها، أو إلى نصف كانون الثاني قبل جري الماء في العود، وحتى يجري الماء فيها وترشده، وقد تنزل الثانية من الكرمة في حفرة يحفر لها في الأرض من غير سلة [(٧)]، ويرزم بحجر، وتسقى حتى تضرب العروق في الأرض، فإذا أراد نقلها حفر عليها بترابها وعروقها، وقطعها من أصلها من الكرمة، وحملها إلى حيث يريد في سلة بترابها وعروقها، واستخرجها من السلة ويبركها في حفرة غمقها [(٨)] ذراع ونصف، قد هيئها بالدمان والحفر، وغطاها بالتراب وسقاها كما تقدم . ووقت غراسها وتبريكها في الوقت المذكور أولاً كما تقدم في ذكر التبريك في السلة، والأقلام أقوى غرساً أو أقوى ثمراً هذا في جميع أصناف العنب .

---

(١) وسائر : (وساير) .

(٢) شرع : حبال مشدودة لتسلق عليها الكرمة وتنشر أغصانها .

(٣) تبريكها : التبريك هو أحد طرق التكاثر الخضري وتسمى علمياً « الترقيد » ـ وهذه الطريقة التي ذكرها المؤلف ـ تسم « الترقيد الهوائي » (محمد يسري الغيطاني، الزهور، ص١٤٧) .

(٤) انزلت : (نزلت) .

(٥) لنزول : (النزول) .

(٦) العمق : (الغمق) .

(٧) من غير سلة : هذا يسمى « الترقيد الأرضي » حيث يحني الفرع على الأرض ويدفن جزء منه في التربة بعمق ٥ ـ ١٠ سم بعد عمل جرح في الجانب السفلي من هذا الجزء المدفون ويوالي ريه حتى يخرج جذوراً يستطيع الاعتماد عليها فينفصل من الأم تدريجياً . (محمد يسري الغيطاني، الزهور، ص ١٤٦) .

(٨) غمقها : كذا .

وإذا أراد أن يغرس أرضاً خالية، حفر الحفائر المقدم ذكرها لنقل الغراس، ويجعل بين كل غرسة واخرى خمسة أذرع طولاً، وفي العرض بين السطربن عشرون ذراعاً، ويحفر على الغرس في كل سنة حفرتين ينقى مافيه من شجر وحشيش وغير ذلك، الحفرة الأولى في آيلول، والثانية في كانون الثاني، ويقلم في العشرين الأولى من شباط، ويشرع فيها وتسقى في أول شباط، ولاتقلم حتى تسقى، وهذا الغرس يحمل لثلاث سنين وهو أكثر مدته. والتبريك إذا وافق أرضاً جيدة، وسقياً جيداً، ومُعَانا حمل من سنته.

وإذا أردت تركب [(١)] العنب بعضه في بعض، وكانت الغرسة كبيرة، وكانت من سائر أصناف العنب، فيجب أن تسطر الكرمة على القصب قبل تقليمها في كانون الثاني، وكُش [(٢)] سفلها بالسكين أربع سنين [(٣)] مربعة، ثم يأخذ من العنب العاصمي، والزيتون، ومخ العصفور، والبياض [(٤)]، من كل صنف قلماً، ويترك في كل ركن من أصل الكرمة قلماً، ويكون سفل القلم مبرياً مثل بري القلم سواء، يجب ينزله بالشق، فإذا قد صارت الأربعة الأقلام في الأربعة الأركان، ربط عليها بخرقة [(٥)] طاقين [(٦)] أو ثلاثة حتى لايدخل فيها التراب بين الأشقة [(٧)]، ويترك رؤوس الأقلام الأربعة ظاهرة من الخرقة، ويأخذ حبل قنبار أو سلب [(٨)]، فيربط على الخرقة بالحبل ربطاً قوياً حتى يجتمع أصل الكرمة على الأقلام الأربعة، ويأخذ الطين البري ويعجن عجناً جيداً ناعماً، ويُعمل على مواضع الخرقة جميعها، والقنبار غُلظ [(٩)] أصبُع أو أكثر، ثم يأخذ التراب الذي في سفل أصل الكرمة المشقوق وعلى الأقلام حتى يتغطى بالتراب، ولايبقى ظاهر من الأقلام سوى عقد واحد من كل قلم، ثم تُسقى الكرمة من وقتها سقياً جيداً، أويكون يفتقدها بالسقي في كل وقت عند الحاجة، وعند يرى التراب الذي على الأصل قد جف فيسقيها ثم لايزال يتعاهدها بالسقي إلى أن يلتحم الشق، ويجري الماء به في الأقلام، ويورق ويرشد في الاقلام ويحمل من سنتهِ حِملًا ضعيفاً، وفي الثانية يكون أقوى، وفي كل سنة يزداد حمله فيكون هذا أعجوبة أربعة أصناف في أصل واحد. ووقت عمله ذلك في كانون الثاني ليستقبل جري الماء في العود، وجميع أصناف العنب من عاصمي، وزيتوني، وعين البقر، ودوال، وأطراف، وبياض، ويغرس على صفة ماتقدم ذكره.

والذي يصلح الأعناب الحفر الطيب، والدمان الكثير بزبل البقر والغنم، وحفره في أوقاته وهي في أيلول، ووقت طلوع بنات نعش فهو صحة العنب، وتموت الدود منه، وتعشيب العنب والسقي بعد القطع، والتقليم، وتقليمه في شهر شباط عند جري الماء في العود، ويقلم

---

(١) تسمى هذه الطريقة بطريقة « التطعيم ».

(٢) وكُش : خرق.

(٣) سنين : كذا، ثقوب.

(٤) العاصمي، والزيتون، ومخ العصفور، والبياض : أربعة أنواع من العنب اليمني.

(٥) خرقة : قطعة قماش.

(٦) طاقين : يلوي القماش عليه مرتين.

(٧) الأشقة : كذا، الشقوق.

(٨) سلب : السلب حبل رفيع يصنع من أوراق أشجار السيل التي تسمى في اليمن « السلعف ».

(٩) غُلظ : سُمك.

ويشرع على العيدان والقصب وتربط العيدان والقصب لئلا تقلبه الرياح، ويسقى بعد ذلك إلى أن يجري الماء فيه وتبدو ثمرته ويصير جرصماً [١]، فإذا قد بدأت فيه الحلاوة خفف عنه السقي إلى أن تزكي حلاوته، ويقطع الماء عند جملة واحدة، وإن سقاه انحلت حلاوته، ووزن في الميزان، وتلف خمره، وعلامة كل صنف من الأصناف ترويته [٢] .

التين [٣] - يؤخذ إما ردآئم تبريكاً أو سلخاً من شجره . وأما صورة التبريك وردمه فهو أن يدنو الغارس من الشجرة فيجر غصناً من أغصانها في أيام الخريف في شهر أيلول، فيدنيه من الأرض، ويحفر له حفرة، فيجعل فيها الغصن ويغطيه بالتراب، ويجعل رأس الغصن ظاهراً من التراب، ويرزمه بحجر، ويخليه حتى يحول عليه الحول، وتصير له عروق ضاربة في الأرض، فإذا أراد الغرس به إما في أيلول أو في نصف كانون الثاني، فيقطعه من شجرته، ويحفر عليه ويقلعه بترابه، ويحفر له حفرة عمقها ذراع، ويجعل الغرسة فيها، ويرد عليها ترابها ويسقيها من خامس، وعن سادس حتى ترشد، وتضرب العروق، ويسقيها بعد ذلك من عشر إلى عشر فما فوقها . ومنهم من يعمد إلى شجرة التين فيسلخ منها غصناً ويحفر له حفرة كما تقدم، ويطيبها بالدمان، وينزل منها موضع السلخ، ويرد عليه تراب الحفرة، ويسقيها عن ثالث يوم أو رابع إلى أن ترشد، والردم أقوى من السلخ وأقرب حملاً، ووقت غراسه كغرس الأول .

والتين يصلح في المواضع المعتدلة، وليس يصلح في الشديدة البرد، ويصلح في الأرض المرجة، والحجرية التي تكون شرقية، ويثمر على سنتين أو ثلاث، وقال بعضهم يغرس التين في السنة مرتين، مرة في وسط الخريف عند حلول ثمرته فيه، ومرة في أول تشرين الثاني . تغرس الغرسة سلخة من شجرتها في أرض طيبة محروثة ، فيها شيء من الحصى الصغار ، فإن كانت باردة دمنت بزبل الغنم، وإن كانت حارة دمنت بزبل البقر [٤]، ويصنع بها كما تقدم . فإن خاف على الغرس الدود، أو آفة تعرض له، فيأخذ من البصل المدور قبضة يرميه في أصل الغرسة، وإن غرس في أرض قوية التراب قليلة الحصاء فيستحب أن يلين طرف السلخة، ويغرسه في الأرض، ويعمل عليه حجراً لطيفاً، ويغطيه بالتراب لأن الحجر بارد يمسك البرودة في ذلك الموضع، فإذا حملت [٥] الغرسة ورأى ثمرها ينفل [٦] ويسقط، فيأخذ من التراب الذي يسمى المغرة المصريّة ، فيبله بالماء ويخوضه ، ويكون ثخيناً، فيذرع من سفل الغرسة من التراب إلى . . . . . . [٧] قدر ذراع، ثم يطلي فوق الذراع بالتراب قدر مقبض كفّ باليد، دائر

---

(١) جرصماً : يسمى العنب حرصماً عندما يكون ثمره دون مرحلة اكتمال النمو ومذاقه حامض .

(٢) ترويته : مده بالماء وارواثه بشكل كاف .

(٣) التين : هو البلس، ويسمى في مصر التين البرشوم « Ficus Carisa » - (الشهابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٢٥٥) .

(٤) هذا التصنيف للسماد، ولنوع الأرض التي يصلح لها، فيه دقة علمية إلى حد بعيد فمن المعروف علمياً أن روث الأغنام حار وهو جيد إذا سمدت به الأرض الباردة، في حين أن روث الأبقار بارد، ويصلح للأرض الحارة .

(٥) حملت : أثمرت .

(٦) ينفل : ينتثر .

(٧) . . . . : بياض في الأصل .

على الغرسة، فإن حملها يثبت ولايسقط منه .

البلس الروم ـ غراسه مثل غراس التين، واصلح الأرض له الضواحي التي لاتشرب إلا ماء المطر، وهو يثمر على ثلاث سنين، وأكثر مايغرس سلخاً من شجرته وقد يبرك له كما يبرك للتين، ويغرس على أيلول، ويسقى بماء المطر، ويغرس أيضاً في كانون الثاني كما يغرس التين، ويسقى الماء إلى أن يرشد، وبعد أن يرشد فلا يحتاج سقياً إلا ماء المطر، ويحفر عليه في الخريف حَفرة واحدة ليقوى ويثمر، ومنه في المواضع الساقي الحجِر [١] فيكون فيها صالحاً .

الرُمّان [٢] ـ الحلو أربعة أصناف الماوي [٣]، والمليسي [٤]، والصنعاني [٥]، والبلدي [٦]، ووقت غراسِه في شباط، تطيب له الأرض ويدمن، ويؤخذ أقلاماً طول كل قلم شبر ونصف من الأغصان المتوسطة التي هي بغلظ الأصابع فما فوقها، ويغرس القلم في الأرض مركوزاً [٧] إلى الميل، ويغطى بالتراب حتى لايبقى منه شيء إلا طول أصبُع، ويكون بين كل غرسة وغرسة شبر ونصف، ويغرس في حوض، ويسقى ويدمن ويُعانى بالسقي والنقاء من الحشيش، ويبقى في الحوض سنة كاملة إلى أن يطلع ويقوى ويصير ذراع ونصف إلى ثلاثة أذرع، وحينئذ يطيب له موضوع آخر تطييباً جيداً، أو يحفر لكل غرسة حفرة عمق ذراع مستديرة، ويكون بين كل غرسة وغرسة خمسة أذرع من كل جانب، ويحط عليه الدمان في الحفرة عند أن تبرك الغرسة، وقليل قطران يُسقى عليها عند الغرس لئلا يلحقها الدود والأرضة [٨]، يعانا بالخدمة والسقي فهو يحمل على ثلاث سنين من يوم ينقل، وقد يحمل حملا خفيفاً بعد سنتين من يوم غرسه، وإذا قد جنى حمله في السنة الثالثة قطع الماء عنه، ولايسقى إلى أن يجري الماء في العود، فيسقى حينئذٍ ويحفر عليه ويدمن، إلى أن يزهر فإذا أزهر واستوى زهره أمسك عنه الماء، إلى أن يعقد، وأن يسقى قبل أن يعقد خشي عليه أن ينفض الزهر ولايعقد، وإذا خيف عليه أن ينفض الزهر ولايعقد فتأخذ حجراً وتجعلها في الشجرة بين الأغصان، فمن خاصيتها أنها تمنع الأنتثار، فإذا عقد سقى إلى أن يجني، وإن عطشه وسقاه بعد ذلك تشقق واشتد قشره وتلف .

---

(١) الحجر : الذي تكثر فيه الأحجار الصغيرة .

(٢) الرمان : شجر مثمر من الفصيلة الآسية ـ معروف - « Punica granatum » - (الشهابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٥٦٨) .

(٣) الماوي : نسبة إلى بلاد ماوية التي تقع إلى الشرق من مدينة تعز .

(٤) المليسي : كذا، وهو امليس وامليسي الحلو الطيب من الرمان الذي لاعجم فيه، وهو مأخوذ من الملاسة بمعنى النعومة . (الزبيدي، تاج العروس، م ٤، ص ٢٥٠) .

(٥) الصنعاني : نسبة لمدينة صنعاء .

(٦) البلدي : التعزي، وفي اليمن كافة تسمى المحاصيل الزراعية المحلية « بلدي » أي من انتاج البلد .

(٧) مركوزاً : منتصباً .

(٨) الأرضة : حشرات صغيرة تخرج من الأرض تنخر أخشاب الأشجار اليابسة والخضراء .

الـرمـان فيـه أنثى وذكـر، فالأنثى هو الـذي (١)يزهر ويعقد، والذكر منه الذي يزهر ولا يعقد، ومعـرفته أن الأنثى شجرتها تدور وتلتف، والذكر تطلع عوده نيحا (٢) من غير تدوير، وأيضاً يعرف في وقت زهـره، ماكـان ينفض فهـو ذكر، وماكان لينفض فهـو أنثى، وإن كان ذكراً وأردته يحمل، ويمسك زهره فينقب في بدن الشجرة نقباً، ويحط في موضـع النقب عود خَرْمَـلٍ (٣)، فإنـه يعقـد الحب، وجميـع أصناف الرمان يغرس على صفة ماتقـدم، وكـذلـك غرس الرمان المزوج على ماتقدم من ذِكر الغرس، وفي الوقت المذكور.

وأمـا الـرمـان الحـامض فهوبري ولايُعْبأ به، وعمله مثله.

السفـرجـل (٤) - يؤخذ غراسه من أولاده الذين تنبت بجنبه (٥)، أو يردم له ردايم كما تقدم في ذكر ردايم التين، فإذا قد ثبت وصار له سنة، قطعت الـردمـة من الأصـل، وحفـر عليهـا ونقلت إلى جنب مريـد (٦)، ويغـرس كما يغـرس الـرمـان، ويعانا بالخدمة كما يعانا ★ الرومان، ويسقى عند سقيـه بالقطران ليمنع الدود، ويطيب له الأرض كما ذكـر في الـرومـان، فإذا أزهـر قطـع عنه الماء حتى يعقد حباً ويصبر بقدر الجوز، فحينئذٍ يعيد عليه السقي، كلما كثر عليه السقي زاد في حسن الثمرة.

ولغـراسـه وقتان، في أيلول في أيام الخريف، وفي كانـــون قبـل جري المـاء في العـود. وأجـود الأرض له الملحة البطحـة القـريبـة الصفا (٧)، ويثمـر على ثلاث سنين إذا صلح، وإن تأخر فلأربع سنين.

التفـاح (٨) - ثلاثـة (٩) أصنـاف، حلو، وحـامض، ومسكي، يؤخـذ غرس التفـاح من أولاده التي تنبت بجنب شجـرتـه، فهـو يحب الأرض البـاردة، والأرض الرطبـة. ويغـرس في شبـاط، تطيب له الأرض، ويدمن، ويغرس في حفرة قدر ذراع، وكلما توسع كان أصلح له، وهو سريع الحمل يحمل على سنتين من يوم غراسه، وعلى أقـل من ذلـك. ويسـقى كما يسقى السفـرجل، ويمنع من الماء إلى أن يعقد الحبة، وبـعـدهـا يسقى حتى يستـوي كما فعـل في السفـرجـل، وإذا غرس من أقـلامـه لم يطلع

---

(١) هو الذي : كذا.

(٢) نيحـا : شديد صلب (الزبيدي، تاج العروس، م ٢، ص ٢٤٤).

(٣) خرمـلْ : نبـات طبي بري معمـر من فصيـلة القـدَيْسيـات يكثـر في بلاد الشـام وفي سينـاء « Peganum harmala » (الشـهـابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٥٣٣).

(٤) السفرجل : معروف، ; Gydonia Uulgaris » « quince - tree » (المصدر السابق، ص ١٨٣).

(٥) تسمى هذه الطريقة بطريقة « التكاثر بالسرطانات » PropaGation by Suckers والسـرطانـات عبـارة عن نموات من براعم ساكنـة بالقـرب من قاعـدة النبات أو تحت سطـح التربـة وتعتمـد في غذائهـا على الأم حيث لايكـون لها جذور مستقلة بنفسهـا. (محمد يسـري الغيطاني، الزهور، ص ١٥١).

(٦) مريـد : أجرد لاشجر فيه. (انظر الزبيدي، تاج العروس، ج ٢، ص ٥٠٠).

★ هكـذا ترد في الأصول، وقد تركت كمثيلاتها ربما حفاظاً على لغة الناسخ كما أراد الباحث الشاب - التحرير.

(٧) الصفا : الصخر.

(٨) التفاح :

(٩) ثلاثة : (ثلثة).

ولا ينفع، ومايغرس إلا من أولاده أو يردم من اطرافه ردايم، فإذا أوفت [1] سنة، وضربت عروقها نقلت إلى موضع الغرس، وإن أحب أن يركب فيه حلواً وحامضاً فهو يتركب، ويعود ممزوجاً. وصورة تركيبه أن يقطع غصناً من الشجرة ويشق، ويجعل فيه أغصاناً من الحامض، أو من الحلو، ويضم عليه بخرقة وطين، فإنه يلتحم ويتركب، ويكون ممزوجاً.

الإجّاص [2] - يؤخذ غرسه من أولاده كما يغرس التفاح، ويعمل له كما يعمل له، ويسقى كما يسقى التفاح، ويدمن إذا رشد كما (يدمن) يفعل بالتفاح وتحمل الغرسة الجيدة من سنتين، والصغيرة على ثلاث [3] سنين إلى أربع سنين، وعلى قدر جودة الأرض، ومعانا الغراس، وسقيه. ويصلح في المواضع القريبة الصفى أكثر من المواضع الغيمية [4] بخلاف سائر [5] الشجر فإن المواضع المشرقة أجود له، وإذا قد تقوى وامتدت عروقه في الأرض اطلع الغرس من كل جانب حتى أنه يسري من أرض إلى أرض اخرى ويملأها.

الكُمَّثْرَى [6] ويسمى العنبرود - يؤخذ غرسه من أولاد شجرته أيضاً، كما يؤخذ التفاح والاجاص، ويُسقى كما يُسقى التفاح والاجاص، ويحمل من بعد ست سنين، أو سبع سنين أو أكثر من ذلك، على قدر معاناته بالسقي والحفر، وجودة الأرض. وإذا قد صار وقت حمله، وخيف عليه أن ينتثر، سُمرت شجرته بمسمار ذهب، فإن شجرته تتقوى ولا تنتثر.

الخَوْخ [7] - يؤخذ غراسه مما يوجد تحت الأشجار الكبار، من بناته، وتنبت من حبه الذي مضت عليه سنة، فأما الحب الجديد فلا ينبت إلا بعد سنة، وإلا فيفضحا نواة في الشمس شهرين حتى ييبس، وتحول عليه سنة، ويغرس في حوض بقدر شبر من تحت التراب، ويسقيه عن ثالث أو رابع، إلى أن يطلع، فإذا قد طلع وتقوى، نقله إلى حيث يريد بترابه الذي يلي أصوله، وغرسه حيث يريد، وسقاه عن ثالث أو رابع حتى يرشد. ويحمل على ثلاث سنين، أو على أربع سنين، وأجود الأرض له الطيبة البعيدة الصفا، [وأما القريبة الصفا] [8] فيكون حبه صغاراً وينفد سريعاً.

المِشْمِش [9] - يؤخذ غرسه مما يوجد تحت الأشجار الكبار، من نبات تنبت تحته من حبه الذي مضت عليه سنة، فأما الحب الجديد فلا ينبت إلا بعد سنة، وإلا فيفضحا نواه في الشمس شهرين حتى ييبس، وتحول عليه سنة، ويغرس

---

(١) أوفت : أكملت .

(٢) الاجاص : وهو غير الكمثرى، ويسمى البرقوق في مصر والخوخ في الشام، وله أصناف زراعية كثيرة، منها الصنف المسمى « جانرك » في الشام ومعناها برقوق الروح واسمه العلمي « Prunus domestica » . (الشهابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٥٦٣) .

(٣) ثلاث : (ثلث) .

(٤) الغيمية : لعله يقصد بها المواضع المضللة .

(٥) سائر : (ساير) .

(٦) الكمشرى : « Pyrus Communis » (المصدر السابق، ص ٥٨٧) .

(٧) الخوخ : هو « الفرسك » .

(٨) [وأما القريبة الصفا] : نقلناها من هامش المخطوط .

(٩) المشمش : apricot ; « Prunus armeniaco » (الشهابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٣٧) .

في حوض بقدر شبر من تحت التراب، ويسقيه عن ثالث أو رابع إلى أن يطلع، فإذا قد طلع[1] طلع وتقوى نقله إلى حيث يريد وسقاه عن ثالث حتى يرشد. وهو يحمل على ثلاث سنين أو على أربع سنين، وأجود الأرض له الطيبة البعيدة الصفا، وأما القريبة الصفا فيكون حبه صغاراً وينفد سريعاً.

التُوت[2] - يؤخذ غرسه غصناً من أغصانها يقطع بالشريم، أو يُجبذ[3] باليد جيداً، ولا يؤخذ إلا غصناً معتدلاً بقدر غلظ المركه[4]، وإذا أراد نقله من موضع بعيد سورع به حتى لا يحيف[5]، ويسقى بالماء، وتطيب له الأرض كما تقدم، وتحفر له حفرة قدر ذراع وتكون مستطيلة، فإذا كانت الغرسة طول ذراعين بطحت في الحفرة مستطيلة وغطى موضع القطع، « وردّ »[6] التراب في وسط الحفرة حتى لا يبقى من الغرسة سوا قدر ذراع[7]، إن كانت ثلاثة وإن كانت ذراعين بقى منها ذراع، والقصد أن يغطى منها الثُلثين بالتراب، ويبقى الثُلث ظاهراً، ويرد عليه التراب، وإن كانت الحفرة قدر ذراع كان أجود. ويسقى بالماء عن ثالث إلى أن يورق وتطلع العيون، ويرجع سقيه بعد رشده على ثمانية أيام، وإذا تقوى ولزم أصوله واستوى سقي من نصف شهر إلى نصف شهر، ويحفر عليه كلما تقوت الأرض واطلعت الشجر، ويدمن عليه. وهو يثمر على خمس سنين، وهو يصلح في الأماكن المعتدلة، وأقربها إلى البرد. وجميع هذه الأشجار المثمرة تغرس في شباط، وهو أصلح الأوقات لغرسها، وفي المواضع القليلة الماء، والضواحي، يغرس في الخريف في أيلول ليشرب ماء المطر ويصلح.

الزَّيتون[8] - وأجود الأرض له المواضع الباردة، ووقت غراسه في تشرين الأول، وإذا أراد أن يغرسه أخذ من شجرة الزيتون عوداً مثل الحازوق[9] طول شبرين، أي عيدان الزيتون كان، فإذا صار العود حاصلا قطع-طرفه إلا علا بمنشار سوآسوآ، ويقطع أسفل العود موضع الغرس على صورة القلم، أو أخف منه من الجانبين، ثم يحفر له في الأرض قدر شبر عمقاً وشبرين عرضاً، ثم ينزله في الأرض طولاً مستقياً، ويكون أصله الغليظ إلى أسفل كما كان في شجرته، ثم يرد عليه التراب، ويتكي[10] عليه حتى يشتد التراب، ويلزم العود ويكون التراب مرتفعا على العود حتى لا يُبان[11] منه شيء، ثم يسقى ذلك الوقت سقيا خفيفا، فهي تضرب عروقه في الأرض إن كانت كريمة طيبة في شهر زمان، ويسقيه عن خامس، وبعد شهر تطلع له غصون كثيرة، ويتقوى في الطلع،

---

(١) قد : (قلب).

(٢) التُوت : هو الفرصاد « Morus » mulberry (الشهابي، معجم مصطلحات العلوم الزراعية، ص ٤٧٦).

(٣) يجبذ : يقتطع بالجذب الشديد - مستعملة في بعض نواحي تعز - .

(٤) المركه : كذا -؟ - .

(٥) يحيف : يقل الماء عنه فيتلف .

(٦) « وردّ » : أضفناها ليستقيم المعنى وإلا فهي بياض في الأصل .

(٧) قدر ذراع : (قد ذراع) .

(٨) الزيتون : هو الجوافه .

(٩) الحازوق : عمود طويل له رأس محدد .

(١٠) يتكي : يدوس على التراب بقدميه بجوار القلم ليثبته في الأرض .

(١١) لايبان : لايبدو أو لايظهر .

ويكون يفتقده بالسقي بعد طلوع الغصون فيه عن ثمانية أيام أو عشرة أيام، فهو يقيم شجراً سنتين ثم يحمل .

الجوز [1] - يوجد تحته غرس مثل غرس المشمش، والخوخ، فإذا أراد غرسه فينقل منه، ويحفر له حفرة كما تقدم، ويسقى ويعانا، أو فيؤخذ حبة من حبه إذا قد انتهى تغرس بقشرتها الخضراء في سلة في حول - حقل - وهي تطلع على شهر وأقرب، فإذا قد طلعت حفر لها حفرة ودفنها بوعائها، وسقيت كل ثمانية أيام، وتحمل على عشر سنين، ووقت غراسه في شهر شباط وأجود الأرض له البلاد الباردة .

اللوز - يغرس كما يغرس المشمش، وعمله كعمله، وسقيه كسقيه، ووقت غرسه وقت غرس الأشجار المقدم ذكرها في شباط .

الفُستق والبندق - ليسا من زرايع اليمن .

النارجيل [2] - يغرس من حبه بليفه مثل غرس الجوز، ويعانا كما يعانا الجوز . ووقت غرسه في شهر شباط، وهو بطيء الحمل .

فصل - يؤخذ النارجيل الجيد الحاضر [3] الذي قد عقد في قفه [4]، وصار رزيناً إذا قلقلته بيدك تقلقل، وعلم أنه قد صار يابساً في قفه فيقشر عليه ليفه، ولا يترك عليه إلا المدعة [5] التي له سالمة، ويختار منه مالم ينتف في مواضع الأنحاس الثلاثة التي في المدعة بل يكون ...... [6] جميعها فتبل في قصرية [7] كبيرة أو في بركة .... [8].

المصادر

١ - عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الاسلامي في اليمن، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني.

٢ - عبد الحليم أبو طالب، الزراعة الحديثة، مصر ١٩٧١م.

٣ - علي بن الحسن الخزرجي، «العسجد المسبوك»، مخطوط.

٤ - عمر بن يوسف بن علي بن رسول، «المعتمد في الأدوية المفردة»، تصحيح مصطفى السقاء، بيروت ١٩٨٢م.

٥ - محمد مرتضى الزبيدي، «تاج العروس»، عشرة مجلدات، طبع دار الحياة بيروت دون تاريخ.

٦ - محمد يسري الفيطاني، «الزهور ونباتات الزينة وتنسيق الحدائق»، الطبعة الأولى، دار المعارف مصر ١٩٦٧م.

٧ - مصطفى الشهابي، «معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية»، الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٨م.

٨ - نشوان بن سعيد الحميري، «شمس العلوم ودواء كلام لعرب من الكلوم»، الجزء الثاني، دار أحياء الكتب العربية

(١) الجوز : أنواع عديدة منه (جوز الطيب، وجوز ماثل، وجوز القيء، وجوز السُرو، وجوز جندم) (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩) .

(٢) النارجيل : هو جوز الهند، وهو ثمر نخلة طويلة لينة، ولها أقنا، في كل قنوالى ثلاثين نارجيلة (عمر بن يوسف الرسولي، المعتمد، ص ٥١٣) coconut palm .

(٣) الحاضر : الذي كمل نضجه ومال إلى اليبوسة .

(٤) قُفه : هو القُف، غلاف الثمرة .

(٥) المدعة : القشرة الخارجية لثمرة النارجيل، وسميت مدعة لأن صانعي المدائع مفردها مداعة وهي الشيشة يستخدمونها في صنع « الحبة » وهي الجزء النحاسي السفلي من الشيشة الذي يوضع فيه الماء .

(٦)...... : بياض في الأصل .

(٧) قصرية : القصرية وعاء كبير يستخدم لأغراض مختلفة .

(٨) ...... : إلى هنا انتهى ماعثرنا عليه من الكتاب .



■ مقدمة من المحرر:

في مجموع بعنوان «نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن» للشيخ أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني وردت اللاميات الأربع التاليات:

الأولى: لامية ابن المقري:

اسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم الشرجي الشاوري اليمني: المولود عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م والمتوفى عام ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م. ـ انظر ترجمته في: الأعلام /ج١/ ص٢١٠ ط٤ و«مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن» الصفحة ١٩٨ للاستاذ عبد الله الحبشي.

والثانية: لامية الصفدي:

صلاح الدين خليل بن أيبك المولد عام ١٢٩٦م والمتوفى عام ١٣٦٣م. والذي كانت حياته رمزاً من الرموز العديدة الدالة على وحدة الأمة، فتولى دواوين الإنشاء والكتابة والأموال في فلسطين ومصر وسورية وله مؤلفات غزيرة أغربها ماتركه من تأليف عن العميان والعور.

والثالثة: لامية الطغرائي (الحسين بن علي)

المعروفة بلامية المعجم. كانت ولادته عام ١٠٦١م ووفاته عام ١١٢١م. ويقال إنه ألّفها عام ١١١١م ولها شروح عديدة، اشهرها ماتركه الصفدي.

والرابعة: لامية ابن الوَرْدي.

ومن الغريب انها لم ترد في ديوانه وانما الحقت بالمطبوع منه فقط. ولد (عمر بن مظفر. .) بن الوردي عام ٦٩١هـ/١٢٩٢م وتوفي عام ٧٤٩هـ/١٣٤٩م. عاصر الصفدي وكانت بينهما مكاتبات نثرية وشعرية ـ انظر ترجمته في «الاعلام». وتعتبر لاميته أشهر اللاميات العربية بعد «لامية العرب» التي كتبها الشاعر الصعلوك الشُنْفري (عمر بن مالك الأزدي) المتوفى حوالي عام ٥٢٥م.

■ ومجلة الإكليل إذ تنشر اللاميات الأربع المذكورات مصورة عن مخطوطة «نفحة اليمن. .» فإنما تضع في الاعتبار حرص الباحثين والمحققين على تعاملهم مع «الأصول» مباشرة. ولدينا قناعة تامة بأن عدداً غير قليل من شبابنا سيحاول اغناء اللامية اليمنية بالشروح والتعليقات بنسخ مخطوطات أخرى.

ويشير صاحب «نفحة اليمن. .» إنه فرغ من نسخته في (كلكته بالهند) في السابع من ذي القعدة عام ١٢٢٦هـ.

وهذه النسخة اليمنية التي قدمها الاستاذ الشاعر اسماعيل الوريث إلى «لجنة المائة الكتاب» بوزارة الاعلام بصنعاء تعود إلى عام ١٢٧٨هـ.

★ محمود

سأبعث في اهل الهوى أمة وحدي :. ولكنني في شرعة الحب واحد
واشراق شمس الفرق في فاحم الجعد :. تحير فكري بين صبح جبينها
سنانظرها برق الى حسنها يهدي :. ومهما دجا الليل كذا وابلاج من
ولا انظم خدن الفضل بالجوهر الفرد :. فلم ارض تشبيه الحبيب بغيره
ومن يبتدي بالفضل مستوجب الحمد :. بليغ اتاني منه معجز احمد
محامد ادناها يجل عن العد :. خديو المعالي واحد العصر من له
لك الله قد حيرتني في مهامه البلاغة فاعذرني اذا حرت عن قصدي :.
وفارقت اوطاني واهلي وذا عهدي :. فاني مذ اصبحت في دار غربة
لاحسن ما يحلو من النظم في النقد :. والهي عن الشعر الشعير فلم اكن
كلامي على ان اتخالي على الكد :. فلفقت لا اني اجاريك ناظما
نعيم بلا حصر ونعمى بلا حد :. فعذرا وسترا للقصور ودمت في

الباب الرابع

يذكر فيه لامية الشيخ العلامة اسمعيل ابن ابي بكر المقري الزبيدي ولامية الفاضل الاديب صلاح الدين الصفدي ولامية الشيخ البارع ابي اسمعيل الحسين بن علي المعروف بالطغرائي المشهورة بلامية العجم مع ما وضحته من معاني ابيات منها الاحتياج اليه المغرب عن المقصود للاذهان ولامية الشيخ الكامل الاديب عمر بن الوردي رحمهم الله تعالى بمنه وكرمه :.

المقري رحمه الله

زيادة القول تحكي النقص في العمل :. ومنطق المرء قد يهديه للزلل
ان اللسان صغير جرمه وله :. جرم كبير كما قد قيل في المثل

فكم ندمت

فكم ندمت على ما كنت قلت به :. وما ندمت على ما لم تكن تقل
واضيق الامر امر لم تجد معه :. فتى يعينك او تهديك للسبل
عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة :. كقوة الخود لا تغني عن الرجل
ان المشاور اما صائب غرضا :. او مخطئ ليس منسوبا الى ...
لا تحقر القول يأتيك الحقير به :. فالنحل وهو ذباب طائر العسل
ولا يغرنك ود من اخي امل :. حتى تجربه في غيبة الامل
اذا العدو اجاجته الاخا علق :. عادت عداوته عند انقضا علل
لا تعجزن عن خطب ما به حيل :. تغني والافلا تعجز عن الحيل
لا شيء اولى بصبر المرء من قدر :. لا بد منه وخطب غير منتقل
لا تجزعن على ما نلت حيث مضى :. ولا على فوت امر حيث لم تنل
فليس تغني الفتى في الامر عدته :. اذا انقضت عليه عدة الاجل
وقدر شكر الفتى لله نعمته :. كقدر صبر الفتى للحادث الجلل
وان اخوف شيء ما خشيت به :. ذهاب حرمته او مرتضى عمل
لا تفرحن بسقطات الرجال ولا :. تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول
ان تأمن الدهر ان يعلي العدو فلا :. تستأمن الدهر ان يلقيك في السفل
احق شيء برد ما تخالفه :. شهادة الدهر فاحكم صنعة الجدل
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه :. فاطلب لنفسك ما تعلو به وصل
الطلب تنل لذة الادراك ملتمسا :. او راحة اليأس لا تركن الى الوكل
وكل داء دواء ممكن ابدا :. الا اذا امتزج الافكار بالكسل

والغدر في الناس طبع لا تثق بهم ... وان ابيت فخذ في الامن والوجل
من يقظة بالفتى اظهار غفلته ... مع التحرز من غدر ومن حيل
سل التجارب وانظر في مرآتها ... فللعواقب فيها اشرف المثل
وخير ما جربته النفس ما انعقلت ... عن الوقوع به في العجز والوكل
فاصبر لواحدة تامن توابعها ... فربما كانت الصغرى من الاول
فلا يغرنك مرقى في سهولته ... فربما ضقت ذرعا منه في النزل
وللامور وللاعمال عاقبة ... فاخش الحوادث بغتة واحذر عن عجل
ذو العقل يترك ما يهوى لخشيته ... من العلاج بمكروه من الخلل
من المروة ترك المرء شهوته ... فانظر لايهما آثرت واحتفل
استحيي من ذم من ان يدن توسعه ... مدحا ومن مدح من ان غاب يرتذل
شر الورى بمساوي الناس مشتغل ... مثل الذباب يراعي موضع العلل
لو كنت كالقدح في التقويم معتدلا ... لقالت الناس هذا غير معتدل
لا يظلم الحر الا من يطاوله ... ويظلم النذل ادنى منه في النذل
يا ظالما جار فيمن لا نصير له ... الا المهيمن لا تغتر بالمهل
غدا تموت ويقضي الله بينكما ... بحكمة الحق لا بالزيغ ولا الميل
ان اولى الورى بالعفو اقدرهم ... على العقوبة ان يظفر بذي زلل
حلم الفتى عن سفيه القوم يكثر من ... انصاره ويوقيه من الغيل
والحلم طبع فما كسب يجود به ... لقوله خلق الانسان من عجل

الصفدي رحمه الله

والمال صنه وورثه العدو ولا ... تحتاج حيا الى الاخوان في الاكل
وخير مال الفتى ما لم يصون به ... عرضا وينفقه في صالح العمل
وافضل البر ما لا من يتبعه ... ولا تقدمه شيء من المطل
وانما الجود بذل لم تخف به ... ضنا ولم تنتظر فيه جزا رجل
ان الصنائع اطواق اذا شكرت ... وان كفرن فاغلال لمنتحل
ذو اللؤم يحرص مهما جئت تسأله ... شيئا ويجهد نطق المرء ان يسل
وان فوت الذي تهوى لاهون من ... ادراكه بلئيم غير محتفل
وان عندي الخطا في الجود احسن من ... اصابة حصلت في المنع والبخل
خير من الخير مسديه اليك كما ... شر من الشر اهل الشر والدخل
ظواهر العتب للاخوان احسن من ... بواطن الحقد في التدبير للخلل
وان الجهول وسائحه نكل ولا ... تركب سوى السمح واحذر سقطة العجل
لا تشربن نقيع السم متكلا ... على عقاقير قد جربن بالعمل
والق الاحبة والاخوان ان قطعوا ... حبل الوداد بحبل منك متصل
فاعجز الناس حر ضاع من يده ... صديق ود فلم يردده بالحيل
استصعب خلك واستبقه احسن من ... تبديل خل وكيف الامن بالبدل
واحمل ثلاث خصال من مظالمه ... تحفظه فيها ودع ما شئت وقل
ظلم الدلال وظلم الغيظ فاعفهما ... وظلم هفوته فاقسط ولا تمل
وكن مع الخلق ما كانوا لخالقهم ... واحذر معاشرة الاوغاد والسفل
واخش الاذى عند اكرام اللئيم كما ... تخشى الاذى ان اهنت الحر في حفل

وكن اشدّ من الصخر الاصم لدى الـبأسا واسير في الآفاق من مثل
حلو المذاقة مرّاً لينا شرسا : صعباً ذلولاً عظيم المكر والجبل
مهذباً لوذعياً طيباً لكرماً : لهشمشاً غير هيّاب ولا وكل
صافي الوداد لمن اصفى مودته : حقاً واحقد للاعداء من جمل
لا يطمئن الى ما فيه منقصة : عليه الا لأمر ما على دخل
ولا يقيم بارض طاب مسكنها : حتى يقدّ اديم السهل والجبل
ولا يصغ الى داع الى طمع : ولا ينيخ بفاج نازح العلل
ولا يضيع ساعات الدهور فلن : يعود ما فات من ايامها الاول
ولا يراقب الا من يراقبه : ولا يصاحب الا كل ذي نبل
ولا يعد عيوب الناس محتقراً : لهم ويجهل ما فيه من الخلل
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً : يصاب من اصوب الامرين بالكيل
ولا يؤمّل اما لا يصبح غده : الا على وجل من وثبة الاجل
ولا ينام عين الدهر ساهرة : في شانه وهو ساه غير محتفل
ولا يضل عن التقوى بصيرته : لانها للمعالي اوضح السبل
من لم تكن حلل التقوى ملابسه : عار وان كان مغموراً من الحلل
من لم تثقفه صروف الدهر تجربة : فيما يحاول فليرجع مع الهمل
من سالمته الليالي فليثق عجلاً : منها بحرب عدوّ غير ذي مهل
من كان همته والشمس في قرن : كانت منيته في دارة الحمل
من ضيّع الحزم لم يظفر بحاجته : ومن رمى بسهام العجب لم ينل

عشنشماً

ولا يفتن

المجد في الجد والحرمان في الكسل : فانصب تصب عن قريب غاية الامل
وشم بروق المعالي في مخايلها : بناظر القلب تكفى مؤنة العمل
واصبر على كل ما يأتي الزمان به : صبر الحسام بكف الدارع البطل
لا تأسين على ما فات ذا حزن : ولا تظل بما اوتيت في جذل
فالدهر اقصر من هذا وذا امداً : وربما حل بعض الامر في الوجل
وجانب الحرص والاطماع تحظ بما : ترجوا من العز والتأييد في عجل
وصاحب الحزم وعزم الدين هما : في الحل والحل ضد الغي والخلل
والبس لكل زمان ما يلائمه : في العسر واليسر من حل ومرتحل
واصمت ففي الصمت اسرار تضمنها : ما نالها قط الا سيد الرسل
واستشعر الحلم في كل الامور ولا : تبدر ببادرة الا الى رجل
واه بليت بشخص لا خلاق له : فكن كانك لم تسمع ولم يقل
ولا تمار سفيهاً في محاورة : ولا حليماً لكي تنجو من الزلل
ثم المزاح فدعه ما استطعت ولا : تكن عبوساً ودار الناس عن كمل
ولا يغرك من عبد وبشاشته : منه البدو فان السم في العسل
وان اردت نجاحاً وبلوغ منى : فاكتم امورك عن حاف ومنتعل
وابكر بكور غراب في شذا نمر : في باس ليث كمي في دها ثعل
بجود حاتم في اقدام عنترة : في حلم احنف في علم الامام علي
وهن وعز وباعد واقترب وانل : وابخل وجد وانتقم واصفح وصل وصل
بلا غلو ولا جهل ولا سرف : ولا توان ولا سخف ولا مذل

وكن ..

لكنها حكم مملوءة هِمَما :: تغني اللبيب عن التفصيل بالجمل
ثم الصلاة على ازكى الورى حسبا :: محمد وامير المؤمنين علي
ما اومض البرق في الديجور مبتسما :: وما سقتني دموع العارض الهطل

الطغرائي رحمه الله

اصالة الرأي صانتني عن الخطل :: وحلية الفضل زانتني لدى العطل
اصالة الرأي جودته والخطل المنطق الفاسد والعطل التعري عن الملابس انتهى
مجدي اخيرا ومجدي اولا شرع :: والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل
قوله شرع اي سواء وراد الضحى وقت ارتفاع الشمس والطفل اخر النهار
فيم الاقامة بالزوراء لا سكني :: بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناء عن الاهل صفر الكف منفرد :: كالسيف عري متناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكى حزني :: ولا انيس اليه منتهى جذلي
طال اغترابي حتى حن راحلتي :: ورحلها وقرى العسالة الذبل
وضج من لغب نضوي وعج لما :: القى ركابي ولج الركب في عذلي
الضجيج الصياح واللغب بالغين المعجمة التعب والاعياء والنضو البعير المهزول والعج رفع الصوت ولج الركب زادوا في اللوم
اريد بسطة كف استعين بها :: على قضاء حقوق للعلى قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني :: من الغنيمة بعد الكد بالقفل
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل :: بمثله غير هياب ولا وكل
الواو واو رب والشطاط اعتدال القامة وقوله غير هياب اي غير جبان

من جالس الغاغة النوكى جنى ندما :: لنفسه ورمي بالحادث الجلل
من جاد ساد واضحى العالمون له :: رقا وحالة اهل الكف لم تحل
من لم يصن عرضه ساءت خليقته :: بحمل طبع لئيم غير منتقل
من رام نيل العلى بالمال يجمعه :: من غير حل بلي من جهله وبلي
من عاش عاش وخير العيش اشرفه :: وشر عيش اهل الجبن والبخل
عاجمت ايام دهري شدة ورخا :: وبؤت فيها باثقال علي ولي
وخضت في كل واد من مسالكها :: بلا فتور ولا عجز ولا فشل
طورا مقيما مقام الصين في صدف :: وتارة في ظهور الاينق الذلل
بالشرق يوما ويوما في مغاربه :: والغور يوما ويوما في ذرى القلل
وتارة عند املاك غطارفة :: وتارة انا والغوغاء في رجل
هذا ولم ارتض حالا ظفرت به :: الا وثقت بحبل منه منفصل
ولم اتمم بحرا جاش غاربه :: الا وجدت سرابا او صرى وشل
حتى اذا لم ادع لي في الثرى وطنا :: اقصرت من غير لا وهن ولا ملل
فاليوم لا احد لي عنده ارب :: ولا فتى ابدا ذو حاجة قبلي
وفي الفؤاد امور لا ابوح بها :: ما فرق النأي ايدي الخيل والابل
وان امت فلقد اعذرت في طلبي :: وان عمرت فلن اصغي الى عذل
تمت برسم اخ ما زال يسألني :: انشاءها ابدا في الصبح والطفل
فقلتها لا ارى مفروض طاعته :: والقلب في شغل ناهيك من شغل
ولا ابالغ في توقيف اكثرها :: ولا ذكرت بها شيئا من الغزل

ولا وكل بكسر الكاف اي غير عاجز

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت :: بشدة البأس منه رقة الغزل

طردت سرح الكرى عن ورد مقلته :: والليل أغرى سوام النوم بالمقل

يقول اني منعته النوم بالمحادثة ونحن في ليل قد اقبل بالنوم على العيون

والركب ميل على الأكوار من طرب :: صاح وآخر من خمر الكرى ثمل

فقلت أدعوك للجلى لتنصرني :: وانت تخذلني في الحادث الجلل

الجلى بالضم الامر العظيم وجمعها جلل ككبر

تنام عيني وعين النجم ساهرة :: وتستحيل وصبغ الليل لم يحل

فهل تعين على غي هممت به :: والغي يزجر احيانا عن الفشل

الغي الضلال والزجر المنع والفشل الجبن

اني أريد طروق الحي من إضم :: وقد حماه رماة الحي من ثعل

الطروق هو المجيء في الليل واضم كعنب الوادي الذي فيه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وثعل كصرد ابن عمرو بنو ثعل مشهورون باتقان رمي السهام

يحمون بالبيض والسمر اللدان به :: سود الغدائر حمر الحلي والحلل

فسر بنا في ذمام الليل معتسفا :: فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

الذمام الحرمة والاعتساف من العسف وهو الاخذ في السير بغير دليل

فالحب حيث العدى والأسد رابضة :: حول الكناس لها غاب من الأسل

نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت :: نصالها بمياه الغنج والكحل

نؤم نقصد وناشئة اي مخلوقة والجزع بالكسر منعطف الوادي

قد زاد طيب

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها :: ما بالكرائم من جبن ومن بخل

تبيت نار الهوى منهن في كبد :: حرى ونار القرى منهم على القلل

يقتلن أنضاء حب لا حراك بها :: وينحرون كرام الخيل والإبل

الانضاء جمع نضو واراد به جماعة العشاق الذين اضناهم الهوى وانحلهم

يشفى لديغ العوالي في بيوتهم :: بنهلة من غدير الخمر والعسل

العوالي الرماح والنهلة الشربة الواحدة

لعل إلمامة بالجزع ثانية :: يدب منها نسيم البرء في عللي

الالمام النزول وقد ألم به اي نزل وقوله يدب اي يمشي من دب على الارض يدب دبيبا اذا مشى والبرء الشفاء

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت :: برشقة من نبال الأعين النجل

يقول لا اكره الطعنة الواسعة التي تصيبني وقد ثنيت برشقة من سهام العيون المتسعة لهذه الفتيات لان ذلك يحييني اذا اتيا في المرام

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني :: باللمح من خلل الأستار والكلل

يقول لا اهاب الصوارم التي هي العيون ووقعها في اذا كانت تسعدني على جراحي باللمح من خلل الاستار

ولا أخل بغزلان أغازلها :: ولو دهتني أسود الغيل بالغيل

قوله ولا اخل اي ولا اترك والمغازلة المحادثة مع النساء والغيل بفتح الغين المعجمة موضع الاسد والغيل بالتحريك النشر

حب السلامة يثني هم صاحبه :: عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا ... في الأرض أو سلما في الجو فاعتزل

الجنوح الميل والنفق بالتحريك السرب في الارض والسلم معروف.

ودع غمار العلى للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل

يقول اترك لجج المعالي لذوي الاقدام على ركوبها والمكابدين لشدائدها واقتنع من اللجج بالبلل وكنى بالبلل عن الشيء اليسير من العيش وقوله هذا مقابل بالقبول عند ذوي العقول

يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة ... والعز عند رسيم الأينق الذلل

الخفض الدعة والرسيم ضرب من سير الابل

فادرأ بها في نحور البيد جافلة ... معارضات مثاني اللجم بالجدل

يقول فادفع بالاينق الذلل في نحور المفاوز مسرعة معارضا لجم الخيل بازمتها

إن العلى حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث أن العز في النقل

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا ... والحظ عني بالجهال في شغل

قوله اهبت اي صحت وهو مأخوذ من قولهم اهاب الراعي بغنمه اذا صاح بها لتقف عن السير

لعله إن بدا فضلي ونقصهم ... لعينه نام عنهم أو تنبه لي

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

لم أرتض العيش والأيام مقبلة ... فكيف أرضى وقد ولت على عجل

غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

يقول ان عرفاني بنفسي يغالي الناس بقيمتها وما يجدها كفوا في القيمة منهم فلهذا احفظها ولا ابذلها لخسيس القدر مبتذل اي ممتهن.

وعادة النصل

وعادة النصل أن يزهى بجوهره ... وليس يعمل إلا في يدي بطل

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

تقدمتني أناس كان شوطهم ... وراء خطوي لو أمشي على مهل

يقول تقدمتني قوم كان جريهم وراء خطوي ولو امشي متمهلا

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا ... من قبله فتمنى فسحة الأجل

وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر ... في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

اللام في لها للتعدية والضمير راجع الى معهود في الذهن لم يذكر وهي المقادير والايام

أعدى عدوك أدنى من وثقت به ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل

فإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجل

وحسن ظنك بالأيام معجزة ... فظن شرا وكن منها على وجل

غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعمل

وشان صدقك عند الناس كذبهم ... وهل يطابق معوج بمعتدل

يقول هل المعوج وهو الكذب يطابق المعتدل وهو الصدق

إن كان ينجع شيء في ثباتهم ... على العهود فسبق السيف للعذل

قوله فسبق السيف للعذل اي فات الامر فلم ينفذ العذل شيئا كما ان السيف سبق [illegible]

يا واردا سؤر عيش كله كدر ... أنفقت صفوك في أيامك الأول

فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مصة الوشل

ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه إلى الأنصار والخول

توجوا البقاء بدار لا ثبات لها :: لم يسمع بظل غير منتقل

ويا خبيرا على الاسرار مطلعا :: اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

قد رشحوك لامر ان فطنت له :: فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

يقول قد اهلوك لامر ان فطنت له فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك ان اردت ان لا ترعى مع الهمل والهمل بالتحريك الابل التي لا راعي لها

ابن الوردي رحمه الله

اعتزل ذكر الاغاني والغزل :: وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لايام الصبا :: فلايام الصبا نجم افل

ان اهنى عيشة قضيتها :: ذهبت لذاتها والاثم حل

واترك الغادة لا تحفل بها :: تمس في عز وترفع وتجل

واله عن آلة لهو اطربت :: وعن الامرد مرتج الكفل

ان تبدى تنكسف شمس الضحى :: واذا ما ماس يزري بالاسل

فاق اذ قسناه بالبدر سنا :: وعدلناه بغصن فاعتدل

واتكل في منتهى حسن الذي :: انت تهواه تجد امرا جلل

واهجر الخمرة ان كنت فتى :: كيف يسعى في جنون من عقل

واتق الله فتقوى الله ما :: جاورت قلب امرئ الا وصل

ليس من يقطع طرقا بطلا :: انما من يتق الله البطل

صدق الشرع ولا تركن الى :: رجل يرصد في الليل زحل

حارت الافكار في قدرة من :: قد هدانا سبلنا عز وجل

كتب الموت

كتب الموت على الخلق فكم :: فل من جيش وافنى من دول

اين نمرود وكنعان ومن :: ملك الارض وولى وعزل

اين من سادوا وشادوا وبنوا :: هلك الكل فلم تغن القلل

اين عاد اين فرعون ومن :: رفع الاهرام من يسمع يخل

اين ارباب الحجى اهل التقى :: اين اهل العلم والقوم الاول

سيعيد الله كلا منهم :: وسيجزي فاعلا ما قد فعل

يا بني اسمع وصايا جمعت :: حكما خصت بها خير الملل

اطلب العلم ولا تكسل فما :: ابعد الخير على اهل الكسل

واحتفل للفقه في الدين ولا :: تشتغل عنه بمال وخول

واهجر النوم وحصله فمن :: يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت اربابه :: كل من سار على الدرب وصل

في ازدياد العلم ارغام العدى :: وجمال العلم اصلاح العمل

جمل المنطق بالنحو فمن :: يحرم الاعراب في النطق اختبل

انظم الشعر ولازم مذهبي :: فاطراح الرفد في الدنيا اقل

فهو عنوان على الفضل وما :: احسن الشعر اذا لم يبتذل

مات اهل الجود لم يبق سوى :: مقرف او من على الاصل اتكل

انا لا اختار تقبيل يد :: قطعها اجمل من تلك القبل

ان جزتني عن مديحي صرت في :: رقها او لا فيكفيني الخجل

اعذب الالفاظ قولي لك خذ :: وامر اللفظ نطقي بلعل

ملك كسرى تغني عنه كسرة .: وعن البحر اكتفاء بالوشل .:
اعتبر نحن قسمنا بينهم .: تلقه حقا وبالحق نزل .:
ليس ما يحوي الفتى من عزمه .: لا ولا ما فات يوما بالكسل .:
فاقطع الدنيا فمن عاداتها .: تخفض العالي وتعلي من سفل .:
عيشة الراغب في تحصيلها .: عيشة الجاهل بل هذا أذل .:
كم جهول وهو مثر مكثر .: وعليم مات منها بعلل .:
كم شجاع لم ينل منها المنى .: وجبان نال غايات الأمل .:
فاترك الحيلة فيها واتئد .: إنما الحيلة في ترك الحيل .:
أي كف لم تفد مما تفد .: فرماها الله منه بالشلل .:
لا تقل أصلي وفصلي أبدا .: إنما أصل الفتى ما قد حصل .:
قد يسود المرء من غير أب .: وبحسن السبك قد ينفى الزغل .:
وكذا الورد من الشوك وما .: يطلع النرجس إلا من بصل .:
غير أني أحمد الله على .: نسبي إذ بأبي بكر اتصل .:
قيمة الإنسان ما يحسنه .: أكثر الإنسان منه أو أقل .:
اكتم الأمرين فقرا وغنى .: واكسب الفلس وحاسب من بطل .:
وادرع جدا وكدا واجتنب .: صحبة الحمقى وأرباب الدول .:
بين تبذير وبخل رتبة .: وكلا هذين إن زاد قتل .:
لا تخض في حق سادات مضوا .: إنهم ليسوا بأهل للزلل .:
وتغافل عن أمور إنه .: لم يفز بالحمد إلا من غفل .:

ليس يخلو من

ليس يخلو المرء من ضد وإن .: حاول العزلة في رأس جبل .:
غب عن النمام واهجره فما .: بلغ المكروه إلا من نقل .:
دار جار الدار إن جار وإن .: لم تجد صبرا فما أحلى النقل .:
جانب السلطان واحذر بطشه .: لا تخاصم من إذا قال فعل .:
لا تل الحكم وإن هم سألوا .: رغبة فيك وخالف من عذل .:
إن نصف الناس أعداء لمن .: ولي الأحكام هذا إن عدل .:
فهو كالمحبوس عن لذاته .: وكلا كفيه في الحشر تغل .:
إن للنقص وللاستثقال في .: لفظة القاضي لوعظا ومثل .:
لا توازي لذة الحكم بما .: ذاقه الشخص إذا الشخص انعزل .:
فالولايات وإن طابت لمن .: ذاقها فالسم في ذاك العسل .:
نصب المنصب أوهى جلدي .: وعنائي من مداراة السفل .:
قصر الآمال في الدنيا تفز .: فدليل العقل تقصير الأمل .:
إن من يطلبه الموت على .: غرة منه جدير بالوجل .:
غب وزر غبا تزد حبا فمن .: أكثر الترداد أضناه الملل .:
خذ بنصل السيف واترك غمده .: واعتبر فضل الفتى دون الحلل .:
لا يضر الفضل إقلال كما .: لا يضر الشمس إطباق الطفل .:
حبك الأوطان عجز ظاهر .: فاغترب تلق عن الأهل بدل .:
فبمكث الماء يبقى آسنا .: وسرى البدر به البدر اكتمل .:
أيها العائب قولي عبثا .: إن طيب الورد مؤذ بالجعل .:

عُدَّ عن اسهُم قولي واستتر :. لا يصيبنّكَ سهمٌ من ثُعَل

لا يغرّنكَ لينٌ من فتىً :. انّ للحيّات ليناً يُعتزَل

انا مثلُ الماءِ سهلٌ سائغٌ :. ومتى سُخّنَ آذى وقتَل

انا كالخيزورِ صعبٌ كسرُهُ :. وهو لدنٌ كيفَ ما شئتَ انفتَل

غيرَ انّي في زمانٍ من يكن :. فيه ذو مالٍ هو المولى الاجَل

واجبٌ عند الورى اكرامُهُ :. وقليلُ المالِ فيهم يُستقَل

كلُّ اهلِ العصرِ غمرٌ وانا :. منهمُ فاترك تفاصيلَ الجُمَل

وصلاةُ اللهِ ربّي كلّما :. طلعَ الشمسُ نهاراً او افَل

للذي حازَ العلى من هاشمٍ :. احمدَ المختارِ من سادَ الاوَل

وعلى آلٍ وصحبٍ سادةٍ :. ليسَ فيهم عاجزٌ الا بطَل

البابُ الخامسُ يذكر فيه تقريظ الصادح للشيخ العلامة ابن حجة الحموي وضروبٌ من الحكم والامثال نظماً ونثراً :. تقريظ الصادح

الحمدُ للهِ الذي هذّبنا :. واختارنا للعلمِ اذ ادّبنا

فانّ للآدابِ فضلاً يُذكَرُ :. فلا تخاطبْ كلَّ من لا يشعرُ

يا مدّعي الحكمةِ في كلامِهِ :. ومن يرومُ السحرَ في نظامِهِ

خذ حِكَماً جميعُها امثالُ :. ليسَ لها في عصرِنا مثالُ

الّفها ابنُ حجّةٍ للنجبا :. لانّ فيها راسَ مالِ الادبا

واختارَها من مفرداتِ الصادحِ :. وكانَ ذا من اكبرِ المصالحِ

من كلِّ بيتٍ قد تمثّلتَ بِهِ :. مكّنتُ من سامعِهِ في قلبِهِ

وقد لهجتُ

وقد لهجتُ على الشريفِ :. لكنّني خاطبتُ بالمعروفِ

وجئتُ من كلامِهِ بنبذةٍ :. تجلبُ للسامعِ كلَّ لذّةِ

وترفعُ الاديبَ ان تمثّلا :. بها اذا خاطبَ اربابَ العلى

من حِكَمٍ تتبعُها وصايا :. مقبولةٌ من احسنِ السجايا

من اوّلٍ واوسطٍ وآخرٍ :. جمعتُها جمعَ اديبٍ شاعرٍ

حتى دنا البعيدُ للقريبِ :. وانتظمَ البديعُ بالغريبِ

وانتجتْ في جمعِها ارجوزةً :. بديعةً غريبةً وجيزةً

وكلُّ من انكرَ ما احكمتُ في :. ترتيبِها يكونُ غيرَ منصفِ

فلينظرِ الاصلَ ليعرفَ السببْ :. ويعترفْ ان كانَ من اهلِ الادبْ

اوّلُ ما برعتُ في استهلالِهِ :. من نظمِهِ المحكمِ في مقالِهِ

هذا اوّل الصادح والباغم

العيشُ بالرزقِ وبالتقديرِ :. وليسَ بالرأيِ ولا التدبيرِ

في الناسِ من تسعدُهُ الاقدارُ :. وفعلُهُ جميعُهُ ادبارُ

ومن هنا تاليف الشيخ ابن حجة رحمه الله

مَن عرفَ اللهَ ازالَ التهمةْ :. وقالَ كلُّ فعلِهِ للحكمةْ

مَن انكرَ القضاءَ فهو مشركُ :. انّ القضاءَ بالعبادِ املكُ

ونحنُ لا نشركُ باللهِ ولا :. نقنطُ من رحمتِهِ اذ نُبتلى

عارٌ علينا وقبيحٌ ذِكرُ :. ان نجعلَ الكفرَ مكانَ الشكرِ

وليسَ في العالمِ ظلمٌ جاري :. اذ كانَ ما يجري بامرِ الباري